كوت عبد الله

(رواية)

عمار تاسائي الأهوازي

إي-كتب، لندن

كوت عبد الله

(رواية)

عمّار تاسائي الاهوازي

Qut Abdulla
By: Ammar Tasaee alAhwazi
Copyright E- kutub Ltd 2012
Published by E- Kutub.com
ISBN: **9781780580937**
* * * * *
PUBLISHED BY:
e- kutub.com on www.e- kutub.com & Google Books
License Notes
This e- book is licensed for your personal enjoyment only. This e- book may not be re- sold or given away to other people. If you would like to share this book with another person، please purchase an additional copy for each person you share it with. If you're reading this book and did not purchase it، or it was not purchased for your use only، then you should return to e- kutub.com and purchase your own copy. Thank you for respecting the author's work.
* * * * *

الطبعة الألكترونية الأولى
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.
مرخصة فقط للإستخدام الألكتروني، لا تجوز طباعة أي جزء من هذا الكتاب على ورق.
كما لا يجوز الاقتباس من دون الإشارة الى المصدر .
هذه الطبعة محمية وفقا للمعايير الدولية ضد النسخ وإعادة التحميل والتدوال غير المرخص به .
أي محاولة للنسخ أو إعادة النشر تعرض صاحبها الى المسؤولية القانونية .
إذا عثرت على نسخة عبر أي وسيلة اخرى غير موقع الناشر (إي- كتب) أو غوغل بوكس، نرجو اشعارنا بوجود نسخة غير مشروعة بالكتابة الينا:
ekutub.info@gmail.com
بشرائك الكتاب سوف تحصل على إيصال الكتروني بالدفع. الناشر يرجوك ان ترسل نسخة من الايصال الى عنوان المؤلف التالي لكي تتلقى منه رسالة شكر، وهو ما يفيد أيضا في ابلاغ المؤلف بأن نسخة من كتابه قد بيعت:
amrtas1@gmail.com

المقدمة

كوت عبدالله، حي شعبي قديم، مكتظ بالسكان العرب، تدور فيه أحداث هذه الرواية، ويقع في الضاحية الجنوبية لمدينة الأهوازالواقعة في الجنوب الغربي من إيران، عاصمة إقليم الأهواز(بتسمياته المختلفة الأحواز/ عربستان/ خوزستان) ذي الأغلبية السكانية العربية، إذ يبلغ عدد نفوسهم نحو 5 مليون نسمة معظمهم من المسلمين، كما يعيش إلى جانبهم أبناءالطائفة المندائية/الصابئة.

ينتمى العرب الأهوازيون لقبائل عربية عريقة لها امتدادات في العراق ودول الخليج العربي كقبيلة كعب وربيعة وبني طي وتميم وخزاعة والجبور وخزرج وسائر فروعها الكثيرة المنبثقة عنها المنتشرة في أرجاء ربوع الإقليم العربي. يعود تاريخ سكناهم في الإقليم إلى ما قبل الفتح الإسلامي، تعني الكوت باللغة الدارجة الحي السكني أو المنطقة الآهلة بالسكان وعبدالله هو أحد الشخصيات العشائرية ونجل الشيخ خزعل بن جابرالكعبي.

شهد الإقليم تحولات سياسية وتاريخية عديدة وتعاقبت فيه الحكومات الإسلامية العربية والمغولية والفارسية والتركمانية حتى آل الأمر في منتصف القرن التاسع الهجري للسلالة المشعشعية العربية التي حكمت الإقليم بالإضافة إلى مناطق مجاورة في إيران والعراق لأربعة قرون ، حيث اتخذت من مدينة الحويزة عاصمة للحكم، أعقبتها إمارة كعب ثم آل بوكاسب في مدينتي الفلاحية والمحمرة، من عام 1737م حتى 1925م حيث أطيح بحكم الشيخ خزعل بن جابر الكعبي آخرأمير عربي حكم الإقليم، على يد الشاه رضا بهلوي ملك

إيران، ليخضع البلاد تحت راية الحكم الملكي إبان قيام الدولة الإيرانية الحديثة مطلع القرن الماضي وقد إنتهج سياسة التفريس العنصرية لطمس اللغات والثقافات المحلية وصهرها في بوتقة اللغة والأدب الفارسي، لتكريس حكم شمولي فارسي، حيث أصبحت الفارسية اللغة الوحيدة للتعليم في كافة المراحل الدراسية والجامعية في كل أرجاء البلاد، كما قام النظام البهلوي أيضاً بتغيير أسماء المدن العربية في الإقليم إلى أسماء فارسية ظلت تطلق عليها بصفة رسمية حتى اليوم في عهد الجمهورية الإسلامية. كان لهذه السياسة الشوفينية ردات فعل متوقعة في الأوساط الواعية من أبناء عرب الأهواز، فقد نشأت منذ الخمسينات من القرن الماضي حركات تحررية وأحزاب ثورية أهوازية للمطالبة بحقوق العرب في الإقليم ، رفعت بعض هذه الفصائل شعار التحرير والإستقلال عن الدولة الإيرانية، فيما وجد القسم الآخر الحل في تطبيق النظام الفدرالي والتعايش السلمي بين الإثنيات/القوميات الإيرانية في الوطن الواحد، على أن تتمتع بكافة حقوقها القومية والثقافية والسياسية. يتكون الفسيفساء الإيراني من 6 قوميات هي: قومية الأتراك الآذريين/ البلوش/ العرب/ الفرس/ التركمان/ الأكراد. لكل منها لغتها وموروثها الثقافي الخاص. بقي الشعب العربي الأهوازي يعاني طوال العقود التسعة المنصرمة من إنتهاك صارخ لحقوقه الثقافية والسياسية، حيث حرم بشكل كامل من التعلم بلغته العربية، إذ يضطر الطفل الأهوازي لتعلم اللغة الفارسية ليتمكن من دخول المدرسة الإبتدائية، ولا يخفى ما لهذا الفرض العنصري في التعليم من أثر سلبي مدمر على مستقبل التلاميذ وقتل لمواهبهم وقدراتهم الإبداعية. أما الحالة الإجتماعية في الإقليم فلم تشهد هي الأخرى والحال هذه، أي تطور أو تنمية تذكر، بل ظل النظام القبلي هو السائد الفعلي. تنفس العرب الأهوازيون الصعداء إبان العهد الإصلاحي في فترة ولاية الرئيس الإيراني محمد خاتمي 2005م - 1997م، إذ انتعش

النشاط الثقافي العربي بعض الشيء في أوساط النخب الثقافية والأدبية من خلال إقامة عدد من الندوات والمهرجانات الثقافية والشعرية وإصدار جريدتين أو ثلاث بالعربية سرعان ما خبا وميضها فور نهاية العهد الإصلاحي.

تعرض الكثير- ولا يزال- من الكتاب والنشطاء الأهوازيين للإعتقال والسجن والملاحقات الأمنية وحتى الإعدام، بسبب ممارستهم النشاطات الثقافية والسياسية والتوعوية المحظورة من وجهة نظر الحكومة الإيرانية، ومطالبتهم بالحقوق القومية المشروعة لأبناء جلدتهم، لم ينج من تلك المضايقات الأمنية كاتب هذه الرواية، فآثر العيش في المهجر.

الفصل الأول

نهض من نومه قبل أن يدق جرس المنبه بربع ساعة، لعل الأمل هو الذي تكفَّل بمهمة إيقاظه بعدما أسهده طويلًا ومنعه النوم في تلك الليلة حتى مطلع الفجر. ليلة اختلطت فيها مشاعر متباينة؛ الفرح امتزج بالقلق، والأمل بالخوف من خيبته، الفرح وجد طريقه إلى قلبه بعد الفرصة الجديدة التي حصل عليها بعد عناء طويل. فرصة ربما تسفر عن نتيجة مرجوَّة، فيتوظَّف وتمتلئ جيوبه الفارغة بنقود لطالما أحرجه الافتقار إليها، فيساعد أسرته في حمل عبء تكاليف الحياة الثقيل، وينفق هو أيضًا بسعة ويتمكَّن من مجاملة أصدقائه في دفع فاتورة المطعم أو أجرة التكسي، ورد جميلهم الذي يتفضلون به عليه، الأمر الذي طالما أحرجه كلما التقى بصديق أو ذهب معه إلى مكان ما! القلق كان يساوره ليلتها كلما تذكَّر الماضي والفرص التي عقد عليها الأمل هو وأسرته، لكنها ضاعت دون نتيجة، فكانت سرابًا ومجرد بريق شغله لفترة من الزمن ليتبيَّن له فيما بعد أنها لم تكن إلا خدعة من الخدع التي يصنعها البَشَرِيُّ للتخلص من نظيره الإنسان.

أخذت هذه المشاعر تراوده في تلك الليلة وتمتزج مع صورالوليمة التي أقامها أحد أغنياء حيهم لمندوب مجلس الشورى الإسلامي بمناسبة فوزه في الانتخابات قبل مغادرته إلى طهران؛ حيث يتسلَّم مهامه الجديدة. سمك مشوي ودجاج مقلي وفواكه محرَّمة على الفقراء مثل الموز والأناناس وأطباق أرز من الدرجة الفاخرة تتصاعد منها رائحة زكية وأطعمة لم يذق طعمها هو وأسرته منذ زمن طويل! إلى جانب المائدة العامرة بشتى أصناف الطعام، كانت تدور أيضًا مجاملات ملوَّنة أصبح ناجي خبيرًا في معرفة حقيقتها والاطلاع على كنهها

بعدما عمل في حملة المندوب الانتخابية. المندوب يجامل الحاج فلانًا لكي يحظى بمساعدته في الانتخابات القادمة، والحاج يقدِّم له طبق الأرز بابتسامة حتى يتوسط له لدى شركة النفط لتمنحه عقد مقاولات مُربحًا. أمام مسجد الحي لتوطيد علاقته بالحاج يمدحه بكلمات فصيحة للاستفادة من نفوذه في الحي، والحاج يرد على مديحه بإطراء مشهود حتى يعوض افتقاره للكلمات الفصيحة. كما أن المندوب يسعى لخطب ود الإمام حتى لا يخلو اجتماع حملته الانتخابيه من العمائم، وكان يحرص أن تكون سوداء؛ فذلك يعني انتساب صاحبها للرسول - صلى الله عليه وآله وسلم- الأمر الذي يشجِّع الناس السذَّج على التصويت له! والحاج يجامل الإمام حتى يقال عنه إنه رجل متديِّن وصديق الإمام ويخاف الله ويضيف إلى مكانته الاقتصادية التي يحتلها في السوق وتتضاعف سمعته بين الناس على أنه رجل ملتزم بالدِّين ويخاف الله! وهكذا كانت حلقات فارغة من الكذب والرياء تدور وتدور كأنها معادلات علم الرياضيات التي استطاع الشاب إتقان أسرارها وفك طلاسمها بعدما عمل في حملة المندوب الانتخابية، فى بادئ الأمر حاول الشاب العثور على ما يفيد الناس فى هذا كله إلا أنه لم يصب أي نجاح وبالنهاية أدرك أن النفس البشرية وما تنطوي عليه من أنانية وعُقد نفسية وأفكار مظلمة، تبقى هي نفسها ولو كان صاحبها عالِم دين أو مسؤولًا في الجمهورية الإسلامية.

هذه الصور والمشاعركانت تسهده طويلًا في تلك الليلة وهو يتقلب في فراشه الذي وضِع على سرير معدني فوق سطح البيت تحت سماء الأهواز الصافية والممتلئة بالنجوم، فيرقص قلبه فرحًا وتبدو له الثمرة يانعة دانية لا يتطلب قطفها إلا قفزة واحدة حتى يُمسي الفقر في خبر كان وتمتلئ جيوبه بنقود الحكومة التي سوف تطرد عنه شبح الفقر والفاقة اللذين بقيا يحومان طوال كل هذه السنين فوق رأسه ورؤوس باقي أفراد

العائلة؛ لكن سرعان ما يجثم على صدره ألم تجارب الماضي، فتنتابه نوبة تشاؤم تفسد عليه ما كان فيه من نشوة وزهو؛ نشوة شاب تجاوز العشرين ببضع سنوات، عائد للتو من جلسة ضمت علماء الدين ومسؤولين كبارًا وأعيان الحي، وزهو رجل تراه العائلة كلها بطلها ودليلها في كل الأمور، حتى والده لا يُقدِم على شيء إلا ويأخذ رأيه فيه.

كان يتلوى في فراشه يمينًا ويسارًا، يصغي لطقطقة السرير المعدني لهنيهة، تتسلل إلى ذهنه كلمات عالِم نفس أمريكي حول أهمية التفاؤل في بلوغ النجاح ويسعى بتصنُّع نحو التفاؤل بعصبية، يكوِّر قبضته محاولًا تصوُّر نفسه موظفًا محترمًا خلف طاولة عريضة وإلى يمينه العلم الإيراني وإلى يساره صورة للخميني والخامنه اى وتفد إليه جموع الناس لقضاء حاجاتهم، إلا أن ذاكرته لا تكف عن ضخ صور الماضي وإخفاقاته، فتذهب جهوده نحو التفاؤل هباء، ويحل التشاؤم محل التفاؤل! يتذكر أيامًا خلت دخل خلالها مكاتب مديرين ورؤساء وعلماء دين غاية في الخطورة؛ للاستعانة بهم في الحصول على عمل وكتب طلبًا تلو طلب وتنوع في توقيعه تنفيذًا لما طلبوا منه لكن في النهاية كل ذلك كان «اذهب وسوف نتصل بك!». كان الشاب في البداية يعقد الأمل على الاتصال المزعوم ويظل ينتظر الهاتف أن يبشِّره بخبر حصوله على عمل لكن بقي الهاتف في صمته ومضت الأيام والأسابيع والشهور وكرَّر المحاولة والأخرى والنتيجة كانت كسابقاتها.

بعد أكثر من عام أيقن الشاب أن الأمر برمته كلام ووعود أساسها رياء وكذب ومشاعر مزوَّرة من جانب المسؤولين الذين توسَّل إليهم هو أو والده للوساطة في توظيفه وكثيرًا ما كان يشفق على والده الذي كان يذهب إلى قريب من علماء الدِّين أو مسؤول وكله أمل ويصدق كل حرف ينطقون

به! لكن في النهاية يتضح أن المسألة لا تتجاوز مجاملة عابرة تسرُّ الكهل الحنون والساذج أيامًا معدودات ثم ينكشف زيفها! مضت ثلاث سنوات والشاب وعائلته يصارعون شبح الفقر المدقع المهيمن على الأسرة، فما يَهُمُّون إلى شراء شيء إلا ترصدهم شبح شح المال الكريه ومنعهم من اقتنائه رغم قناعة الأسرة وبساطة حياة أفرادها!

استمرت أفكار وصور "ليلة المندوب"- كما سَمّاها ناجي السرحان فيما بعدُ- تعصف برأسه وهو يتناول فطوره بهدوء ورغبة في ظل نخلة بيتهم الباسقة التي كانت تنشر ظل سعفها في جميع أنحاء ساحة البيت الضيقة كالمظلة الكبيرة وتقي المكان من أشعة شمس الأهواز الحارقة التي كانت تنشر خيوطها الذهبية في ذلك الصباح في أواخر الربيع. لم يكن للعاصفة التي تدور في داخل الشاب أي أثر على ملامحه: أنف دقيق، وعينين سوداوين، وجَبين وضّاح تدلّت عليه من الأعلى خصل من شعره الفاحم بصورة عشوائية. كان شريط كلمات المندوب يتكرّر في رأسه دون توقف مثل زقزقة العصافير فوق النخلة التي لا يستطيع أحد أن يعرف لها بداية أو نهاية. كانت كلماته ترن في أذنه كأنها خرجت للتو من فم صاحبها وأحيانًا تمتزج مع صوت مذيع إذاعة جمهورية العراق الذي كان ينبعث من الراديو الذي تعوَّد الشاب أن يضعه إلى جانبه في كل يوم عندما يتناول إفطاره، فتارة تكون الغلبة للراديو وأخباره من العراق وصدام حسين وأخرى للمندوب وكلماته المعسولة التي كانت تتراءى له كأنها ضمان لتوظيفه وإنقاذه من جحيم البطالة الممتدِّ الذي لا يعرف النهاية.

كان يتصوَّر تلك الكلمات على أنها مفتاح السعادة التي استغرق الحصول عليها ثلاثة أشهر من العمل مع المندوب في حملته الانتخابية، عمل انخرط فيه مضطرًّا ومرغمًا بعدما أيقن

أن في الجمهورية الإسلامية أيضًا كل شيء له ثمن ولا يمكن أن يتوسط له أحد في الحصول على عمل قبل أن يتسلَّم منه ثمن ذلك. إنَّه درسٌ تعلَّمه بعد تجارب مريرة وإخفاقات عديدة والحياة هي التي تكفَّلت بتعليمه هذا الدرس.

إنه درس كان يجهله في الماضي قبل خمس سنوات حين حصل على شهادة الثانوية العامة ونجح في امتحان دخول الجامعة- الكنكور- إلا أنه لم يدخلها لتردي وضع الأسرة المادي، ففضَّل العمل. وكان عليه أن يبدأ بالخدمة العسكرية، فقضى عامًا ونصف العام جنديًّا في كردستان قرب الحدود مع العراق ثم تم تسريحه قبل ثلاث سنوات فكان يظنُّ أن تسريحه من العسكرية سيفتح أمامه باب التوظيف إلا أنه منذ ذلك الحين كان يطارد الفرص ويبحث عن عمل يجني منه نقودًا ليسدِّد ديون الأسرة التي أخذت تتكاثر ويحسن من دخلها دون أن يصيب أي نجاح.

تصفَّح الجرائد وشارك في امتحانات توظيف لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى واتصل بهذا وذاك وذهب إلى دوائر وشركات وتسكَّع على أبوابها بحثًا عن عمل لكن لم يحالفه الحظ فيما كان عليه وفي نهاية المطاف بقي حائرًا واقتنع أن لا عمل إلا بالواسطة و تلك ليست حكمة دافعها التشاؤم الذي كان يعصف بالمجتمع وإنما حقيقة؛ ففلان توظَّف لأن قريبه يعمل مديرًا هناك أو عِلان وجد عملًا في تلك الدائرة لأنه من أسرة شهيد أو أسير حرب! فرأى أن البحث عن عمل دون واسطة كإطلاق سهم في ظلام دامس يحتاج إلى حظ كبير ولمّا كان يعدُّ نفسه من قليلي الحظ رأى أنه من الحكمة والعقل السليم أن يبحث عن واسطة قبل البحث عن عمل فشرع في البحث عن واسطة حتى اهتدى إلى مرشح لمجلس الشورى الإسلامي- البرلمان- بمدينة الأهواز وساعده في حملته الانتخابية، فحوَّل بيتهم الصغير والمتداعي

في كوت عبد الله إلى لجنة انتخابية. وبعد فوزه أخذ يترقَّب قطف الثمرة وفي "ليلة المندوب" أحسن الشاب قطفها ونفَّذ أول محاولة جادة للاستعانة بنفوذ المندوب في الحصول على وظيفة.

كان المندوب يتكلّم بحماس وسط جمهورمن أعيان الحي وكباره وكان الجمع ينصت إليه بتأييد مصحوب بإعجاب وغِبطة في مجلس في بيت الحاج حمدي. كان صوته يدوي في أرجاء الغرفة الكبيرة، فيهبط صداه على قلوب الجالسين كأنه مطرقة حديدية تهوي على زجاج قلوب الحاضرين، فتهشمه وتجعل شظاياه تتطاير من الأفواه في هيئة تكبير وصلوات؛ دعمًا وإعجابًا وتيمنًا بمندوبهم.

كان صمت مطبق يخيِّم على المجلس لا يعكِّره سوى سعلة أخفق صاحبها في إخفائها، أو طقطقة حبات مسبحة بين أنامل أحد الجالسين؛ فكل من كان في المجلس يفضِّل الاستماع بدلًا من الكلام وبحركة تلقائية كانت تهتز رؤوس الحاضرين بعد نهاية كل جملة؛ تأييدًا لها، وطلبًا للاستمرار في الحديث!

كان المندوب يتكلَّم بزهو مصحوب ببعض المداعبات المصطنعة والمجاملات مع هذا وذاك وحين جاء صوت أجش من إحدى زوايا الغرفة وقطع عليه حديثه، تحوَّلت الأنظار كالبرق من جهة المندوب نحو مصدر الصوت. كان المجلس تحت تأثير سحر المندوب ولم يتوقع أحد مقاطعة المندوب بهذه الطريقة! كان الصوت لكهل يتكلم بحِدَّة وغضب وكان يحرِّك أصابع يده الغليظة عندما يتحدث وهو يشير بها ناحية المندوب كأنه يوجه له اتهامًا أو شيئًا كهذا.

- أخذوا أراضينا بالقوة، وصارت رغمًا عنا مزارع للشركة. ما قلنا شيئًا، لكن الآن على الأقل هذه الشركة لا بد أن توظف أبناءنا.

كان معظم الجالسين يعرف أن الكهل يتكلَّم عن مشروع زراعة قصب السكر الذي شرعت في تدشينه الحكومة الإيرانية قبل فترة على أراضٍ كانت مزارع وبساتين لفلاحين عرب في الأهواز. تعجَّب الحضور من صراحة وحِدَّة الكهل؛ لأن التحدث بهذه الطريقة عن هذا المشروع يُعرِّض صاحبه لما لا يحمد عقباه لذلك كان الجمع متشوِّقًا لمعرفة ما سيحدث.

ما إن انتهى الكهل من حديثه وانشغل بمداعبة حبات مسبحته السوداء اللامعة بعصبية في انتظار رد المندوب حتى تحرَّكت الأفواه وأخذت تكرر وتعيد وتعلق على ما ورد على لسانه وسرت همهمة في المجلس.

لاقى كلام الكهل ترحيب الجمع وتأييده وتعجَّب بعضهم من شجاعته وصراحته في الحديث كأنه تحدَّث عما يدور في قلوبهم، فأخرجه بعدما كان مكتومًا زمنًا طويلًا! زوبعة الكهل شجَّعت نجَّار الحي الذي كان رجلًا في الخمسين؛ لكي يكسر صمته الطويل ويتكلَّم، فعدل نظارته على أنفه، وقال بصوت هادئ ينم عن ثقة:

- يأتون بالعمال من المدن الأخرى للعمل في مشروع قصب السكر من أصفهان وشيراز وغيره، وشبابنا يعانون البطالة دون عمل.

جاءت كلمة من هنا وأخرى من هناك، واحتدم النقاش، فعرف المندوب أن الأمر لا يبشِّر بخير لذلك تنحنح عدة مرات وأعطى صوته نبرة من يتكلَّم برسمية ثم تأمَّل الوجوه قليلًا وقال:

- صلوا على محمد وآله أولًا.

رفع الجميع أصواتهم بالصلوات في خشوع مصطنع ولزموا الصمت في انتظار المندوب ليتحدَّث عن موضع لطالما أثارالنقاشات المحتدمة.

رمق المندوب الكهل بنظرة غاضبة كأنه أراد أن يقول له لماذا أحدثت هذه الزوبعة؟ فوجده مشغولًا بمسبحة في انتظار سماع رده ولا يعير من ينظر إليه أي اهتمام لذلك تنحنح مرة أخرى وقال:

- أما قضية شركة قصب السكر، فهذا مشروع وطني ولا يمكن إلغاؤه أو تجميده وله فوائد اقتصادية جمَّة لاقتصاد البلد، والأراضي تمَّ بيعها من قبل أصحابها؛ إلا أنه كانت هناك فئة مدسوسة تتعامل مع أيادٍ أجنبية ضد الثورة الإسلامية ولم توافق على بيع أراضيها لذلك حدثت بعض المشاكل التي ارتفعت والحمد لله. أما عن عمل الشباب فأنا بإمكاني المساعدة في توظيف الشباب شرط أن تكون لديهم الخبرة والشروط اللازمة .

حدَّج النجار المندوب بنظرة عرف الشاب مضمونها، فالنجار كان يُدَرِّس القرآن في بيته خلال شهر رمضان وكثيرًا ما كان يوجه انتقادات لاذعة للحكومة الإيرانية لانه يعتقد أنها تستعمر عرب الأهواز وتنهب ثرواتهم، الموقف الذي أدى إلى اعتقاله عدة مرات من قبل المخابرات، لكنه فى تلك اللحظة لم يقل شيئًا وبقي صامتًا.

تردد الشاب وكاد أن يرتبك، لكنه أشاح بوجهه عن النجّار ورفع يده طالبًا الحديث وبعدما أذن له المندوب قصَّ عليه معاناته. ومع أن المندوب سمع قصة الشاب وبحثه عن العمل عدة مرات لكنه تظاهر بالإنصات بدقة حتى أكمل ناجي السرحان حديثه، ثم رد قائلًا بنبرة آمرة مصحوبة بثقة:

- غدًا تذهب إلى مدير شركة قصب السكر، وأنا سأنسق معه بالتليفون لتوظيفك، وسترى خيرًا إن شاء الله.

طار الشاب فرحًا كأن المندوب أعطاه الدنيا بأكملها إلا أنه حين وقعت عيناه على النجار و وجده مطرقًا ينظر إلى نقوش السجادة كأنه غارق في مطالعة كتاب، أدرك أن تصرفه هذا لم يرضِ النجار الذى كان من ألد أعداء مشروع قصب السكر. تذكَّر النجار في رمضان الماضي، حين كان متحمسًا وقطرات العرق تسيل من جبينه وهو يلقي خطابًا بحماس حول أهمية التصدي لمحاولات تفريس العرب في الأهواز، بقي حائرًا و واجمًا، لكنه تذكَّر البؤس الذي يلم به وبعائلته وارتسم بوضوح شريط المعاناة وشح المال أمام عينيه. شعر بتلك الأيام التي داهمه فيها ذلك الإحساس المقيت الذي يدفع الإنسان لارتكاب أبشع الجرائم في سبيل الحصول على المال، تلك الأيام التي مرَّت عليه وعلى عائلته وهم لا يملكون ما يسدُّون رمقهم به. حاول جاهدًا أن ينسى النجار وكلامه، فاقترب بهدوء من المندوب ليأخذ التفاصيل.

ارتفعت شمس الصباح فأطلَّت على الشاب من خلف عمارة الحاج جبار المجاورة لبيتهم وتسللت خيوط من أشعتها من خلال سعف النخلة وتوجهت مباشرة إلى وجهه، أغمض عينيه لاتقائها، ثم طرد بحركة سريعة ذبابات كانت تحوم فى ساحة البيت وبين الحين والآخر تزعجه باقترابها من وجهه.

أنهى فطوره بسرعة وهرب من أشعة الشمس والذباب إلى داخل غرفته، فوجد جوَّها خانقًا لا يطاق، ضغط على زر تشغيل المروحة، دارت المروحة القديمة المعلقة في سقف الغرفة دورتها بكسل وبصوت مزعج كان يستطيع أن يسمعه حتى من كان خارج الغرفة، ثم ذهب نحو صوان الملابس وكلمات المندوب لا تنفك ترن في أذنه «غدًا تذهب إلى مدير

شركة قصب السكر، وهناك يتمُّ أمر توظيفك. أقصد أني سأتحدث مع المدير وأقنعه بتوظيفك!». هكذا وبهذه البساطة تُحَلُّ مشكلة عجزنا نحن عن حلها لثلاث سنوات، أصحيح ما قاله المدير؟ إذا كان الأمر كذلك، فيجب علىَّ الإسراع في الأمر حتى لا يجد المندوب أو المدير حجة يحتج بها مثل: جئت متاخرًا أو ما شابه، وبذلك أخسر فرصة العمر.

أخرج من صوان ملابسه قميصًا أبيض وبنطالًا أسود وحذاءً جلديًّا وشرع في ارتدائهم وهذه الملابس كان قد استعارها من صديق له فور معرفته بذهابه المزعوم للقاء المدير. وجاءت فكرة استعارة الملابس نتيجة لتجاربه السابقة؛ حيث عزا بعض أصدقائه وأقاربه سبب رفضه من قبل أصحاب العمل إلى حلق ذقنه بالموسى وارتدائه الجينز والتي شيرت باعتبارهما ملابس غربية لا يُرحب بأصحابها في دوائر الجمهورية الإسلامية.

اعتراه شعور بالذنب وهو يرتدي القميص الأبيض ذا الأكمام الطويلة وشعر كأنه يضع قناعًا لكي يخدع الآخرين، فتأمل الملابس للحظة: «لا شك أنها قناع لخداع المدير والآخرين بأني سائرعلى نهج الثورة الإسلامية. وما ذلك النهج؟! وأي نهج نهجته هذه الثورة وهذه الجمهورية الإسلامية؟! ألم يكذب مسؤولوها علانية؟! ألم يعدني الكثير منهم بالعمل، لكن كانت وعودًا كاذبة؟! ألم يقل لي رئيس شركة الغاز وهو الذي كان ذا لحية كثة وكان في جبهته أثر يقولون عنه: إنه من أثر الصلاة؟ ألم يقل لي: إنه لا يوجد توظيف لدى الشركة لمدة عامين وعرفت في ما بعد أنه وظّف أقرباء له كان أحدهم زميلي في المدرسة؟! المندوب نفسه ألم يكذب مرارًا كان آخرها عندما كان يتحدث في التليفون ويقول لمحدثه: إنه في جلسة هامة بينما كان هو وأصحابه يحتسون الشاي ويضحكون؟! إذن

هي جمهورية المقنعين! فلأضع أنا قناعًا وأحصل على وظيفة مثلما يفعل الجميع"!

رغم أن ناجيًا كان يعيش مرحلة الطفولة حين انتصرت الثورة الإسلامية فى إيران إلا أنه كان يعرف أن رجال الثورة والحكومة بعد انتصارها اتخذوا نوعًا خاصًّا من الملابس التي تدلُّ على أن أصحابها لا يهتمون بمظاهر الدنيا كثيرًا: بنطال أسود وقميص أبيض ذا أكمام طويلة بالإضافة إلى خاتم ولحية! إلا أنه حتى ذلك الصباح لم يجرب ارتداء مثل تلك الملابس وكثيرًا ما كان هو وغيره من الشباب يتحاشون لبس هكذا ملابس؛ حتى لا يتهمون بالتزلف للحكومة والتشبه برجالها!

تلك كانت هي المرة الأولى التي يرتدي فيها مثل تلك الملابس، فملابسه في الغالب كانت الجينز والتي شيرت وملابس رياضية. فكَّر كيف سيلاقيه الناس في الشارع من الذين لم يروه في مثل تلك الملابس، لكنه لم يكترث لتلك المشاعر وكان هدفه الأساسي الحصول على وظيفة وطرد شبح البطالة والفقرعن نفسه وعن أسرته. أخذ من الصنبور قليلًا من الماء ثم أخذ يسرح شعره بعناية على طرف واحد كما كان يفعل رجال الجمهورية الإسلامية ومَوالِيها. نظر إلى نفسه في المرآة: "لولا ذقني المحلوق أول أمس، لأصبحت حزب اللهي بمعنى الكلمة. أشبه الآن رجال الأمن في المطارات أو جماعة الباسيج. لو كنت أعرف بموعدي مع المدير لما حلقت ذقني أول أمس وتركتها تطول".

ضحك على سذاجة القوم وحمقهم، وأطال النظر إلى نفسه في المرآة التي كانت تعكس جزءًا من غرفته المظلمة والمروحة المعلقة التي تدور دون توقف ثم نظر إلى شخصه في الجهة المقابلة وقال كأنه يخاطبه ويبرر له ما كان يفعل: «هنا لا أحد يسألك عن الذكاء أو المعلومة أو الخبرة فلتكن سقراط

زمانك، إذا لم يكن لديك واسطة، تبقى بلا عمل، ولا تحصل على شيء، فعليك أولًا بالواسطة ثم المظهر. ويجب أن يكون مظهرك يوحي بالالتزام بالدِّين والعمل بتعاليمه حتى إن كنت لا تؤدي صلواتك اليومية؛ فالتظاهر بالتزمت والحفاظ على القيم فوق كل شيء حتى إنه يأتي قبل الدِّين نفسه! ألم يفعل كذلك معظم من كان يراهم في المسجد؟ ففي المسجد صلاة وخشوع وابتهال إلى الله وفي البيت والشارع والسوق جهل ونفاق وكذب ورياء ومكر وغش وغيره! والمعادلة سهلة جدًّا: واسطة ومظهر يتكوَّن من ملابس كهذه التي أرتديها أنا ولحية وخاتم فضي يساويان وظيفة وترقية وجاهًا ومنصبًا! وأمامنا نماذج كثيرة "مجيد" أو "أمجيد" كما كان يُدعَى لم يكن بحوزته شهادة ابتدائية وهو اليوم مسؤول خطير في الحرس الثوري!. كيف بلغ ما بلغ؟ وكيف حصل على شهادة الثانوية ومن ثم البكالوريوس والماجستير؟! علم هذا عند الله! اجتهاد وسهر ليالٍ وطلب العلم فريضة...! لا! لا! هذه شعارات للضحك على ذقون السذّج! أما الحقيقة فواسطة في الثانوية أو دائرة التعليم والتربية وصديق أو قريب في الجامعة واتصال من مسؤول في الحرس الثوري لتمشية شؤون الأخ المسلم، وانتهى الأمر بسهولة؛ وهكذا يتم الحصول على الشهادات وعلى كل شيء في جمهورية المقنعين".

غادر البيت وما زال أهله نيامًا: أمه في غرفتها، وأخواته في غرفتهن، وأبوه ما زال في محل الخفارة في شارع نادري ولا يعود إلى البيت إلا بعد الساعة التاسعة. لم يشأ إخبار والديه بخبر ذهابه إلى مقابلة مدير الشركة وأخفى الأمر عنهم حتى لا يصابا بالإحباط إذا لم يُصِبْ أي نجاح كما حصل في المرات السابقة، فالأسرة كلها تنتظر توظيف الشاب بفارغ الصبر للخروج من أزمتها، فالديون تكاثرت والمعيشة أصبحت صعبة جدًّا ولم يعد بإمكان والده توفير كافة نفقات وتكاليف العائلة حتى

إن شح المال دفع بسعاد أخته التي تصغره بسنتين إلى تقبل أعمال خياطة من الجيران والأقرباء بغية الحصول على مبلغ يسد جزءًا من تكاليف الأسرة. وكانت تنتاب ناجي السرحان نوبة من الخجل والحياء كلما نظر إلى أخته قابعة خلف ماكينة الخياطة بجسمها الهزيل ونظارتها ذات عدساتها السميكة في غرفة مظلمة كان أهل البيت يسمونها غرفة البنات.

أخذ يمشي في أزقة كوت عبد الله الضيقة والرطبة دون أن يكترث إلى شيء وبين الحين والآخر يتحسس وُرَيْقة المندوب كأنها شيء ثمين يخشى عليه من التلف! ترامى إلى سمعه أصوات الباعة في السوق الشعبية ولم تمضِ لحظات حتى سلمته الأزقة الضيقة إلى شارع عام فسيح مليء بالناس من جميع الأصناف: رجال ونساء، وأطفال وشيوخ من عمال وموظفين كانوا ذاهبين إلى محال أعمالهم وطلاب وتلاميذ مدارس متوجهين إلى مدارسهم يعبثون ويلهون بكل شيء يقع في طريقهم ويتصايحون بأصوات عالية. على حافتي الطريق كان الباعة من الجنسين يصفون بضائعهم من فواكه وخضروات وأسماك وملابس وعطور؛ استعدادًا ليوم مليء بالمشاحنات والمساومات مع زبائن لا يملون ولا يكلون عن المساومة بغية الحصول على ما يريدون بسعر أقل!

كان بعض منهم قد انتهى من مهمته وأحسن صف وترتيب بضاعته على ألواح معدنية أو صناديق خشبية وأخذ يحوم حول ما لديه ويقدِّم الفاكهة الناضجة في الأمام ويخفي الفاسدة منها في الخلف حتى لا ينفر من رؤيتها الزبون و يطرد جماعات الذباب التي تريد ان تتجمع على بضاعته!

كانت أصوات الباعة ترتفع بين الحين والآخرهنا وهناك دون تناغم، مرددة أهازيج ومقاطع لصنع الدعاية لما لديهم من بضاعة: "تعال هلصوب الخوخ! الحگ على الباذنجان،

الطماطم اليوم بلاش! خمسة كيلو بألف خل ياكلون ابسلامة خالهم!". ووسط هذا الزحام والأصوات المرتفعة كان ناجي السرحان يجفف قطرات العرق التي أخذت تسيل من جبينه إلى جانبي وجهه ويسير دون أن ينظر أو يكترث إلى أي شيء يدور حوله في وسط السوق الشعبية المليئة بالناس، فهذا منظر ألفه منذ طفولته وتعوَّد عليه حتى إنه بات يعرف حسب ونسب كل الذين يلتمسون رزقهم فيه.

اقترب من نهاية السوق المكوَّنة من صفين من الباعة وسط الشارع العام، فأخرج الوريقة وأعاد قراءتها: كراج سيارات عبادان، ثم تنزل وسط الطريق وتتجه نحو طريق ضيق آخر تسلكه حتى تصل إلى شركة قصب السكر.

اقترب الشاب من نهاية السوق، فأخرج وريقة المندوب من جيب بنطاله وقرأها مرة أخرى، وحين رفع بصره من الوريقة رأى النجار الذي احتجَّ على المندوب بكلمات مقتضبة في "ليلة المندوب". كان النجار فواد يتجه نحوه تمامًا وينظر إليه مباشرة من خلف نظارته الفتوكروميك التي تحوَّل لونها إلى الأسود من أثر أشعة شمس الصباح. عض شفته السفلى وأراد أن يختفي حتى لا يراه النجار، لكن كان ذلك مستحيلًا: «لا شك أنه سيعلق على ما دار بيني وبين المندوب في ليلة البارحة حول التوظيف في شركة قصب السكر وأنه سوف ينتقدني ويحتجُّ على ذلك». كان الشاب على الرغم من إعجابه بخلق وثقافة النجّار ودفاعه عن قضية الأهواز لا يحبذ مقابلته في تلك اللحظة لأنه يعرف ما سيقوله له، فالرجل من أشد منتقدي مشروع قصب السكر الذي قامت بتنفيذه الحكومة الإيرانية في المحافظة ويطرح ذلك علانية في جلسات القرآن التي كان يقيمها في بيته وكان الشاب من أشد المعجبين بآرائه حين كان يدرس في الثانوية.

توقَّف الشاب قبل أن يصل إليه النجّار ببضعة أمتار وبادره بالتحية:

- السلام عليكم أستاذ، كيف حالك؟

- لله الحمد، شكرًا. أنت كيف صارت أمورك؟

- أشكرك، أنا بخير.

حاول الشاب أن يقصُر الحديث على التحية والسؤال عن الورشة وطفلة النجارالتي خضعت مؤخرًا لعملية جراحية حتى لا يعطي مجالًا للتطرق إلى حديث الليلة الماضية:

- الورشة بخير إن شاء الله. ها الصغيرة كيف صارت؟ إن شاء الله بصحة وعافية!

فردَّ النجّار على سؤال الشاب شاكرًا باقتضاب وأزاح نظارته من عينيه وتظاهر بأنه يمسح عدساتها. ودون أن ينظر إلى الشاب قال:

- حزب اللهي من رجال الحكومة وترافق المندوبين!

- مرافقة المندوبين عرفتها تعني الليلة الماضية لكن ماذا يدل على أني حزب اللهي؟!

- لم تحلق اللحية!. أنت الذي عُرفت يومًا بكثرة استخدام موسى شفرة الحلاقة حتى إن أحدهم قال: لو عرفتك شركة جيليت الألمانية لأقامت لك حفل تكريم كأفضل زبون! والآن كيف أصبحت: استبدلت الجينز بالبنطال العادي؟! ماذا حدث لك؟!

ابتسم ناجي وشعر بشيء من الخجل ثم مسح العرق الذي راح يسيل من جبهته ثم قال:

- ماذا أفعل؟! أنت الذي أمضيت خمسة عشرعامًا في ورشتك هل كنت تستطيع أن تستغني عن رخصة الورشة التي أصدرتها الحكومة؟ طبعًا لا! لأنك تريد أن تعمل وتحصل على مورد مادي لتنفق على أسرتك. بالنسبة للموظفين أيضًا لا تسمح لهم الحكومة بحلق الذقن واستخدام الموسى فما بالك بأمثالي الذين لم يتوظفوا بعدُ! فإن أردنا الحصول على عمل والتوظيف، فعلينا باتباع ما يقولون وإلا فسنبقى دون عمل وذلك يعني الموت جوعًا بالنسبة لنا نحن العرب لأن معظمنا يعاني أشد أنواع الفقر والفاقة.

رد الشاب القاطع أفحم النجار ولم ينبس بعد سماعه ببنت شفة وأخذ ينظر و كأنه ينظر إلى شيء بعيد وبعد لحظة صمت غيَّر مَسار الحديث وقال:

- سمعت هذا الوقح كيف كان يدافع عن الطامة الكبرى؟

عرف الشاب ما يرمي إليه النجّار، لكنه تظاهر بعكس ذلك:

- أيُّ طامة؟ ومن هذا الوقح؟

- أقصد المندوب، أرأيت كيف كان يبرر ما تقوم به الحكومة ضد العرب ويدافع عن مشروع شركة قصب السكر! لولا خاطر الحاج حمدي وابنه الذي هو زميلي في الورشة لما حضرت الوليمة. والله مهزلة، الحكومة تنهب أراضينا ومندوبنا بدلًا من الدفاع عن العرب المظلومين يبرر ما تفعله الحكومة!

- كل يرى الحقيقة من وجهة نظره وربما ليس بمقدوره أن يوقف المشروع أو ربما ليس هناك من يسمع كلامه أو ربما كان يخشى الملاحقة والاعتقال، أو ربما..

- لكنه بإمكانه أن يتحدَّث وينطق بالحقيقة. الساكت عن الحق شيطان أخرس. إذن لماذا مندوب ومجلس؟! إذا لم يكن بإمكانه حتى التحدث عن مشروع كهذا، فليقدم استقالته.

- يقدم استقالته!. مستحيل، أي مجنون يُضحِّي بسيارة فارهةو راتب ومكانة مرموقة مقابل إيقاف المشروع بأكمله؟! لا المطالبة بإيقافه!

أراد الشاب أن يقول للنجار لو كنت أنت مكان المندوب، هل تنازلت عن منصبك كمندوب مقابل المطالبة بوقف مشروع قصب السكر لكنه أمسك عن ذلك خشية أن يجرح مشاعره وبدلًا من ذلك حاول أن يهدئ النجار الذي راح يتحدَّث غاضبًا ويصف المندوب وحاشيته بالخونة والمساومين على مصلحة الشعب.

أنهى النجاركلامه فجأة عندما رأى الشاب يرمق ساعة يده ومد له يده مودعًا وقال:

- يبدو أنك في عجلة من أمرك وأنِّي عطَّلتك.!

وضع الشاب يده ببرود في يد النجّار وذهب. أحس أن خطواته تثاقلت، وأخذ يفكر فيما قاله النجّار.

كان الشاب يتفق مع النجّار تمامًا لكن ما عساه أن يفعل: أيترك أمر التوصية التي بذل في سبيلها وقتًا طويلًا؟ أخذت كلمات النجّار تدور في رأسه وهو يقاومها جاهدًا «أعرف أن مشروع قصب السكر جاءت به الحكومة لنهب أراضي الفلاحين العرب لكن ما عساي أن أفعل: أأترك أمر الوظيفة والتوصية وأقضي بقية عمري في حلم؟ تعبت من كثرة الوعود وتقليب الجرائد والبحث عن فرص عمل! وكيف نبقى أحياء أنا وعائلتي التي تبني الآمال على توظيفي؟ هب أنني تركت أمر الوظيفة،

فهل سيتوقف مشروع قصب السكر؟ طبعًا لا، بل سيتقدَّم لها مئات ومن العرب أنفسهم؛ فإعلان في وريقة على باب دكان أبي حوجيم يكفي لذلك». ضحك على ما ابتدعه خياله: "إعلان للتوظيف في شركة قصب السكر على باب دكان أبي حوجيم! يالها من مقارنة طريفة"!

المقارنة الطريفة والضحكة التي تلتها أزاحتا من على عاتقه عبئًا ثقيلًا لكن بقيت كلمات النجّار ترنُّ في أذنه ولم يتخلَّص منها إلا عندما شغلته ضجة الناس من حول الطريق الرئيسي وازدحامهم لركوب الحافلات وسيارات الأجرة.

سيارات وحافلات بمختلف الأحجام والأشكال كانت تنفث الدخان وتنثر الغبار الموجود في الطرقات و تثير ضوضاء وصخبًا وهي تتزاحم على حافة طريق كوت عبد الله للحصول على عدد أكبر من المسافرين والتلاميذ المتجهين نحو محل عملهم أو مدارسهم.

عندما بلغ حافة الطريق وشاهد السيارات المسرعة في اتجاهين متعاكسين، تذكَّر المرات السابقة التي حضر فيها المكان نفسه للذهاب للحصول على عمل. أحس بمرارة اليأس وحالة الخيبة التي أصابته عند رجوعه من محاولاته السابقة، حين أرجعه الطريق إلى نفس المكان في المساء لا يحمل سوى وعود باهتة وكلمات لا يمكن التعويل عليها كثيرًا. حاول أن يتذكَّر متى آخر مرة ذهب لطلب العمل لكنه لم يستطع لكثرة المحاولات! أحسَّ أن اليأس والإحساس بالإحباط أخذا يتسللان إلى داخله وأخذا يسريان في دمه، ارتعد خوفًا من التشاؤم وتراءت له كلمات المندوب كأشياء تافهة لا قيمة لها ومجرد أكاذيب، وفكَّر أنها لن تسفر عن نتيجة أفضل من سابقاتها. أراد الرجوع إلى البيت وود لو يندس في الفراش في تلك اللحظة وينام ولا يفيق أبدًا من نومه. بقي واجمًا وحائرًا، ثم نظر بعيدًا

وكأنه كان يريد رؤية مستقبله ومستقبل حياته وسماءها الملبّدة! أو كأنه كان يحاول أن يرى ما ستسفرعنه مقابلته مع المدير و رحلته إلى شركة قصب السكر.

"أنا الآن ذاهب في طلب العمل والرزق، فكيف وبأي حال سأعود: صِفر اليدين أم...؟! إلهي، أدعوك أن توفقني فيما أنا متوجه إليه، فأنت الذي قلت في الحركة بَركة". كان يدعو ربه مخلصًا رغم أنه كان من المتساهلين في تأدية واجباته الدينية وعُرف بعدائه لتعاليم الدين إلا أنه شعر في تلك اللحظة بحاجة إلى قوة عظيمة تسنده في تحقيق طموحه غير مكترث لما يسميه صديقه الشيوعي رواسب "تعاليم الدِّين الكامنة في اللاشعور".

تربَّى الشاب في بيت محافظ على قيم وتعاليم الدين الإسلامي، إلا أنه ترك الصوم والصلاة بعد أن قرأ كتبًا عن الشيوعية، وأفكارًا تعرَّف إليها من شيوعي قديم كان يبيع الكتب القديمة والمجلات في شارع نادري. ومع أنه لم يفهم معظم ما جاء فيها إلا أنه بعد ذلك أخذ يشكِّك في أشياء كثيرة مثل خِلقة البشر ووجود خالق للكون وحاول أن يجد له مخرجًا من تشكيكه، فلم يفلح. كما أنه لم يستطع أن يتقبَّل فكرة الصلاة والصوم بعد قراءته وفهمه المنقوص لتلك الكتب.

الفصل الثاني

ازدادت حرارة الجو وارتفعت الشمس وهي في سيرها لتتوسط السماء، كانت ضوضاء الناس من مختلف الأعمار تملأ مبنى مصلحة عبادان. كان شيوخ ونساء يتخذون من ظل المبنى مكانًا للاستراحة حتى تحين مواعيد رحلتهم إلى عبادان أو الفلاحية والقرى والأرياف الموزعة على هضبة الأهواز. حافلات وسيارات بيكان كانت أيضًا منتشرة بصورة عشوائية هنا وهناك وأصوات سائقيها تعلو وتنخفض مع قدوم جماعة جديدة نحو بوابة المصلحة تدعوهم للإسراع بالركوب واتخاذ مقاعدهم. كان الميسورين فقط يجرؤون على ركوب التكسي أما الفقراء فعليهم انتظار الباص حتى يكتمل عدد مسافريه، الأمر الذي لا يتم إلا بعد طول انتظار ربما يمتد لبضع ساعات.

اقترب ناجي السرحان بهدوء من بوابة المصلحة، شعر بالشفقة لمنظر الشيوخ والنساء المنتشرين حول مبنى المصلحة، كان الفقر والعوز باديًا على ملامحهم وهندامهم الرث وملابسهم البالية، البؤس الذي يلمُّ بجماعة المسافرين جعله يتذكَّر كلام النجار حول مصادرة الأراضي ودور الحكومة في تجويع العرب. وقف في منتصف الطريق، سيارة كادت تصطدم به لكنه تفادى الاصطدام بها وهرول ناحية الرصيف، انتشله الموقف من تيار أفكاره، وقف على حافة الرصيف يرقب الخلق المنتشرين فى كل مكان. نادى عليه السائق قائلًا:

- عبادان! عبادان!

ردَّ عليه الشاب بسرعة:

- أريد الذهاب إلى شركة قصب السكر. فهل هي في طريقك؟

- نعم، تفضَّل.

قفز الشاب إلى داخل السيارة، فوجدها ضيقة وجوُّها خانق لا يطاق، لكن بعد لحظات حين سلكت السيارة طريقها بحركة هادئة، شعر بارتياح لتدفُّق الهواء الطلق من نوافذها. كان صوت فنان شعبي ينبعث من مسجلة السيارة بصوت عالٍ داخل السيارة مبددًا الملل الذي يسيطر على ركابها. شعر الشاب بفرح وبهجة وأخذ يهزُّ رأسه طربًا مع أنغام الموسيقى؛ شيءٌ من التفاؤل أخذ يتسرب الى داخله. شعر أن أمر توظيفه تمَّ بنجاح وما هي إلا أيام حتى يصبح هذا الطريق السيِّئ طريقه نحو نقود الحكومة. كان مزاجه أفضل حالًا لولا أنه انشغل في التفكير بأهمية التوظيف والعمل بالنسبة للإنسان وكيف أن الإنسان بلا عمل يفقد كل ما لديه من قيم وأخلاق: «لا شك أن العمل يعطي للإنسان كرامة، ربما كان مع النجار حق حين قال إن الحكومة تجلب العمال من باقي المدن الإيرانية لكي يبقى شباب الأهواز العرب بلا عمل و ربما أن الحكومة تفعل ذلك عمدًا!». تذكَّر البؤس الذي رآه على وجوه الناس المنتشرين حول مبنى مصحلة عبادان وفجأة انتبه إلى أن السائق ينظر إليه كأنه يريد التحدُّث معه. بادله النظرات، فتجرَّأ السائق وسأله بفضول واضح:

- أتعمل في شركة قصب السكر؟

ابتلع الشاب ريقه، ورد باقتضاب:

- نعم، إن شاء الله.

- كل شيء بأمره سبحانه وتعالى، لكن هذه الشركة دمرتنا وحوَّلت الفلاح إلى شحاذ على أبوابها.

نظر الشاب نحو السائق وقال:

- ربما، لكنَّ الفلاحين هم الذين قبلوا بيع أراضيهم للحكومة ولم يكن هناك أي ضغوط عليهم لبيع أراضيهم!

- لا، كانت هناك ضغوط مارستها الحكومة بقوة ضد كل من رفض عرضها. ابن عمي واحد من الذين رفضوا بيع أراضيهم لكن الحكومة هددته بالاستيلاء على أرضه بالقوة باعتبار أنها ملكها قبل أن تكون ملكا له.

- ربما، لا أعرف تفاصيل هذا الموضوع.

- أنا متأكِّد مما أقول، و رأيت بأم عيني جرافات تصاحبها قوة من الحرس الثوري تجرف بساتين ومزارع لفلاحين عرب رفضوا بيع أراضيهم.

انتابه شعور بالذنب وأحسَّ أنه يتصرف حسب مصلحته الخاصة فقط ولا يكترث بما يجري للناس الذين ينتمي إليهم هو! دخل مع نفسه في صراع حول صحة أو عدم صحة العمل هناك وقبل أن تتضح نتيجة هذا الصراع اضطر لتأجيله للتجاوب مع أسئلة السائق حول العشيرة التي ينتمي إليها.

شقَّت السيارة طريقها وسط جو يملؤه غبارالأرض القاحلة على جانبي الطريق وبعد لحظة صمت أشار السائق إلى جهة اليسار، فنظرناجى إلى حيث أشار لكنه لم يرَ شيئًا، فنظر إلى السائق بتعجُّب. ومرة أخرى أشار له السائق وأخرج يده من نافذة السيارة هذه المرة، فدقَّق النظر إلى المكان الذي أشار إليه وانفرجت شفتاه عن ابتسامة عريضة بعدما لاحت له لافتة

الشركة من بعيد! جلس مطمئن البال في مقعده، فما هي إلا دقائق معدودات وسيكون أمام الشركة والساعة لم تتجاوز التاسعة صباحًا بعدُ تمامًا كما أمره المندوب في الليلة الماضية.

نقد السائقَ أجرته وراح يمشي بخطوات سريعة نحو بوابة عظيمة كانت عُلِّقت فوقها لافتة كتب عليها بالخط العريض اسم الشركة. اقترب من جماعة كانوا يشربون الشاي في غرفة كانت مخصصة للحراسة وعن طريق أحدهم اهتدى إلى مبنى كبير مؤلَّف من عدة طوابق.

تسارعت دقات قلبه وهو يقترب من مدخل العمارة الكبيرة وكما كان يتوقع فقد كان لقاؤه الأول مع سكرتير المدير الخاص عند توجهه لمكتب المدير. كان شابًّا في الثلاثين من عمره، جالسًا خلف طاولة صغيرة كان يجتمع حولها موظفون وعمال يلتمسون من السكرتير تسيير شؤونهم. انتظر ناجي قليلًا حتى انفض الجمع من حول الطاولة ثم تقدَّم بخطوات بطيئة وقال:

- السلام عليكم.

لم يرد السكرتير تحيته واكتفى بأن رفع رأسه بتثاقل من أوراق كانت أمامه وسدد للقادم نظرة احتقار وتساؤل في آنٍ واحد ثم سأله ببرود وإهمال عن سبب قدومه بعد فترة صمتٍ صحبها ازدراء واضح.

تجاهل السكرتير لتحيته وازدراؤه له أثارا غضبه وتمنَّى لو يستطيع تحطيم رأسه ويصرخ في وجهه بكل قوة: «لحية وقميص أبيض، وخاتم فضي، وجمهورية إسلامية. وإذا تحدَّثت معه، فأول ما سيقول لك قال الإمام الفلاني، ونقل عن الإمام العلاني! تبًّا لكم جميعًا، ردُّ التحية واجب. ألم يقل لكم دينكم؟»

إلا أنه في تلك اللحظة تذكَّر ما جلب معه من سحر يفتح له الأبواب، فلمس وريقة المندوب بأطراف أنامله كأنه يتقوَّى بها!

ثم ابتسم بمكر "أنا خير من يعرف هذه المخلوقات، وسأصعقه بطريقتي".

تنحنح عدة مرات، وأعطى صوته نبرة رسمية تنمُّ عن الثقة بالنفس وقال:

- في الحقيقة أرسلني مندوب مدينة الأهواز المحترم للقاء المدير العام المحترم لشأن غاية في الخطورة!

رفع السكرتير بصره و نظر إلى الشاب مرة أخرى لكن هذه المرة بتمعُّن كأنه يراه لأول مرة. دقَّق في ملامح الشاب وهندامه ثم ابتسم ابتسامة مفتعلة وقال بارتباك واضح:

- أهلًا وسهلًا بك وبالمندوب المحترم! كيف الحال؟ تفضَّل.. اجلس ولن يصير إلا الخير إن شاء الله. دقائق وسيتم ما تريد.

نظر الشاب إلى حركات السكرتير السريعة وارتباكه وتلعثمه ودهشه السبب الذي جعله ينقلب في لحظة واحدة:

"سبحان مغيِّر الأحوال الذي لا يتغيَّر! إذا كان مجرد ذكر كلمة المندوب أحدث كل هذا التغيير، فكيف إذا جاء هو بنفسه؟ بمعنى آخر يجب أن يكون لديك واسطة حتى تجدَ من يعتني بك و إلا فستبقى مُسَمَّرًا دون أن يرد تحيتك أحد. الله وحده يعين من لم يكن لديه واسطة وحظوة عند مسؤولي هذه البلاد! إذا كان ذكر توصية من مندوب عمل كل هذا فكيف إذا جاء مندوب أو وزير أو رئيس الجمهورية أو القائد نفسه؟ تبًّا لهؤلاء المتزلفين لأصحاب السلطة! تبًّا لهم! هؤلاء هم من يصنع الديكتاتوريات،

فالديكتاتور لن يصبح ديكتاتورًا إلا حين يجد جماعة تصفِّق له بإعجاب على كل خطأ يرتكبه خوفًا من بطشه أو طمعًا فيما يَهِب!". أوقف تيار أفكاره صوت السكرتير، فوضع الجريدة التي أخذها من على طاولة الاستقبال ونهض من مكانه واتجه نحوه.

التغيير المفاجئ الذي طرأ على سلوك السكرتير ملأ الشاب بنشوة لذيذة، فشعر بالقوة وبثقة في النفس، نظر حيث أشار السكرتير واقترب بفخر وهدوء من كرسي كان إلى جانب السكرتير وجلس ثم أخذ يجول ببصره وينظر إلى ما حوله، شعر كأنه تحوَّل إلى واحد من رجال الدولة الخطيرين!

أما السكرتير فاهتم بمطلب الشاب وطلب له كوبًا من الشاي وما هي إلا لحظات حتى اقترب من الشاب وأشار بيده نحو باب غرفة المدير. تردَّد الشاب لهنيهة واضطرب فؤاده لكنه سيطر على مشاعره وقرأ آيات قيل له إنها جيدة للبدء بالأمور الهامة وتفتح عليه فتحًا مبينًا فى مثل تلك المواقف. كان مخلصًا في تلك اللحظة رغم تزلزل إيمانه وخضوعه لتقلبات في حياته وما يتلقى من ثقافة من هنا وهناك.

أمسك قبضة الباب بحذر وفتحه بهدوء ودخل كأنه يتسلل إلى المكان خِلسة، فشاهد أمامه غرفة واسعة وأنيقة رغم عدم تناسق لون قنفاتها مع الستائر. كان يتصدرها كرسي فاخر كبير مصنوع من الجلد، فعرف الشاب من أول نظرة أنه كرسي المدير وقد تركه لشأن وسيعود إليه بعد لحظات. لفت انتباهه على طاولة المدير العريضة، لوحة معدنية تشع نورًا وهَّاجًا، كانت قد وُضعت على مقدمة الطاولة بعدما نحت عليها بالخط الفارسي اسم ومنصب المدير.

تقدَّم الشاب خطوات إلى الأمام وهو ينظر إلى يمينه ويساره ويتفحَّص الغرفة، ملصقات وصور ملوّنة وجميلة كانت تملأ جدران الغرفة وكلها كانت عن إنجازات ونجاحات مشروع قصب السكر وإحصاءات وأرقام عن إنتاج السكر والكحول والمواد الأخرى المنتجة من قصب السكر في الأهواز.

كان الشاب غارقًا في التفكير وقراءة إحصاءات الشركة حين فجأة قطع تيارَ أفكاره صريرُ الباب الآخر للغرفة وهو ينفتح، فوجَّه بصره حيث الصوت وإذا به يرى رجلًا في الخمسين من عمره، أبيض البشرة، ذا عينين نافِذتين وشِعر أسود ناعم ومع أن لحيته كانت خفيفة خلافًا للمسؤولين الملتحين الذين لقيهم في مشواره للبحث عن العمل، عرف الشاب أن القادم المدير بنفسه، نهض بارتباك من مكانه وسيطر بصعوبة على ارتباكه وتقدَّم نحو القادم عدة خطوات، وألقى عليه التحية:

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله. أهلًا وسهلًا.

ردَّ عليه المدير وهو يبتسم ابتسامة غامضة لم يفلح الشاب في معرفة معناها، فبقي واجمًا لهنيهة، ثم سأل المدير عن صحته وحاله، فرد عليه الآخر باقتضاب.

بعد لحظة صمت أراد الشاب أن ينطق بسحره المبين ويخبره بتوصية المندوب بعدما ظن أن المدير في انتظاره لكي يشرح له سبب قدومه إلا أن المدير أغناه عن ذلك عندما سأله عن حال المندوب وصحته، فعرف أن المندوب وفى بوعده، واتصل بالمدير ومن الآن فصاعدًا مهمته هي أن يُجْهِزَ على فريسته ويغتنم الفرصة، فتنحنح وحاول أن ينطق الفارسية بطلاقة دون أن تظهر لكنته العربية حين سأله المدير عن المندوب وشؤونه:

- الحمد لله. المندوب بخير وكنا معًا الليلة الماضية مدعوين عند أحد سكان حَيِّنا في كوت عبد الله.

هزَّ المدير رأسه ونظر بطرف عينيه إلى الشاب وردد بهمس:

- ما شاء الله! الله يوفقكم! أخبرني المندوب أنك من الشباب المؤمنين والمتفانين في خدمة الإسلام والثورة الإسلامية! وبذلت جهدًا كبيرًا في الانتخابات الأخيرة.

احمّر وجه ناجي وشعر بحرارة تسري فى كل جسده، تمالك نفسه و ردّ بخجل:

- الحمد لله، إن شاء الله أكون كذلك.

شبك المدير أصابع يده وأسند ظهره إلى خلفية الكرسي الهزازالعريضة، ثم قال:

- عرفنا أنك مؤمن وهذا مما لا شك فيه، لكن أخبرني ما عملك؟

- كنت أعمل مع المندوب، لكنه كما تعرف فاز بالانتخابات وسوف ينتقل إلى طهران لاستلام مهامه لكنه قال لي سوف أعرفك إلى أحد أصدقائي لكى لا تبقى بلا عمل. والهدف يا حضرة المدير هو خدمة النظام الإسلامي.

أحس ناجي بشيء من تأنيب الضمير بعدما أكمل جملته الأخيرة.

هزَّ المدير رأسه تأييدًا لكلام الشاب وابتسم بلطف وتظاهر بأنه يصغي لكلامه باهتمام وبين الحين والآخر كان يثبت عينيه النافذتين على الشاب كأنه يسبر أغواره.

- ما شهاداتك ومؤهلاتك العلمية؟

- شهادة ثانوية وبطاقة تسريح من الخدمة العسكرية وأيضًا أنهيت بنجاح دورات في استخدام الحاسوب.

أسند المدير ظهره إلى الكرسي الفاخر وأخذ يحرك قلمًا كان بين أنامل يده ثم قال:

- جيد جدًّا، فالشركة بحاجة إلى خبرات الشباب المؤمن والملتزم بنهج الإمام الخميني والثورة الإسلامية.

تساءل الشاب في سرِّه: ما دَخْلُ الإسلام والإمام بقصب السكر؟ ومع أنه كان يمقت الثلاثة معًا الإمام والثورة وقصب السكر إلا أنه تظاهر بتأييد ما قاله المدير وهزَّ رأسه دون أن يضيف شيئًا واكتفى بقول كلمة نعم واستمرَّ المدير في حديثه:

- أنت سوف تعمل في قسم العلاقات العامة، فمتى يمكنك أن تبدأ عملك؟

- أنا جاهز وبإمكاني أن أتوجه للعمل الآن.

فرد المدير وعلت شفتيه ابتسامة عريضة:

- لا، لا، أنت الآن ضيفنا ولا يمكن أن نسمح لضيفنا بالعمل لكن بإمكانك أن تبدأ عملك يوم السبت، أي بعد يومين.

فرد الشاب باقتضاب:

- كما تريد، يا حضرة المدير!

تنهَّد المدير بصوت مسموع ووضع سماعة الهاتف في مكانها بعدما طلب الشاي، ثم قال:

- أخبرنا عن المندوب، وكيف سارت الانتخابات؟

ابتسم الشاب وقال:

- الانتخابات جرت بخير والحمد لله وفاز مندوبنا وهو اليوم يسعى لخدمة المدينة والمحافظة.

فانتظر المدير حتى انتهى الشاب من كلامه ثم أخذ نفسًا عميقًا كأنه يستعدُّ لحديث مطول وقال:

- المهم أن يلتزم المندوبون بنهج ولاية الفقيه والإسلام الأصيل المحمدي؛ فإن فعلوا ذلك فليبارك الله في مساعيهم ويوفقهم فيما يريدون.

أطال الشاب النظر إلى المدير وهو يتحدث وأخذ يفكِّر في ما كان يقوله وهو جالس على كرسيه المريح والأنيق: "أي إسلام هذا الذي تتحدث عنه؟ لا بد أنك تقارن نفسك بالإمام علي عليه السلام. هل ذهبت إلى خارج مكتبك ورأيت الناس كيف تعيش وتكسب رزقها؟ هل أنت وأمثالك تسمحون للناس أن يتحدثوا إليكم؟ أنا شخصيًّا لولا وريقة المندوب لما أعارني سكرتيرك الذي هو مثلك أي اهتمام ولتسكعت في أروقة الشركة ثم رجعت إلى أهلي صفر اليدين كما كنت أفعل في الماضي!"

كان بوده أن يصرخ في وجه المدير ويقول له: ثلاث سنوات أمضيتها في ضياع وانتظار، ألتمس هذا وذاك دون أي فائدة والآن وريقة من مندوب تحل المشكلة برمتها. كل هذا ولا زلتم تتشدَّقون بشعارات فارغة عن الإسلام! يالكم من دجالين! لكنه تماسك وأخفى مشاعره بابتسامة مفتعلة وحاول أن يوقف تيارأفكاره حين سدَّد له المدير نظرة ظن للحظة أنها ستسبر أغواره وسيطَّلع عبرها على ما في داخله من أفكار! ارتعد فرقًا

وابتلع ريقه بصعوبة بالغة ثم هز رأسه بارتباك تأييدًا لكلام محدِّثه.

انقطع حديث المدير بعد دخول النادل بأقداح الشاي، فأخذ الشاب يرتشف الشاي وهو مطمئن البال بينما انشغل المدير باتصال هاتفي ما إن فرغ منه حتى استأذنه الشاب وخرج بسرعة منشرح الصدر وتمنى لو كان بإمكانه أن يطير لإيصال خبر توظيفه إلى عائلته.

عندما رجع ناجي منهكًا من رحلته إلى شركة قصب السكر، كانت حرارة الجو قد أجبرت سكان كوت عبد الله على الهروب إلى داخل الغرف المكيفة وكانت الشمس تتوسط السماء وتوجه أشعتها مباشرة إلى الشوارع والأزقة. كان صمت الظهيرة يخيم على الحي فلا يعكره سوى صوت أجهزة التكييف التي كانت تعمل بصوت منتظم وكانت أصواتها تسمع من مختلف الاتجاهات.

أدار المفتاح في قفل الباب وقلَّبه ممتلئ بالفرح والسرور، فكان يشعر بالسعادة، وحين مر بالنخلة التي انحسر ظلها إلى أقصى حد ولم يعد يغطي سوى أطراف جذعها القوي الغليظ، تذكَّر فطوره وما عصفت برأسه من أفكار في الصباح وحمد الله على أنه لم يرجع من الشركة صفر اليدين.

وجد الجميع بانتظاره حين دخل الغرفة الوحيدة المكيفة في البيت، فالأم أعدت مائدة الطعام وجلست لكي توزعه على أفراد الأسرة الذين أخذوا أهبتهم لالتهامه. أحسَّ بالانتعاش للهواء البارد حين دخل الغرفة هاربًا من حرارة الجو وتعجَّب الجميع من ملابسه لأنهم لم يعهدوه يرتدي قميصًا ذا أكمام طويلة، فابتسم الأب وأشار إلى الشاب برأسه وانفرجت شفتاه عن أسنان مصفرة من أثر الشاي والتدخين. وضحكت سعاد

عندما خاطب الأب الابن بلقب الأفندي لكن الشاب لم يلقِ بالًا لما يدور من حوله من سخرية بل كان ينتظر اللحظة المناسبة لكي يلقي قنبلة خبر توظيفة فتنفجر ويعم الأسرة فرح كانت تنتظره منذ أن تخرج ابنها الوحيد من العسكرية قبل ثلاثة أعوام.

خلع ملابسه وارتدى دشداشة بيضاء ونظر إلى أبيه الجالس على بطانية قديمة ومسندًا ركبته اليمنى إلى وسادة محلية الصنع؛ ملقيًا الراديو خلفه. فحياه الكهل وسأله مبتسمًا:

- أين كنت اليوم؟

تناول الشاب كسرة خبز وأخذ يأكل ثم ابتسم بوجه الكهل الذي لم تكف عيناه عن ملاحقته ومراقبته و رد عليه قائلًا:

- وأخيرًا جاء الفرج، وتوظفت!

دهش الأب، وللحظة فكَّر أن ابنه يطرح لغزًا أو ما شابه لكنه تأكد من الخبر بعدما أخذ الشاب يسرد قصته مع المندوب في الليلة الفائتة. ابتسم الأب ابتسامة حنونة وردَّ على ابنه:

- مبارك يا بني، إن شاء الله منها للزواج.

وأخذت الأم أيضًا من جانبها تشكر الله وتدعو ليوفقه ويسعده!

وابتهج الجميع، فأمرت الأم بشراء دجاجة وذبحها الأب قربانًا للوظيفة الجديدة واجتمعت العائلة في ليلة الخميس وراح الشاب يعيد على مسامعهم مرات عديدة حكاية المندوب وتوظيفه كأنها انتصار عظيم.

الفصل الثالث

أمر محمد غافلي رئيس قسم العلاقات العامة في شركة قصب السكر الفرَّاش بنقل طاولة صغيرة وكرسي من المستودع إلى القسم وراح الفرَّاش الكهل يدخِّن سيجارة اللف ويستعد لتنفيذ ما كلَّفه الرئيس به. أخذ أنفاسًا متتالية من السيجارة وألقى عقبها على الأرض ثم داسه بقدمه ودخل المبنى ثم باشر عمله بالتعاون مع البوَّاب بنقل الطاولة والكرسي إلى قسم العلاقات العامة الذي كان مكوّنًا من مدخل يفضي إلى ممر طويل ينتهي إلى غرفة الرئيس التي كانت تضم أيضًا مكاتب الموظفين.

كان محمد غافلي رئيس قسم العلاقات العامة جالسًا خلف طاولته العريضة ومزهوًّا بمكانته في الشركة لا يعير أحدًا من الذين ينتظرون إنجاز أعمالهم أي اهتمام! كان يراقب بنظرة ثاقبة مكان وطريقة وضع الطاولة والكرسي لأنه لا يحب أن توضع طاولة أحد من موظفيه بالقرب من طاولته و أوامره صارمة في هذا الخصوص ويتوجب على طاولة أي موظف في العلاقات العامة أن تبتعد عن طاولته ثلاثة أمتار. اتخذ محمد غافلي هذا الإجراء بعد أن باءت بالفشل جميع محاولاته لنقل مكتبه إلى غرفة خاصة به واقتنع بوعد مدير الشركة بأن القسم الإداري سوف يتم نقله إلى مبنى جديد وسيخصص فيه للعلاقات العامة مكان أوسع. ولا أحد يدري سر هذا الأمر إلا أن السيد هاشم الموظف في العلاقات العامة كان يعرف أن رئيسه اتخذ هذا الإجراء بعد أن رآه يتطلع إلى أوراق وجريدة كان الرئيس منمهكا في قراءتها لكنه تجاهل الأمر ولم يسأل عن سبب نقل مكتبه إلى الزاوية المقابلة لمكتب رئيس العلاقات العامة بعد بضعة أيام و بقي يتساءل في نفسه فقط: يا تُرى ماذا كانت تحوي تلك الأوراق؟ ولماذا لا يريده رئيسه أن يطَّلع عليها؟ !

وضع الفرَّاش أبو حاتم الطاولة وبحركة سريعة ألقى الكرسي خلفها وهَمَّ بالخروج لكن استوقفه صوت الرئيس وهو يشير بيده إلى الطاولة قائلاً:

- الصقها بالجدار المقابل!

تأفف أبو حاتم بصوت مسموع و رجع و فعل ما أمره الرئيس ثم خرج بوجه متجهِّم دون أن ينبس بكلمة واحدة.

رفع السيد هاشم رأسه من ملف كبيربعد خروج الفرَّاش وبلهجة حاول أن تكون غير رسمية سأل:

- من هذا الموظف الجديد؟

لم يعِر الرئيس سؤاله أي اهتمام واكتفى بقول كلمة واحدة "إنسان!"

فرد الآخر بسرعة:

- نعم، أعرف! لكن سؤالي كان حول مؤهلاته وسوابقه ومهامه هنا.

ابتسم الرئيس، ثم قال:

- لم أرَه حتى الآن. الخميس الماضي حدثني المدير بشأنه وحتى الآن لم أرَه، كما لم أعرف سبب تأخيره اليوم! المهم أني ذاهب إلى مكتب المدير العام فإذا جاء أخبره بمهامه واشرح له قوانين القسم.

هزَّ السيد هاشم رأسه تأييدًا وهَمَّ الآخر (رئيس القسم) بالخروج بعدما خبَّأ أختامًا وأوراقًا في درج مكتبه وأغلق ملفات كانت ملقاة على طاولته. لبس الرئيس سترته واستعد للمغادرة إلا أن باب الغرفة فتح بحركة سريعة لفتت انتباه جميع من كان

في القسم ومنهم الرئيس، إرتطم الباب بالجدار الخلفي و إذا به ناجي السرحان يدخل لاهثًا يلتقط أنفاسه بسرعة ويلقي التحية بصوت عالٍ لا يخلو من ارتباك.

- عفوًا! يبدو أني تأخرت. اعذروني لم أكن أعرف موعد حافلة الشركة ولذلك اضطررت إلى المجيء بسيارة أجرة.

رجع الرئيس إلى خلف طاولته وهو يسترق النظر إلى ناجي وابتسامة تعلو شفتيه:

- ابن حلال، كنا في ذكرك! جيد جدًّا لأنك جئت الآن. أهلًا وسهلًا بك. تفضل.

جلس الرئيس خلف طاولته ثم أمر بإحضار الماء المثلَّج و الشاي للقادم بعدما أجلسه إلى جانبه كدلالة على ترحيبه واحتفائه به! كان الشاب يعرف أن الترحيب الذي يلقاه ما هو إلا نتيجة لتوصية المندوب لدى مدير الشركة ومن مدير الشركة إلى قسم العلاقات العامة وإلا لما أعاره الرئيس أو حتى فرّاشُ القسم أيَّ اهتمام.

استرخى ناجي السرحان قليلًا وشرب الماء المثلَّج وغمره شعور بالرضا والراحة لأن تأخيره في يومه الأول مرَّ بخير دون سؤال وخلافًا لما كان يتوقع، ثم بدأ يتفرَّس وجوه الجالسين الواحد تلو الآخر في محاولة لمعرفة طباع ونفسية زملائه الجدد. بدأ بالرئيس ومن طريقة حديثه ولهجته عرف أنه عربي وأنه من أولئك الذين يحاولون دائمًا أن يصنعوا حاجزًا بينهم وبين الموظفين الذين يرأسونهم ولم يفلح في فهم المزيد من شخصيته لأنه اضطر للتركيز على حديث الرئيس ومن حوله.

انتهى الشاب من شرب قدح الشاي الذي قدَّمه له الرئيس بنفسه ونهض واتخذ مكانه خلف مكتبه الذي أشار إليه الرئيس.

كان الجميع يصغي لرئيس العلاقات العامة الذي انهمك في شرح مهام القسم ومهام القادم الجديد بالذات بعد كلمات ترحيب مقتضبة:

- هنا نحن في قسم العلاقات العامة ليس لدينا رئيس ولا مرؤوس والجميع مسؤول عن تأدية واجبه. ومنذ اليوم أنت يا ناجي واحد منا ومنذ اليوم عليك اتباع قوانين القسم وأحب أن أخبرك أن القسم لديه قوانينه الخاصة به وأنا هنا المسؤول ولا يهمني ما يدور في باقي الأقسام من إهمال وتضييع للوقت! السيد هاشم سوف يشرح لك مهامك وهي سهلة وبسيطة جدًّا ولكنها تتطلب نظامًا ودقة وأنت كما يبدو شاب ذكي وإن شاء الله يوفقنا نحن جميعًا لخدمة الشعب.

بدا الرئيس صارمًا في حديثه المقتضب، فارتجف قلب الشاب خيفة لأنه كان دومًا يمقت المدير أو الرئيس الصارم، لكنه تذكَّر أن ما يقال الآن لا يجد طريقه للتطبيق على أرض الواقع وأن الرؤساء والمديرين أنفسهم هم الذين يخالفون قوانين الالتزام بالعمل قبل غيرهم ولولا ذلك لأصبحت إيران منافسًا لليابان.

كان الشاب مسرور الفؤاد، يجول ببصره في أرجاء القسم الذي كان عبارة عن غرفة كبيرة تتوزع فيها أربعة مكاتب ويتصدرها مكتب المدير الضخم الذي تعلوه لوحة معدنية يشع منها بريق يخطف الأبصار وقد نُحِت عليها اسم الرئيس بخط جميل وخلفها إلى اليمين علم إيران وصورة للخميني والخامنه إي في صحن ناصع البياض. صفَّان من الكراسي الخشبيَّة كانا أمام مكتب الرئيس لاستقبال المراجعين.

أما مكتب السيد هاشم الذي يترأس القسم في غياب الرئيس، فكان إلى جانب الجدار الخارجي للغرفة وكان

كصاحبه الذي لا يعير مظهره وهندامه أي اهتمام، تكثر عليه الملفات والأوراق المبعثرة بعشوائية! ومقابل مكتب الرئيس من الجانب الآخر وضِع مكتب الحاج رجب وكان كهلًا يدير قسم المحفوظات ويعتني بالملفات وبين الحين والآخر يغادر مكتبه ليدخن سيجارته خارج المبنى.

غادر الرئيس المكتب بعدما أعطى بعض التعليمات للسيد هاشم الذي يترأس القسم في غيابه وينفذ ما يطلبه الرئيس بالحرف الواحد دون أن يضيف شيئًا من نفسه وكان شديد الحرص على اتباع تعليمات رئيسه بدقة.

تنفَّس السيد الهاشم الصعداء بعد مغادرة الرئيس كأنَّ شيئًا ثقيلًا أزيل من على كاهله وأخذ كرسيًّا من الكراسي المصفوفة أمام مكتب الرئيس ووضعه مباشرة أمام مكتب الموظف الجديد وجلس قبالته وجهًا لوجه و ارتسمت على شفتيه ابتسامة عفوية، فرحَّب بالشاب ترحيبًا خلا من أي رسميات وسأله وهو يضع قدح الشاي أمامه:

- من أي قبيلة أنت؟

كان ناجي السرحان لا يحبِّذ حديث القبيلة والقبليَّة ويفضل الابتعاد قدر الإمكان عن مثل تلك المواضيع لكرهه خوض صراعات قبيلته التي لا تنتهي ومشاكلها العديدة مع هذا وذاك لذلك أجاب دون أي رغبة في الخوض في الحديث:

- أنا من كعب.

ابتسم السيد هاشم، ورَبَّت على كتف الشاب قائلًا:

- يا هلا بأخوالنا، أنتم أخوالنا.

أراد ناجي أن ينهي ذلك الحديث ويتجه نحو مواضيع أخرى كانت بالنسبة له أكثر أهمية، تلك التي كانت تخصُّ العمل وقوانينه وخُلُق الرئيس والموظفين وتفاصيل أخرى لا يعرفها إلا مَن هُم أقدم منه، و كان يتوق لمعرفتها وأراد أن يبدأ برئيس القسم نفسه.

شرب قدح الشاي، وابتلع ريقه ثم قال:

- الرئيس يبدو أنه إنسان طيب، ما اسمه؟

ابتسم السيد ابتسامة ماكرة، امتعض منها الشاب لكنه لم يبدِ أي شيء، ثم أسند ظهره إلى الكرسي، وقال:

- والله الرئيس طيب واسمه محمد غافلي إلا أن ذلك يرجع لطريقة التعامل معه. وهنا تجد أي رئيس أو مدير طيبًا إذا عرفت كيف تتعامل معه ووجدت السبيل المناسب لإرضائه.

تعجَّب ناجي من حديث زميله ولم يفهم مغزاه الحقيقي «ماذا يقصد بالسبيل المناسب لإرضائه؟» إلا أنه لم يشأ أن يُكثر من الأسئلة لاعتقاده أن ذلك ربما يزعج زميله، خاصة وأنه ما زال في يومه الأول لذلك حاول أن يدخر أسئلته لأوقات أخرى، واكتفى فقط بسؤال عام، فقال:

- رئيسنا أعجمي؟

- لا، إنه عربي، لكن لا يتكلَّم العربية في الدائرة أبدًا.

قال السيد هاشم كلمته الأخيرة ورمق الشاب بنظرة تَعَجُّب كأنه يريد أن يقول له: "ماذا يهم إن كان عربيًّا أو أعجميًّا؟"، ثم تابع حديثه مرة أخرى قائلًا:

- عربي أو أعجمي، المهم أن تعرف كيف تتقرب إليه وتجعله يثق بك ويعتمد عليك. إن فعلت ذلك، فستحظى بأفضل الأشياء بدءًا بالعلاوة والدوام الإضافي وانتهاء بالسفرات والمهام.

أدرك الشاب ما يرمي إليه زميله وأيقن أن التمثيل لم ينتهِ بعدُ وعليه أن يودع موسى الحلاقة والبنطال الجينز إلى الأبد! ومع ذلك أراد أن يسمع مزيدًا من التفاصيل حول الموضوع.

فكرَّر قوله بتعجُّب مُصْطَنع: "كيف يمكن أن نرضي الرئيس؟" ليسمعها السيد هاشم، إلا أنه لم يُبد أي اهتمام بما سمع من زميله الجديد، ورجع خلف طاولته وأخذ يقلِّب ملفات ملوَّنة وانهمك في تدوين بعض الملاحظات حتى حان وقت الغداء.

سار موظفو العلاقات العامة نحو مطعم الشركة الذي كان عبارة عن مبنى كبيرغُرست حوله أشجار أكاليبتوس وكان المبنى ذا نوافذ كبيرة بزجاج رمادي اللون حتى يمنع تتسلل خيوط أشعة شمس الأهواز. كان السيد هاشم يسير إلى جانب ناجي السرحان، فبدا هزيلًا رثَّ الملابس وهو يمسك بسيجارة أخذها عنوةً من زميله الحاج رجب الذي قلما يجود على أحد بسيجارة! فعدَّ السيد هاشم مبادرته من عجائب الدهر حين قدَّم سيجارة لناجي السرحان الذي امتنع عن أخذها لعدم ولعه بالتدخين وبدلًا منه انتهز السيد هاشم الفرصة والتقطها دون أن يلقي أي اهتمام لصياح الكهل. وطوال الطريق راح يدخنها وبين الحين والآخر يلتفت إلى الحاج رجب، الذي كان يهرول خلفهم، ويأخذ نفسًا من السيجارة ثم ينفث الدخان نحوه ويهز رأسه متلذذًا، ويقول له: «خوش جيكاره» ليعذبه! فالحاج رجب الوافد من مدينة تستر معروف بالبخل لدرجة أن أحدًا لم يرَ أو يسمع أنه جاد على أحد بسيجارة أو شيء آخر وكان يُضرب ببخله

المثل وتروى عنه القصص والحكايات في الشركة وحتى خارجها.

جال ناجي السرحان ببصره في أنحاء الشركة، فبدا المكان واسعًا؛ مباني ومخازن عظيمة وأدوات زراعية بأحجام مختلفة منتشرة هنا وهناك وورش وماكينات ومصانع يتصاعد منها دخان كثيف.

انبهر الشاب بالمشهد وسأل مرافقه عن المساحة التي تحتلها الشركة، فقذف السيد هاشم عقب سيجارته جانبًا وبصق، ثم لعن الحاج رجب على المرارة التي خلَّفتها سيجارته في فمه ثم قال:

- الشركة واسعة جدًّا، فالجانب الأيسر يضم المزارع ولكنك لم ترَه بعد. وهنا تقع المباني الإدارية وهناك في اليمين تقع المصانع ولكي تتجول في جميع أنحاء الشركة تحتاج إلى يوم كامل أو أكثر.

تذكر ناجي ما يدور حول مشروع قصب السكر من أحاديث كاغتصاب الأراضي من العرب وتوظيف فرس قادمين من مدن أخرى، فأراد أن يَعْرِفَ رأي محدثه في هذا الشأن فسأله وعلامات الاستفسار باديةً على ملامحه:

- ماذا كان هنا قبل أن يتم إنشاء مشروع قصب السكر؟

وقبل أن يبدأ السيد هاشم بالحديث استرق ناجي إليه نظرة ليرى ما إذا كان السؤال أحدث أي تغيير في ملامح أو مزاج زميله، فوجده كما كان أولًا يستمع بعفوية دون أن يطرأ عليه أي تغيير محسوس! وبعد أن انتهى ناجي من سؤاله ردَّ عليه دون أي اكتراث:

- كان هذا المكان قرى ومزارع وبساتين.

- يقال إن الحكومة أخذت هذه الأراضي لكي تفرِّس المنطقة، وتمحو العرب من الأهواز.

رفع السيد رأسه إلى السماء كأنه سمع شيئًا غريبًا:

- أنا أيضًا سمعت مرارًا مثل هذا الكلام وفي بداية توظيفي لامني بعضهم بحجة أن المشروع استعماري ويستهدف العرب لكن لم أهتم بتلك الأقاويل لأنها كانت مجرد هراء لا جدوى منه وأنصحك ألا تكترث لمثل ذلك الكلام لأنه لا يسمن ولا يغني من جوع. اعمل عملك واستلم راتبك وعش حياتك وليكن شعارك في الحياة "مصالحي أنا أولًا وقبل كل شيء".

تذكَّر حديثه مع النجار قبل بضعة أيام حين كان متوجهًا للشركة لأول مرة و داهمه فضول ورغبة في اكتشاف المزيد من أفكار وخلق زميله لذلك سأله بلهجة من يجهل كل شيء عن الأمر:

- وماذا كان ردُّك على مثل هذه الأقوال؟

ضحك السيد هاشم ضحكة طويلة وهزَّ يده كأنه يستهزئ بغباء محدِّثه الذي لم يتمكَّن من التكهُّن بردة فعله:

- ألقيت بكل هذا الكلام الباطل خلفي وعملت عملي! ماذا تتوقع مني أن أفعل، أموت أنا وعائلتي جوعًا لأن فلانًا يعتقد أن المشروع كذا وكذا؟ هيهات!

أخذ يتأمَّل ويفكِّر فيما قاله زميله وبحركة عفوية هزَّ رأسه كأنه يؤيِّد ما سمع من كلام، فتشجع السيد هاشم لتأييد محدثه واستمرَّ في الحديث قائلًا:

- هناك فئة من الجهلاء التي لا تفهم ولا تدرك الأمور، تريد منا أن نقاطع مشروع قصب السكر. كيف نقاطعه ونحن جياع لا نملك قوت يومنا؟ ولماذا؟ حتى يتحرر الأهواز! لن يتم ذلك لأن المشكلة أننا نحن جياع. وهب أننا لم نعمل فيه، هناك المئات وربما الآلاف من العرب يحلمون بالعمل في المشروع وبإمكانك أن ترى جموعهم عند بوابة الشركة وكلهم عرب لكن يريدون أن يعيشوا. هل تتصور أنهم لا يعرفون أهداف المشروع؟ بالطبع يعرفون جيدًا!

أراد الشاب أن يستمَّر في أسئلته، لكن اقترب منهم الحاج رجب لاهثًا وأشار لساعته، وقال: "أزف وقت تقديم الطعام" ثم دخل الزملاء مطعم الشركة لا يلوون على شيء.

الفصل الرابع

أخيرًا وبعد أسبوع متعب ومليء بالعمل الدؤوب، عمل موظف جديد كان يحاول جاهدًا أن يثبت كفاءته وقدرته في أيامه الأولى من العمل وبعد طول انتظار جاء يوم الجمعة، أول جمعة منذ توظيفه، ففرح ناجي السرحان فرحًا كبيرًا بهذا اليوم لأنه لم يعتد على ساعات الدوام الطويلة والاستيقاظ المبكر من النوم حتى إنه في بداية الأمر وجد مشقة بالغة في التأقلم مع ظروف حياة العمل الجديدة لكنه واجهها بصبر وفرح وفضَّل مشقة العمل على الجيوب الفارغة، و منذ يومه الأول في الدوام أصبح يهتم بيوم الجمعة ويعد الأيام لوصوله وفي أول جمعة من حصوله على الوظيفة نظَّمت الأسرة وليمة صغيرة دُعِيَ إليها العم شريف الذي يكبر أباه بعدة سنوات.

استيقظ على إثر رائحة الخبز الطازج الذي كانت تخبزه أمه في زاوية من البيت الضيِّق وقد كان بين اليقظة والنوم حين ترامى إلى سمعه صوت جهوري عرف أنه صوت عمه شريف الذي كان يتحدَّث بصوت عالٍ، فنظر إلى ساعته ووجدتها تجاوزت التاسعة، شعر أن جزءًا لا يستهان به من يومه قد ولَّى وهو نائم! نهض بسرعة كأنه يريد أن يستفيد مما تبقى من يوم الجمعة. كان ينوي قضاء يومه بين أفراد أسرته لذلك رفض دعوة أصدقائه للخروج إلى المنتزَّه.

غسل وجهه بالماء البارد حتى ينتعش ودخل غرفة الجلوس وسلم على العم شريف الذي استقبله مهنئًا ومباركًا له الوظيفة الجديدة فقبَّل ناجي يد عمه وشكره ثم جلس حول مائدة الإفطار الصغيرة.

- مبارك يا بني، وإن شاء الله نسمع خبر الزواج قريبًا!

انفرجت أسارير الشاب لمجرد سماع كلمة الزواج وتذكر مغامراته في أيام الثانوية مع الفتيات ومواعيد الغرام فحنَّ فؤاده إلى تلك الأيام وكاد يغوص في ذكريات أمس الغابر لولا أن عمه باغته بسؤاله:

- كم عمرك؟

قال الشاب بسرعة:

- ثلاث وعشرون.

فردَّ العم شريف وكان يُحرك الملعقة في استكان الشاي، فتصدر رنينًا محببًا كصوت جرس صغير:

- ثلاث وعشرون كثيرة جدًّا. في زماننا كان الرجل يتزوَّج وهو في السادسة عشرة من عمره. من المفترض الآن أنك متزوِّج ولديك ثلاثة أو أربعة أطفال حتى يكبر ابنك ويشبّ معك ويكون لك السند والعون.

كان العم شريف الأخ الأكبر لسرحان الصقر والد ناجي وكان يعمل موظفًا بسيطًا في شركة النفط إلا أنه كان يحتلُّ مكانة مرموقة بين وجهاء وشيوخ القبائل وله مكانة اجتماعية خاصة باعتباره الابن الأكبر للشيخ صقر. انفراده بما تركه أبوه من أراضٍ وأموال وعدم إشراك أخيه الأصغر لم يمنعا الأخير من أن يبقى مطيعًا وموالِيًا لأخيه الأكبر الذي يعدُّه سندًا وعونًا في الملمات! لهذا السبب لم ينصع لإصرار زوجته أم ناجي التي كانت تحثه على المطالبة بحقه في ميراث أبيه، حتى أنه عندما علم أن أخاه الأكبر باع قطعة أرض واسعة قرب نهر كارون لشركة الغاز بمبلغ كبير، بقي في صمته ولم يحرك ساكنًا للمطالبة بحقه في الميراث وهذا الأمر أدَّى إلى تدهور علاقته بزوجته أم ناجي لكنه فضَّل السكوت والانتظار للحفاظ على

أواصر الأخوُّة وعلاقته بأخيه مع أنه كان يعيش حياة الفقر والفاقة وفي النهاية قبل المبلغ الزهيد الذي قدَّمه له أخوه كنصيب له في تلك الأرض وقاوم بصرامة احتجاج أم ناجي وناجى نفسه الذي بلغ الرشد آنذاك. فمنذ أن عرف الشاب بالموضوع أخذ يُكن لعمه كرهًا شديدًا كما أنه كان يمقت بصورة لا يمكن لأحد تصورها انصياع أبيه لقرارات عمه، فقد كان أبوه لا يُقدم على عمل إلا ويأخذ رأي أخيه الأكبر.

كان ناجي يلوم والده وينتقده نقدًا لاذعًا لكن أبى الكهل أن يسمع كلامه وكان يعد ذلك طيش شباب سرعان ما يزول وتحلُّ محله الحكمة واتباع الأكبر منه. وربما هذا الأمر هو ما دفع العم إلى التدخل والبت في جميع شؤون أسرة أخيه والتدخل في كل صغيرة وكبيرة واتخاذ القرارت نيابة عن أهل البيت، فكان أبو ناجي ما إن يسمع رأي أخيه حتى يتبناه ويصبح رأيه مثل رأي أخيه.

صنف الشاب سؤال العم عن الزواج ضمن تدخلاته المستمرة في شؤونهم الخاصة إلا أنه لم يتجرأ على إظهار مقته للسؤال وأخفى شعوره الحقيقي وقال:

- أنت تعرف بظروف عائلتنا المادية! كيف يمكنني الزواج ونحن ليس ما لدينا ما نملأ به بطوننا!

دفع العم صينية الشاي نحو أخيه الذي كان يصغي لحديثه بلهفة وأسند ظهره إلى الوسادة وأخذت أنامله تداعب مسبحته الكبيرة ثم تنفَّس الصعداء وكان يبدو مزهوًّا بكرشه العظيم، ثم مسح على شاربه المصبوغ حديثًا وقال:

- هذا حق، لكن الآن والحمد لله وفقك الله وتوظفت وقريبًا إن شاء الله تبدأ البحث عن بنت الحلال! لاقى كلام العم ترحيب والد ناجي الذي كان يعد أخاه صاحب كلمة الفصل والأعرف

بمصلحة الأسرة لكن تباينت انطباعات ومشاعر الأب والابن. ولَّد كلام العم شعورًا غريبًا لدى الابن سرعان ما تحوَّل إلى نوع من الأنانية فأحسَّ أن العم دائمًا ما يتجاوز حده ويتدخَّل في شؤون أسرته وينافسه على زعامتها، فكان ناجى يحسُّ نفسه هو سيد الأسرة وصاحبها «من خوَّل لك أن تبت في شؤوني، أيها العم العزيز. أنا أعلم بشؤوني ومصلحتي». أخفى شعوره تجاه عمه وقال وابتسامة ماكرة تعلو شفتيه:

- الراتب قليل جدًّا حسب ما قال لي زملائي، إنه لا يعادل ثلث راتب العمال والموظفين في الأماكن الأخرى كشركة النفط مثلًا!

تعمَّد الشاب ذكر شركة النفط لأنه يعرف أن عمه ينزعج من الحديث عن رواتب موظفي وعمال شركة النفط حيث كان يعمل، ولا يريد أن يعرف أحد مقدار ما يقبضه من راتب وكان يظن أن أي حديث في هذا السياق يدخل في إطار الحسد وأنه سوف يلحق به أو بعائلته الضرر.

حدَّج العمُّ الشابَ بنظرة ثم تظاهر بأنه مشغول بترتيب كوفيته على رأسه ولم ينبس ببنت شفه حتى كسرت أم سرحان الصمت بدخولها حاملة صينية تفوح منها رائحة الخبز الطازج وقالت:

- أبا يعقوب، هذا لبن جيِّد، وخضروات طازجة وجبن وزبدة.

نهض الكهل بسرعة وأخذ الصينية من زوجته و وضعها أمام أخيه قائلًا:

- هذا معناه أن الغداء سيتأخر إلى ما بعد صلاة الظهر. لنصِب من الطعام ما يقوينا حتى تصير الساعة الواحدة ظهرًا.

قال العم:

- الخبز الطازج العربي أهم شيء، فنحن منذ أن أصاب أم يعقوب داء السكري لم نذق له طعمًا، وخبز المخابز ليس جيدًا هذه الأيام.

جلس الأخوان حول الصينية وأخذا يأكلان الخبز والخضروات بشهية. أنهى الشاب فطوره وأخذ استكان شاي، وجلس قرب الراديو في زاوية الغرفة، وأخذ يلهو بموجه حتى التقط بث إذاعة العراق وجعل ينصت لصوته مسندًا ظهره إلى وسادة كبيرة. التفت العم نحو الشاب عدة مرات وهو يتناول قطع الخبز الطازج وعيدان الخضروات، وقال:

- ماذا يقول الراديو؟ ما أخبار صدام حسين؟

ردّ الشاب بحماس:

- جيدة جدًّا. هذا الرجل بطل.

ردّ العم باستهزاء:

- أي بطل هذا الذي يغزو أخيه الذي سانده ودعمه طويلًا.

ازداد حماس الشاب، وانبرى للدفاع:

- تقصد الكويت، فهم الذين غدروا بالعراق والأمة العربية.

ردّ العم ساخرًا:

- وهل الأمة العربية افضل حالا الان؟

لم يجب الشاب، واكتفى بقول ربما مؤامرة صهيونية.

لم يرغب العم فى مواصلة الحديث مع الشاب و توجه ناحية اخيه بينما أخذ ناجى يصغي لى الراديو.

كان الشاب من المتحمسين للقومية العربية وأفكارها وشارك في مظاهرات شعبية للدفاع عن عرب الأهواز في أيام الثانوية لكنه سرعان ما تراجع عن الاستمرار في النشاط السياسي والمشاركة فيه بعدما سمع عن اعتقال متظاهرين وآخرين أعضاء في تنظيم سياسي. وكان تراجعه ناجمًا عن خوف وهيستريا تكوَّنت عند معظم الناس خلال السنين الماضية كان سببها قصصًا وحكايات تحكى عن الأساليب التي يعذب بها السجناء السياسيون والإعدامات الرهيبة ولكنه رغم ذلك بقي يحب ويؤيد الأفكار القومية ويتابع تطورات القضية الأهوازية.

استمرَّ العم في كلامه بعدما تنحَّى بعيدًا عن صينية الطعام وخاطب الشاب بلهجة الكبير الذي يحدث الصغير كأنه تذكَّر شيئًا مهمًّا:

- انتبه جيدًا لما يدور حولك في الشركة، يقال: إن هناك تحركات سياسية، ونشاطًا وهَّابيًّا!

لم يحبذ الشاب لهجة كلام عمه وشعر أنه يريد أن ينتقم منه لما بدر منه من كلام عن شركة النفط ورواتب موظفيها قبل قليل، لكنه لا شعوريًّا تذكَّر حديث النجار وما دار بينه وبين السيد هاشم قبل أيام حول قضية مصادرة الحكومة لأراضي العرب ومشروع قصب السكر. أوشك أن يسأل عمه عن أي نشاط يتحدَّث إلا أن والده تدخَّل بعفوية وهو يخرج من الغرفة وبيده صينية الطعام، وقال:

- ناجي صار حزب اللهى ومن جماعة الحكومة.

لم يعر ناجي كلام والده أي اهتمام وأحس أنه يمتلك الأدلة الكافية للتغلب على العم كما أنه يتوق لرؤيته مهزومًا؛ خاصة أن العم كان من الذين يخافون السياسة بصورة غير طبيعية! اعتدل ناجي في جلسته، وقال:

- لكن كل ما يقال حق، فإن مشروع قصب السكر مشروع استعماري لسلب أراضي العرب، وتغيير ديمغرافية المنطقة وتغيير نسيج الأهواز السكاني.

شعر الشاب أن الكلمات تخرج من فم شخص آخر غيره وعندما سمع صداها يرتدُّ من زوايا الغرفة، استغرب من وقعها في نفسه .

جحظت عينا العم من الدهشة والتفت كالبرق نحو الشاب كأنه أراد أن يتأكد أنه هو الذي نطق بها أم لا. بقي صامتًا لهنيهة، ثم قال:

- كيف؟! هذه الأفكار تودي بك إلى التهلكة، تهلك نفسك وتهلك أهلك وتموت بسبب هذا الكلام في غرف التعذيب و دون أن يعلم بك أحد.

ردَّ الشاب بثقة قائلًا:

- لكني لم أفعل شيئًا.

اندهش العم من برود الشاب وقال:

- هذه الأمور أعرفها أنا جيدًا، فعندما كنت في الكويت، جاءني أحد هؤلاء وطلب مني أن أنضم إلى تنظيمهم الذي كان يعمل لتحرير الأهواز حسب زعمهم. عرفت بعدما شرح لي تفاصيل من التاريخ والسياسة أن مثل تلك الأمور لا تنتهي بعاقبة حسنة، فاعتذرت منه وقلت له: أنا لا أعمل بالسياسة.

وبعد فترة سمعت أنهم اعتقلوا في المحمرة، وأعدم من أعدم والباقون أودعوا في السجون لسنوات طويلة! والشاه بسافاكه الوحشي كان أرحم من هؤلاء! أنصحك أن تنتبه، ولا تفرِّط بوظيفتك وحياتك.

عرف الشاب أن العم كان مثل الكثيرين الذين تعرضوا للإصابة بفوبيا السياسة، ويخشون حتى التحدث عنها بصورة غير معقولة وغير طبيعية! ولذلك لم يشأ أن يضيف شيئًا عندما تدخَّل والده قائلًا:

- بني، أنت الآن بعد تعب وجهود مضنية استطعت الحصول على وظيفة، فلا تخرب ما بنيت بمثل هذا الكلام!

صدَّق العم على كلام أخيه، وجلسوا صامتين حتى سمعوا أذان الظهر، فنهض العم وتبعه أخوه استعدادًا للصلاة.

الفصل الخامس

أخذت شمس الأهواز الحارقة تميل نحو الأفق الغربي للمدينة حتى أشرفت على المغيب وأخذت تختفي خلف الأشجار الكثيفة على جانبي نهر كارون. انخفضت حرارة الجو وأخذ الناس يخرجون من داخل الغرف المكيَّفة إلى الشوارع والأزقَّة والطرقات ويجتمعون على حافة الطرق والأرصفة وعلى أعتاب أبواب بيوتهم يبدِّدون الملل بتتبع أخبار الجيران والتدخل في شؤون بعضهم بعضًا والتسلي بتجاذب أطراف الحديث عن هذا وذاك وقول النكت أو الأشعار. كما أن هناك من كان يبحث عن المتعة واللذة في شيء من المخدرات أو المسكرات، فما إن يختفي لهيب الشمس الحارق حتى ينطلق مع المنطلقين بحثًا عن غايته!

في تلك الساعة يكتظ حي كوت عبد الله بجماعات مختلفة من الناس، فتجد في كل ركن شبابًا مجتمعين لا همَّ لديهم سوى التجمع هناك و تجد الأرصفة مكانًا يتجمع عليه الشيوخ. كما أن عتبات البيوت وما يحاذيها من أرصفة مكان يتخذه النساء للجلوس و رصد ما يدور في الحي من حراك اجتماعي وتطور في العلاقات الأسرية والاجتماعية! وإذا مرَّ غريب بتلك المنطقة لا يعرف شيئًا عن ثقافة الناس في حي كوت عبد الله والأحياء التى تحيط بمدينة الأهواز، يظن للوهلة الأولى أنه نُفخ في الصور وأنَّ حدثًا ما قد وقع وأخرج الناس من بيوتهم إلى الشوارع وسيبقى مندهشًا ومستغربًا، يبحث عن سبب خروج الناس إلى الشوارع حتى يعرف أن الحي يفتقر إلى النوادي والمقاهي أو أي نوع من الأماكن الترفيهية، فيدرك جيدًا الأمر الذي يدفع الناس بكل الفئات إلى الانتشار في الشوارع والطرقات ويفهم أن ذلك يمثِّل جزءًا من حياة الناس الاجتماعية.

كان الركن المحاذي لحانوت أبي حوجيم أحد هذه الأماكن التي يتَّخذها عدد من شباب الحي مكانًا للتجمُّع والتحدُّث حول شتى المواضيع. كان ناجي السرحان قبل انخراطه في العمل مع المندوب ومجموعة من الشباب لا يبرحون هذا المكان إلا حين يشتدُّ الحرُّ ويصبح المكان أشبه بجهنم لا تُطَاق أو عندما يتعبون ويريدون الإيواء إلى فرشهم في منتصف الليل. كما أنهم كانوا يتغيَّبون عن المكان مرغمين إذا أصابهم مرض أو حدث ما يشغلهم من شؤون الدنيا لكن ناجي حاول الإقلاع عن هذه العادة منذ أن بدأ العمل مع المندوب في اللجنة الانتخابية وبذل جهدًا كبيرًا لترك عادته هذه، فهجر الركن وأصحابه إلا أن نفسه ظلت تنازعه لزيارة المكان ولقاء أصحابه كلما تذكَّر الأيام الخوالي والضحكات العالية التي كان ناجي و من معه يطلقونها لسبب أو ربما دون أي سبب، فقط لأن جيوبهم فارغة وحياتهم أكثر فراغًا!

الملل والفراغ اللذان ألمَّا به في مساء يوم الجمعة بعد مغادرة العم جعلاه يتذكَّر الركن وأيامه والنكت والسخرية والضحك، فداهمته رغبة ملحَّة للتوجُّه إلى ركن أبي حوجيم ولقاء أصدقائه. حاول طرد فكرة التوجه إلى الركن إلا أنه لم يستطع مقاومة تلك الرغبة الجامحة وما هي إلا دقائق حتى وجد نفسه سائرًا نحو المكان بعدما خلع الدشداشة وارتدى ملابسه المفضَّلة بنطال الجينز والتي شيرت وسرَّح شعره الفاحم بعناية وفي غمضة عين سلَّمته أزقة كوت عبد الله الضيِّقة إلى شارع السوق، فشعر براحة كان قد فارقها زمنًا طويلاً.

اقترب من ركن الشارع ورأى مجلس الأصدقاء منعقدًا على رصيف عريض قرب حانوت أبي حوجيم و كان المجلس عامرًا بالنكت والسخرية كعهده به سابقًا. كان أصدقاؤه رسول ومسعود وفريد مجتمعين خلف حانوت أبي حوجيم، يتكلَّمون

ويضحكون بأصوات عالية ولولا ضجة السوق وصخب الباعة وأصوات محركات الدراجات النارية والسيارات لاستطاع سماعهم حتى وهو في بيته و ربما لأزعجت أبا حوجيم الجالس في حانوته و لخرج إليهم يسبُّ ويشتم وينعتهم بأقبح الأوصاف.

تنفَّس الصعداء وأحسَّ أن شيئًا ما يربطه بجمعهم وأنه يتعلق بهذا المكان؛ هنا يستطيع قول ما يريد أو شتم من يريد وأن هؤلاء هم أصدقاؤه الحقيقيون، شعر براحة نفسيَّة لم يشعر بها منذ أن تعرَّف إلى المندوب وانهمك في حملته الانتخابية.

اقترب إلى جمع أصدقائه، فرحبوا به ترحيبًا حارًّا واستقبلوه معاتبين وسائلين عن صحته وسبب غيابه وانقطاعه عن جمعهم.

رسولٌ صديقه الحميم كان أحبَّهم إلى قلبه، ربَّت على كتفه وخاطبه بصوته الأجش:

- أهلًا وسهلًا، سمعنا أنك تحولت إلى واحد من رجال الثورة الإسلامية!

مسعود وهو يداعب مسبحته بأطراف أنامله قال له بصوت أقرب إلى الهمس:

- يا ليته يصبح من رجال الثورة ويجد لنا معه عملًا.

ضحك الجميع وضحك ناجي ضحكة دارى بها إحراجه بعدما خاطبه فريد مستهزئًا:

- أرجو أن لا تتجسَّس علينا! فنحن أصدقاؤك!

وانفجر الجميع ضاحكين مرة أخرى عندما قال له فريد:

- أظنه اليوم في مهمة للمخابرات!

لكنَّ رسولًا تدخَّل قائلًا:

- لا! ناجي لا يفعل مثل هذا، لكنَّ المصلحة هي التي دفعته نحو الجماعة.

فردَّ فريد قائلًا:

- ونخشى أن تدفعه المصلحة أيضًا إلى كتابة تقرير أو تقريرين للمخابرات، فيودي بنا إلى الأملح (السجن).

ضحك الجميع حتى أنَّ رسولًا لم يتمالك نفسه وضحك لكنه سرعان ما أمسك عن الضحك حين رأى بوادر الانزعاج على ملامح صديقه.

انزعج الشاب من كلام فريد انزعاجًا بَدَا على ملامحه وربما لو صدر مثل ذلك الكلام من رسولٍ لما أغضبه، فرسولٌ شابٌ مثقَّف نسبيًّا وشاعر شعبي. أما فريد فكان مستهترًا إلى أبعد الحدود همُّه الوحيد أن يسكر ويسخر من هذا وذاك ويُضحك الآخرين ويضحك، وحديثه مع ناجي كان في ذاك السياق.

شعر ناجي بحرارة ترتفع في داخله، أحسَّ بندم على قدومه إلى ذلك المكان، تنهَّد بصوت مسموع ثم خاطب فريد الذي كان يتلذذ بما أحدث كلامه من تأثير في النفوس:

- أنت لا تفهم للمسوؤلية أي معنى ولا تعرف قدر نفسك، فوالدك يكدح في الغربة وأنت تبعثر بالأموال كيفما تشاء.

ضحك فريد ضحكة عالية خرج على إثرها أبو حوجيم من حانوته وأخذ يشتم فريدًا بصوت عالٍ وينعته بأقبح الأوصاف ويتهمه بالسكر والعربدة وتعاطي المخدرات، الأمر الذي لم يلاقِ أي ردَّة فعل من فريد سوى أنه أخذ يضحك

بصوت أعلى وكأن في قرارة نفسه يحب أن يقال عنه سكِّير ويمتلك قدرة عظيمة على شرب الخمر ويتفاخر بذلك.

توجَّه ناجي ناحية مسعود ورسول وخاطب فريدًا قائلًا:

- الذي يسمعه يقول إنه مسؤول تنظيم سري.

انتبه فريد وتوقَّف عن الضحك وردَّ عليه قائلًا:

- على مهلك، كان ذلك مجرد مزاح لا غير.

مسح ناجي قطرات العرق التي تجمَّعت على جبينه على إثر الغضب وحرارة الجو ثم تنهَّد وهزَّ يده ساخرًا وقال:

- أنت يا فريد لم تعرف الحاجة إلى المال في يوم من الأيام ولم تعش وجيوبك فارغة والفضل يرجع لأبيك، فأبوك - الله يحفظه- يرسل لكم ما تريدون من الكويت أما نحن مضطرون للعمل ومن أجل الحصول على عمل يجب علينا أن نتخلَّق بأخلاقهم حتى يحسبوننا منهم هكذا هي الأمور. تصوَّر يرفضون توظيفك لمجرد أنك ترتدي قميصًا بأكمام قصيرة أو أنك لا تعرف كيف تصلي أو تصوم.

صدَّق رسول على كلام ناجي بإيماء من رأسه الكبير، فاهتزَّ شعره الكثيف المفلفل ثم قال:

- هذا صحيح تمامًا، أعرف صديقًا لم يتمكن من اجتياز امتحان العمل كعامل تغيير وإصلاح إطارات السيارات إلا حين أجاب عن عدد من الأسئلة حول الدِّين والصلاة ويقول صديقي: لقد كان آخر سؤال وجِّه إليه بعدما أجاب عن جميع الأسئلة: ما لون باب المحل المخصَّص لإقامة صلاة الجمعة؟

علَّق فريد بسخرية:

- أعتقد أنهم يظنون أن إطارات السيارات تشبه عمائم الملالي.

ضحك الجميع وقال مسعود وهو يحرك مسبحته بعصبية:

- ما علاقة عامل تبديل إطارات السيارات بصلاة الجمعة؟ حمق وكذب ودجل!

استمر فريد:

- لماذا تستغربون الأمر؟ العمائم كإطارات السيارت تمامًا، مثلًا عمامة ملا اعياده هي عبارة عن إطار سيارة بيكان لكنها لديها القابلية لكي تتطور وتصبح إطارًا لسيارة بيجو ثم تأخذ نموها الطبيعي حتى تصبح كإطار الشاحنة، حينئذ يصعب التصدي لها وتبدأ هذه الشاحنة بدهس ما تريد ومن تريد ولا أحد يمكنه اعتراض طريقها مثل عمامة أيرفرانس!

صدرت ضحكات عالية من الشباب في ركن الشارع حتى أن ناجيًا لم يتمالك نفسه و ضحك بصوت عالٍ حتى دمعت عيناه لما وجد في الأمر من سخرية.

لكنَّ رسولًا لم يعجبه ضحك أصدقائه ورد عليهم بشيء من الحدة والامتعاض:

- لا تسخروا من العمائم، هذا لا يجوز شرعًا والعمامة تمثل الإسلام ورسالته السمحاء.

تقطَّع ضحك الأصدقاء بعد تعليق رسول لكنهم لم يردوا عليه باستثناء فريد الذي قال:

- كل مشاكلنا من العمائم والدِّين، كل المصائب بدأت عندما جاء هؤلاء إلى الحكم، في زمن الشاه كان الوضع أفضل بكثير من الآن.

- الدِّين والعمائم شيء وهذه الحكومة شيء آخر، إنها لا تمثل الإسلام الصحيح والدِّين والعمائم الحقيقية بريئة من أعمال الحكومة التي تدَّعي الإسلام. قبل أن تأتي الثورة هذه، كان الناس يصلُّون ويعبدون الله بإخلاص لكن الآن أصبح الدِّين مزوَّرًا وغير حقيقي ولا يمكن تمييز المنافق من المؤمن الصادق نتيجة لتدخل الدِّين في جميع شوؤن الحياة وربط المصالح بالإيمان والدِّين.

علَّق الجميع على كلام رسول إلا ناجيًا الذي بقي في صمته وكاد أن يشن هجومًا على الدِّين ويصفه بأفيون الشعوب إلا أنه تذكّر أن عمله في شركة قصب السكر يحتم عليه أن لا يبوح بجميع معتقداته ففضل أن يلوذ بصمته بدلًا من أن يقول كلامًا ربما يُحاسب عليه ويؤثر سلبًا على عمله في المستقبل! ارتفعت أصوات الأصدقاء وتحوَّل حديثهم إلى صخب وضجة لم تهدأ إلا عندما انعطفت سيارة أميركية فارهة من الطريق الرئيسي من جهة اليمين وسلكت الطريق المؤدي إلى ركن الشارع، كانت السيارة تسير ببطء ولا يسمع لمحركها أي صوت وكأنها طافية على سطح الماء! اقتربت ومرت بهدوء من أمام الأصدقاء الذين شد انتباههم وجود وجوه جميلة داخلها وصمتوا جميعًا وأخذت أعينهم تتبع السيارة وتتطلَّع إلى داخلها، اشرأبت الأعناق وكثرت التساؤلات وأغنت ملامح الوجوه الألسن عن التحدُّث بما يعتلج في الأفئدة « أمام أي بيت ستتوقف هذه السيارة التي تحمل بداخلها ما تحمل من وجوه جميلة؟«

كان كلُّ واحد منهم يحاول أن لا تفوته لحظة واحدة من ذلك المشهد، كانت الوجوه الجميلة صيدًا شهيًّا لعيونهم النهمة! كان شباب ركن أبي حوجيم خلافًا لمعظم الشباب الذي يتجمعون في الطرقات والشوارع يعتبرون أنفسهم من أنبل وأفضل الشباب الذين لا يزعجون ولا يعاكسون أي أنثى وحقيقة كانوا كذلك إلا أنهم أحيانًا لا يستطيعون مقاومة رغباتهم ويفشلون في كبح جماحها، فيطلقون لعيونهم العنان لتتفرج من بعيد على كل ما هو جميل! كما أنهم ما إن تقبل امرأة أو فتاة جميلة غريبة حتى يصبّوا كل انتباههم لمعرفة تفاصيل حياتها وحياة أسرتها وأهلها، وما ينتهون من حديثها إلا بعد تداول سيرتها وسيرة أهلها كافة .

أخذ الشباب يتبعون السيارة بأعينهم حتى توقفت في منتصف الشارع غير بعيد عن مكان وقوفهم أمام بيت لا تزال قطع قماش عزاء كثيرة معلقة على جدرانه الآجرية كدلالة على مكانة المتوفَّى وثروته .

نزلت من السيارة امرأة ممتلئة بملابس فاخرة ثم تبعتها فتاة أنيقة بعباءة خليجية، كانت أساور ذهبية تشع في يدها التي خرجت قليلًا من العباءة وتعكس خيوطًا من أشعة الشمس وتبعهن شاب أنيق كان يضع نظارة شمسية فاخرة. جلبت الرياح رائحة عطر زكية لم يصعب على الشباب معرفة مصدرها، فقال أحدهم: إنها رائحة عطر بوس وقال الآخر: لا إنها جووب! و اختلفوا فى تحديد ماركة العطر!

أطرق الشباب عندما همَّت العائلة بالدخول بعد ترحيب من قبل أصحاب البيت، ترامت إلى أسماعهم كلمات كانت عربية بلهجة خليجية، كانت الفتاة تتكلم بصوت واضح تمكَّن ناجي ومن معه سماعه جيدًا، كانت الملابس السود تبرز بياض وجهها ويديها التي خرجت من تحت العباءة.

حاول الجميع أن يدققوا فيما يرون وهم يستمعون بدقة إلى فريد الذي راح يعلق على المشهد:

- هذه عائلة حاج نجفي وهذه زوجته أخت الحاج محمد الذي توفي قبل عشرين يومًا. العائلة كلها تعيش في الكويت ويملك الحاج نجفي محلات ورخصة للتصدير والاستيراد يعمل بها أولاده لكنه طماع ولا يعرف لجمع المال حدودًا! تصوَّر بعدما توفي الحاج محمد، أجبر حاج نجفي زوجته على المطالبة بحصتها من الإرث وطلب منها أن تأخذ قطعة الأرض الواقعة على ساحل نهر كارون حتى يحولها إلى مشروع سياحي! لكن أبناء الحاج محمد رفضوا ذلك وأعتقد أن هذه الزيارة تأتي في ذاك السياق، وهذه بنت حاج نجفي جميلة جدًّا وتتكلم العربية بطلاقة لأنها نشأت وترعرت في الكويت ولا بدَّ أن أباها ينتظر لها عريسًا غنيًّا وربما يفضِّل أن يكون كويتيًّا.

أخذ الأصدقاء يراقبون حركات وسكنات الفتاة بدقة وكأن هناك شيئًا ما يدور في قلوبهم ولم تمضِ هنيهة حتى فضحت الألسن ما دار في القلوب وكان فريد أقلهم صبرًا على احتمال همسات قلبة:

- يرزقك الله هكذا حبيبة فتتزوجها!

ردَّ عليه مسعود:

- إلا إذا أصابها هي وأهلها قحطًا في الرجال!

قال رسول:

- كمال وجمال وجاه ومال! اجتمعت عند الفتاة وأنت في المقابل ماذا عندك؟

ردَّ فريد:

- أنا لديَّ الرجولة والجمال والخُلق الجميل.

ردَّ عليه مسعود:

- وسكر وعربدة وأكل من تعب الآخرين كلها مزايا لا تجتمع عند أحد.

ضحك الجميع ضحكة عالية، تظاهر فريد أن كلام وضحك أصدقائه جرح مشاعره فردَّ عليهم قائلًا:

- مستحيل أن أتزوج فارسية، أخلاقهم لا تتلاءم مع أخلاقنا ونحن أفضل منهم بكثير، فهم بخلاء وطمَّاعون يكرهون الضيف أما نحن فالضيف عندنا مكرَّم ومعزَّز، وهذه الفتاة لها أب كان ولا يزال عنوان اللؤم، رغم ثروته في الكويت وإيران فإنه لازال يطمح إلى امتلاك قطعة أرض واقعة على ساحل كارون؛ حتى يحولها إلى مشروع تجاري ولا يردعه رادع وهو في السبعين من عمره!

لكزه مسعود بخاصرته وخاطبه بسخرية:

- ما ينوش العنقود يقول حامض!

كلام فريد حول والد الفتاة وجشعه لفت انتباه ناجي وجعله يغيب عمَّا يدور حوله ويغوص في تفكيره حول علاقة الإنسان بالمال، كان يفكِّر في هذه العلاقة المشوؤمة التي تجعل الفرد يسحق كل شيء في سبيل الحصول على المال وتذكر مواقف لا تعد ولا تحصى لأناس تحوَّلوا من بشر يتحكمون بالمال إلى بشر تتحكم فيهم الأموال وآخر ما انتهى إليه تفكيره كان ما ورد على لسان صديقه فريد: "هل يمكن أن يبلغ به الطمع تلك الدرجة التي بلغها حاج نجفي؟ فبدلًا من أن يواسي أهل

المرحوم، أخذ يطالبهم بالإرث! هل المال كل شيء في حياة الإنسان؟".

واستمر حديث الأصدقاء بينما أخذ الليل يخيِّم على الحي الذي راح يدخل في صمته الليلي، بدأ أطفال الحي بالانصراف إلى البيوت وأخذ يرجع معظم زبائن السوق إلى أهلهم بينما أخذ الباعة يستعدون للمغادرة بعد يوم طويل ومتعب وكان هناك أيضًا من يحاول إضاءة سقيفته بمصابيح كهربائية كي لا يفوته زبائن الليل. سار الأصدقاء بمهل وهدوء على حافة الشارع وأصواتهم تعلو وتنخفض وتملأ المكان وأطرافه صياحًا وضجيجًا، خرج على إثره أبو حوجيم من حانوته ونادى بصوت عال مخاطبًا فريد الذي كان يضرب بمسبحته جماعات البق الذي أخرجها من مخابئها غياب الشمس: عليك مئة ألف رالم لازم تدفعها قبل نهاية الاسبوع.

- متى أصبحت مئة ألف؟! إنها سبعون ألفًا فقط.

- وعلبة السجائر وخمسة علب عصير البرتقال التي أرسلت أخاك لشرائها قبل بضعة أيام؟!

صمت فريد للحظة وتظاهر أنه يضغط على نفسه لكي يتذكَّر ثم قال:

- نعم، تذكرت! سأدفع لك قريبًا إن شاء الله.

وعند نهاية الشارع ودَّع ناجي أصدقاءه وسار نحو البيت بعدما بدَّد جزءًا من ملل مساء يوم الجمعة مع أصدقائه.

الفصل السادس

بعد أذان الصبح بلحظات يبدأ العمال والموظفون في حي كوت عبدالله بالخروج من البيوت ويهمُّون بالسير بالشوارع التي ما زال الظلام يغشاها نحو محطة الباص على حافة طريق كوت عبدالله، عمَّال النظافة أول من يتوجه إلى عمله ثم يليهم عمال المخابز والأفران ويستمرُّ تدفق الناس إلى محطة الباص حتى شروق الشمس أي موعد موظفي الحكومة للذهاب إلى الدوام الرسمي في دوائر الدولة في الساعة السابعة حين تزدحم محطة الباص في تلك الساعة وتتحول إلى محل لعقد اللقاءات السريعة وقول النكت العابرة وتبادل أخبار الجيران والتدخل في شأن هذا وذلك. كان ناجي السرحان منذ أن توظَّف في شركة قصب السكر واصبح واحدا من ذلك التيار العارم منطويا على نفسه ولم يسبق له أن تحدَّث مع أحد من الناس الذين كان يصادفهم بالمحطة وكثيرًا ما كان يغضُّ الطرف عما حوله أو يكتفي بتحية عابرة يلقيها بسرعة وينصرف.

لكن في ذلك اليوم وصل الشاب إلى المحطة مبكرًا فوجد المكان خاليًا تمامًا إلا من عامل تنظيف كان منهمكًا بتصليح عربته، فنظر إليه نظرة عابرة فوجده يحملق فى وجهه، انزعج ناجي من نظرات عامل النظافة وحوَّل بصره عنه بسرعة وأسند ظهره إلى حائط كراج مرتفع، وأخذ يتأمَّل السيارات التي كانت تمرُّ من أمامه بسرعة.

لم تمضِ لحظات قليلة حتى بدأ يتوافد على المحطة عمال شركة قصب السكر وأخذوا يتجمَّعون قرب الكراج وحول الطريق العام يدخنون ويصرخون ويضحكون ويشتم بعضهم بعضًا. معظمهم كان يحمل طعامه في أوانٍ كانت ملفوفة بقطع

قماش لكي يوفِّروا على أنفسهم ثمن الأكل في مطعم الشركة وكان معظم هؤلاء من عمال قسم حصاد قصب السكر أو المساحات الخضراء الذين كانوا يحسدون الموظفين على سهولة عملهم وكثرة رواتبهم.

كان ناجي واقفًا يستمتع بجو الصباح ونسماته المنعشة محاولًا في الوقت نفسه عدم الانتباه إلى ما يدور حوله من شغب وثرثرة، كان سارحًا في عالم الخيال عندما اقترب منه رجل في الخمسين معتمرًا كوفية ومرتديًا بنطالًا وقميصًا ممسكًا بقطعة قماش كان إناء طعامه ملفوفًا بها. ألقى عليه الرجل التحيَّة، أنزل ناجي رجله التي كان يسندها إلى جدار الكراج وابتسم ورحَّب بالرجل وردَّ عليه تحيته لكنه بقي صامتًا يفكِّر في سبب قدوم الرجل أهو فضول أم شيء آخر حتى كسر الرجل الصمت وقال:

- أنت موظَّف جديد؟ لم أرك من قبل تَرَكَبُ حافلة الشركة!

- نعم، توظَّفت منذ أقل من شهر .

- الله يوفقك!

- وانت هل تعمل فى الشركة؟

- نعم.

- كيف العمل في الشركة؟

- لابأس به، لكن الراتب يتأخَّر كثيرًا، مضت ثلاثة شهور دون أن نستلم ريالًا واحدًا، لكن لا يوجد عمل لذلك نحن مضطرون للعمل في هذه الشركة.

استغرب ناجى من كلام الرجل واعتراه إحساس غريب «تبحث عن عمل ثم تجد العمل لكن الراتب يتأخر!» أراد أن يعرف ما إذا كان للرجل عمل آخر أم أنه يعتمد فقط على عمله في الشركة؟ فسأله:

- ماذا تصنعون إذا تأخر الراتب ثلاثة شهور؟

- ماذا نصنع؟ ننتظر ونحاول أن نتدبَّر أمرنا!

- ألم تنظموا احتجاجًا أو شيئًا من هذا القبيل لكي تضطر الشركة لدفع رواتبكم بوقتها المحدد؟

اقترب منه الكهل بعصبية وربَّت على كتفه وخاطبه بصوت هادئ قائلًا:

- الاحتجاج هنا ليس له نتيجة وليس هذا فحسب وإنما تلصق بك تهمة السياسة والعمل ضد الحكومة. قبل شهرين كان أحد العمال يحاول تنظيم العمال للاحتجاج على الشركة لعدم دفع رواتبهم لمدة ثلاثة شهور، استمر الرجل يحرض هذا وذاك حتى بلغ الأمر حراسة الشركة و حراسة الشركة لم تقل له شيئًا وإنما أرسلت تقريرًا عنه للمخابرات وأطلعتها بتفاصيل تحركاته وفي إحدى الليالي اعتقل الرجل هذا ولم يفرج عنه إلا بعد عدة شهور وهو مهان ومحطَّم؛ فقد المسكين وظيفته وسجَّلت تهمة العمل السياسي ضد الحكومة والتحريض على أمن البلد في سجله وبقي حائرًا لا يعرف إلى أين سيؤول مصيره.

ابتلع الشاب ريقه وأراد أن يقول شئيًا إلا أن الرجل قاطعه قائلًا:

- أحذِّرك من هذه الأمور لأنها دون جدوى، كل شيء إلا السياسة.

- لماذا؟ هل تعني أنه لا يحق لأحد أن يطالب بحقه؟

- هنا لا يوجد حق! المسوؤلون في الشركة كلهم على علاقة بالحكومة وأي احتجاج على سياستهم يُفسَّر على أنه تحريض على الحكومة ونحن - كما ترى- ليس لدينا القوة لمواجهة الحكومة.

أدرك الشاب أن الرجل من المحتجين على الحكومة لكنه كان مصابًا بفوبيا السياسة لذلك أراد أن يعرف رأيه بالنسبة لقضية الأهواز وحاول أن يظهر سؤاله وكأنه ناتج عن حب الاستطلاع:

- يقال إن الشركة أخذت أراضي العرب بالقوة لكي تغيِّر النسيج السكاني وتستبدل العرب بفرس. هل هذا صحيح؟

وضع الرجل علبة السجائر في جيبه بعد أن أخرجت أصابعه سيجارة من داخلها ثم بحث عن الولاعة ليشعل سيجارته، نظر إلى ناجي وأشعل سيجارته بسرعة ثم قال:

- نعم هذا صحيح، حدثت اضطرابات واحتجاجات على هذه السياسة لكن من يسمع صوتنا؟

رد عليه ناجي باستغراب:

- عجيب! هل حدث هذا بالفعل؟

أخذ الرجل نفسًا عميقًا من سيجارته ثم نفخ الدخان بعيدًا فتشكلت على مقربة من محل وقوفهما هالة دخان، ثم ضيّق عينيه و نظر الى ناجى بدقة و قال:

- لماذا تسأل مثل هذه الأسئلة؟ ألم تكن هنا؟

رد عليه الشاب بسرعة حتى لا يثير شكَّه وقال:

- في الحقيقة لم أكن هنا! كنت في الخدمة العسكرية في كردستان.

رد الرجل قائلًا:

- أنا أقول لك، أنا كنت أسكن إحدى القرى التي جرفتها شركة قصب السكر، لم يوافق جميع الناس على بيع أراضيهم وأُخِذت أراضيهم بالقوة وحدثت احتجاجات واعتقلت الحكومة عددًا من الفلاحين العرب لكن نحن لا حول لنا ولا قوة. ماذا يمكننا أن نفعل مع حكومة تمتلك جيشًا ومخابرات وكلَّ شيء؟! في النهاية سلَّمنا لهم الأرض وها نحن كما ترانا نشحذ على أبواب شركتهم بعدما كنَّا أسيادًا نزرع أرضنا ونحصد خيراتها!

هزَّ الشاب رأسه تأييدًا لكلام الرجل وقال:

- نعم بالفعل ليس بإمكاننا فعل شيء!

نظر الرجل في عيني الشاب وقال بصوت أقرب إلى الهمس:

- أرجو أن يبقى هذا الكلام سرًّا بيننا ولا تبوح به لأحد، فأنت تعرف أنا رجل لدي خمسة أطفال، ماذا أصنع إذا أرسل أحدٌ من هؤلاء الذين لا يخشون الله تقريرًا عن كلامي هذا إلى حراسة الشركة والشركة مليئة بالجواسيس؟!

أشفق ناجي على الرجل وعلى الآلاف الذين يعيشون مثله، أشفق على طريقة تفكيره« إنهم حتى يخشون التحدُّث عن حقهم فكيف بهم إذا أرادوا أن يفعلوا شيئًا أو يحركوا ساكنًا؟!» ومن أجل أن يطمئن الرجل قال ناجي بصوت أقرب إلى الهمس أيضًا:

- اطمئن! سرك في بئر ولن يطَّلع عليه أحد.

- لا يمكن الوثوق بأحد في هذه الأيام وأنت ترى الأمور كيف تسير.

قال الرجل جملته الأخيرة وهو ينظر إلى مجموعة رجال كانت تقترب منهم فعرف الشاب أن الرجل يقصد القادمين، كان أحدهم يرتدي ملابس عسكرية وينادونه "الحاج علي" نظر ناجي إليه مليًّا« نسخة طبق الأصل، تظاهرٌ بالتديُّن، تملُّق، طمع وازدواجية في كل شيء، ها هي مواصفاتهم الرئيسية! كلهم هكذا! كم أمقت هذا الصنف من الناس..!» ألقى الشاب نظرة على ملابسه وتذكَّر أنه سائر في نفس النهج أيضًا، لحية طويلة وملابس حزب الله وغدًا...

اعترته حالة كآبة عندما تذكَّر كيف أدّت به الظروف إلى هذه الحال، لكن مجيء حافلة الشركة أنقذه من ذلك الموقف، فهرع نحو الحافلة لا يلوي على شيء كأنه كان يحاول الهروب من تفكيره.

دخل قسم العلاقات العامة فوجد الرئيس جالسًا خلف طاولته بوجه متجهِّم ينتظر شاي الصباح. ألقى التحيَّة عليه فردَّ تحيته وردَّها أيضًا السيِّد هاشم بصوت عالٍ وابتسامة. نظر إليه ناجي وابتسامة تعلو شفتيه ثم جلس إلى مكتبه.

عرف من مجيء الرئيس المبكر وبقائه في مكتبه أن هناك أمورًا جديدة يريد قولها، فالرئيس عادة يتناول شاي الصباح والفطورمع المدير العام في مكتب المدير.

ارتشف الرئيس من قدح الشاي ثم نظر إلى السيد هاشم وناجي والحاج رجب وأعطى صوته نبرة رسمية وقال:

- أرجو من الإخوة أن يهتموا بعملهم فقريبًا - إن شاء الله- سوف يزور الشركة وفد من العاصمة وأريد أن تكون الأمور

على أحسن حال عند زيارة الوفد، فهم ربما يتفقَّدون عملنا وأرجو منكم أن تقوموا بواجبكم على أحسن وجه.

ارتشف الرئيس من قدح شايه الذي كان أمامه ثم استطرد وعيون موظفيه الثلاث ترقبه بلهفة:

- كما يسعدني أيضًا أن أنقل لكم خبرًا ستفرحون به بلا شك، فمع بداية الأسبوع القادم سننتقل إلى المبنى الجديد وسندوام هناك إن شاء الله، جهِّزوا كل شيء خاصة الملفات وضعوها في صناديق حتى يتم نقلها إلى المبنى الجديد وعليكم أن تبدؤوا العمل اليوم. وأخبركم أيضًا أنَّ موظفًا جديدًا سينظم إلينا في الأسبوع القادم، الموظف جديد سوف يشغل منصب سكرتير الرئيس.

لزم الرئيس الصمت عندما أخبرهم بخبره الجديد كأنه ينتظر ردود الفعل وكان أولها من جانب السيد هاشم الذي كان أقلهم صبرًا على تحمل ما يدور في قلبه فسأل باهتمام:

- متى يأتي الوفد؟

حك المدير رأسه بقلم كان في يده ثم ردَّ عليه بهدوء:

- لم يتضح بعد موعد زيارة الوفد لكنه يأتي قبل نهاية الشهر أي قبل ثلاثة أسابيع.

رفع الحاج رجب نظارته السميكة من عينيه ثم أعادها مرة أخرى وقال:

- هل هناك دوام إضافي أو علاوة على الراتب مقابل مضاعفة عملنا في هذا الشهر؟

ابتسم المدير ابتسامة خفيفة ثم ردَّ عليه:

- أكيد وأنا تحدثت مع المدير العام فيما يخص هذا الموضع لكن أريد عملًا جيدًا في المقابل.

همهم جميع من كان في الغرفة ومن ضمنهم ناجي السرحان بكلمات تأييد واستفسار بعدما نهض الرئيس وهمَّ بمغادرة مكتبه.

دبَّت حركة في العلاقات العامة فور خروج الرئيس صاحبتها ثرثرة واحتجاج على كثرة العمل. وجد ناجي السرحان نفسه أمام أكوام من الملفات والاضبارات تضم أوراقًا ومستمسكات وصورًا وشرع في إنجازها وترتيبها في صناديق خشبية وكان منهمكًا في عمله عندما خطر بباله كلام الرئيس حول الموظف الجديد، أراد أن يستفسر عنه فسأل السيد هاشم الذي كان يقرأ في أوراق ويرقمها:

- من هذا الموظف الجديد؟

فردَّ السيد هاشم باقتضاب:

- إذا لم يكن من جماعة الرئيس فهو أكيد من جماعة المدير وإذا لم يكن من جماعة هذا أو ذاك فمن المؤكد أنه أحد أقارب الذين لهم صلة بأحد المديرين والرؤساء التي تعجُّ بهم الشركة.

- كيف عرفت؟ ربما جاء عن طريق امتحانات التوظيف التي يعلن عنها بين الفينة والأخرى في الجرائد.

ابتسم السيد هاشم ثم قال:

- مستحيل! هنا كل شيء يتم بالواسطة ومستحيل يتوظف شخص دون أن تكون له واسطة. أما امتحان اختبار الأهلية وهذه الأشياء كلها ظاهرالأمر وأما الحقيقة فشيء آخر.

حاول ناجي أن يبدو ساذجًا ويسأل وكأنه لا يعرف شيئًا عمَّا يدور حوله حتى يطلع على أمور ربما كان يجهلها والعلم بها يرضي فضوله بالدرجة الأولى فقال:

- لكن هناك إعلانات للتوظيف تدرجها الشركة بين الفينة والأخرى وقد يكون الموظف القادم جاء عن طريق إحدى هذه الإعلانات.

هزَّ زميله يده ثم أشار برأسه قائلًا:

- لا حبيبي! أنت نفسك لو لم تكن لديك صلة بأحدهم لكنت تتسكع الآن في شوارع كوت عبد الله.

صُعِقَ الشاب من الصراحة التي أحرجته، لكنه دارى إحراجه بابتسامة. كما أدرك السيد هاشم أنه أحرج زميله فأراد أن يخفِّف من وطأة كلامه فقال:

- الجميع هنا يأتي عن طريق الواسطة.

ابتلع ناجي ريقه ثم قال:

- لكن ما معنى إعلانات التوظيف في الصحف؟

- هذه مجرد تبرير و وضع غطاء على ما يقوم به بعض الأفراد في مؤسسات الدولة لأنه بموجب القانون يستوجب على كافة الدوائر والشركات التابعة للحكومة أن تعلن عن الوظائف الشاغرة في الجرائد وباقي وسائل الإعلام حتى يطلع عليها الباحثون عن العمل بصورة متساوية لكن المشكلة تقع خلف الكواليس.

- ماذا تقصد؟

خفض السيد صوته إلى الهمس وقال:

- يعلنون عن الوظائف الشاغرة في الجرائد ويتقدم المئات أو ربما الآلاف من الشباب لملء الوظيفة ويقام الامتحان وتجرى المقابلات لكن في النهاية الأقربون أولى بالمعروف.

نفخ الشاب طويلًا وتظاهر بأنه انصدم واستغرب من الحقيقة التي وضعها زميله أمامه فردَّ دون أن ينتبه إلى مضمون كلامه:

- وهؤلاء المديرون والرؤساء من ينصِّبهم؟

قهقه السيد هاشم بصوت عالٍ ثم قال:

- تريد أن تصبح مديرًا ولم يمضِ على وجودك هنا عدة أيام؟

رمق الحاج رجب من خلف نظارته السيد هاشم وصاح به قائلًا:

- العبوا فيها! دولة وصارت تحت اختياركم.

أطلق السيد هاشم ضحكة ثانية وكانت موجهة للحاج رجب في الدرجة الأولى ثم قال:

- نستطيع ومن لا يستطيع فليضرب رأسه بالجدار.

هز الحاج رجب يده ثم رفع رأسه إلى الأعلى وتمتم وقال: الحمد لله.

استمرَّ السيد هاشم في الحديث وهو يقلِّب أوراقًا كانت على مكتبه ويرمي بعضها في سلة المهملات ويحتفظ ببعضها الآخر في ملف كبير. انتهى من رزمة كانت على طاولته وقال مخاطبًا ناجيًا الذي كان يمسح الغبار المتراكم على مجموعة من الملفات القديمة:

- لا تتصوَّر أن الأمور خارج الشركة فقط تسير عبر الواسطة على العكس داخل الشركة كل شيء يتم عبر الواسطة أيضًا، المناصب توزع كغنائم الحرب والترقيات لا تأتي هباء وإنما على قدر أهل العزم تأتي العزائم.

همس الشاب في إذن زميله وقال:

- أليس هذا ما يسمونه الفساد؟

قهقه السيد مرة أخرى، ازعجت ضحكته العالية الحاج رجب الذي نفخ بصوت مسموع ثم أخرج بحركة سريعة علبة السجاير والولَّاعة واتخذ من ضحك زميله ذريعة للخروج من مكتبه والتدخين وتضييع الوقت، ألقى القلم على الطاولة بعصبية ونفخ ثم نهض وغادر المكتب!

أحسَّ الشاب براحة عندما انفرد بالسيد هاشم وأراد أن يعرف أكثر عمَّا يدور في الشركة فكرر سؤاله مرة أخرى لكن هذه المرة بصوت مسموع:

- أليس هذا ما يسمونه الفساد الإداري والمحسوبية؟

- أين تظن نفسك؟ في سويسرا؟ لا يا عم هنا إيران الإسلامية وهنا خوزستان! كل شيء يتم عبر الواسطة حتى أعلى المناصب في المحافظة تمنح عبر الواسطة ومافيا السلطة مترسخة في كل مكان. المحافظ أو القائم مقام أو رئيس البلدية كلهم مرتبطون بمجموعات تعمل كالأخطبوط! فابن القائد اخطبوط وتمتد فروعه في كافة أنحاء إيران! وصهر رئيس البرلمان اخطبوط آخر وله أيادٍ في كل مكان! وأبناء الوزير الفلاني وزوج بنت الوزير العلاني وكل واحد منهم اخطبوط ويمسك بجزء من موارد البلد ولا تنسَ قادة الحرس الثوري

الذين لهم ما لهم من نصيب في الشركات والدوائر والصفقات والتجارة .

داهم ناجى احساس غريب وشعور بالخيبة والاحباط نتيجة لما قاله زميله ومع أنه اكتسب بعض الخبرة وبعض المعلومات عن كيفية إدارة شؤون البلد خلال مشاركته بالحملة الانتخابية للمندوب الا أن ذلک لم يخفف من وطئة الكلام و تأثيره على مشاعره! تظاهر ناجى بأنه يسمع تلك الحقائق لأول مرة وفي المقابل تشجَّع السيد هاشم من إثر كلامه على الشاب القادم حديثًا للعمل واستمرَّ بلهجة من يعرف كنه الأمور وبواطن القضايا:

- حتى أبسط المناصب يتم منحها عن طريق الواسطة، الترقيات والدرجات كلها عن طريق الواسطة وإذا لم يحظَ أحد بواسطة سوف يبقى في نفس الدرجة دون ترقية سنوات عديدة.

- لكن ما نسمعه في الصحف والتلفزيون يختلف تمامًا عن الذي تقوله أنت.

- دعنى أوضح لك حقيقة، أنا في الخريف القادم أكمل خمس سنوات من العمل في الشركة وخلال عملي هنا عرفت أن الشيء الوحيد الذي يتمُّ العمل عليه هو المصلحة وأما ما سواها فلا وجود له على الإطلاق!

- اللحى والقمصان ذات الأكمام الطويلة وخواتم والصلاة والركوع والسجود.

ابتسم السيد هاشم وغمز وهو يهز رأسه تأييدًا:

- كلها مظاهر وأزيدك من الشعر بيتًا، هناك من يتبوَّل وهو واقف لكنه يتصدَّر المصلين في الشركة!

رنَّ جرس هاتف مكتب السيد هاشم واضطر للخروج بعد مكالمة قصيرة على الهاتف وبقي ناجي وحده في المكتب يتأمل ما سمعه عن الشركة، أذهله حديث زميله مع أنه كان يعتبر نفسه خبيرًا فيما يخص الدوائر الحكومية وشؤونها وبدا له مستقبله قاتمًا في ظل هذا النفاق الذي يسود جو الشركة ومكاتبها. كان في البداية يظن أن ذلك يقتصر على شريحة معينة من رجال الدولة لكنه بعد حديثه مع زميله أيقن أن تمثيله لم ينتهِ وعليه أن يستمر فيه إذا أراد أن يكون ناجحًا في عمله! ورسَّخ ذلك الاعتقاد لقاءه بموظف آخر خلال تناول الغداء الذي أخبره أنه حاصل على شهادة بكالوريوس ويعمل موظفًا عاديًّا منذ سنوات عديدة لأنه ليس لديه واسطة، قال له الموظف: إنه يرفض التملُّق ويعمل بجدٍّ حتى أنه لم يتأخر عن إنجاز عمله دقيقة واحدة لكن لم يحصل على ترقية واحدة ولازال يعمل نفس العمل والمهام التي أنيطت به في يومه الأول بينما زملاء آخرون جاؤوا بعده وبمؤهلات أقل من مؤهلاته لكنهم اليوم فى مناصب عالية لأنهم اتخذوا التملُّق والتزلُّف إلى الرؤساء والمديرين عملًا بدلًا من العمل الجاد!

مالت شمس الأهواز قليلًا وأخذت تميل ظلال الأشياء رويدًا رويدًا لكن ذلك لم يقلل من شدة حرارتها حتى أن ناجي أخذ يمسح العرق من وجهه وجبينه بيده بعدما ابتلَّ تمامًا منديله، نشر المنديل حتى تجففه الرياح وحاول أن يتجنَّب سماع ضوضاء الموظفين العائدين منهكين من عملهم.

أحس بإرهاق شديد كان نتيجة يوم كامل من العمل الدؤوب، أخذ يتأمَّل العمال والموظفين وهم في حركة دائمة وثرثرة لا تنهتي، كانوا منتشرين على رصيف اسمنتي ينتظرون حافلات الشركة لتقلهم إلى بيوتهم. تأمل الضاحك والمتكلم والصامت والجالس والواقف منهم، لم يفوته أيضًا النظر إلى

المديرين والرؤساء العادين إلى بيوتهم بسيارات الشركة الخاصة أو بسيارتهم الفارهة والمكيفة. قفزت إلى ذهنه كلمات السيد هاشم عن جوِّ النفاق السائد في الدائرة ثم تلت ذلك أحاديث الموظف صاحب شهادة البكالوريوس الذي ما زال يعمل كموظف بسيط، كانت الكلمات تأتي وكأنها مسجلة على شريط صوتي لا يسمعه أحد إلا هو وحده.

"كيف يمكن للإنسان أن يتخذ المراوغة والازدواجية وكل هذه الصفات الذميمة أخلاقًا حتى أنها تصبح بحكم التكرار عادة؟!" نظر إلى أكمام قميصه كانت متسخة قليلًا في أطرافها، تذكَّر يوم مقابلة المدير وكيف كان يتظاهر حتى يتم توظيفه، أحس بتأنيب ضمير ينهشه نهشًا!«لا شك أني أرتدي هذه الملابس لكي يظن الرئيس والمدير وكل من في الدائرة على أني ملتزم بالإسلام! بينما أنا حتى إذا قُدِّر لي أن ألتزم بشيء لا شك أنه ليس الإسلام الذي يدعو له النظام والحكومة!» حاول أن يطرد هذه الأفكار حتى يتخلص من نوبة تأنيب الضمير التي ألمَّت به. كانت الحرارة شديدة والجو ملتهبًا. نظر من مكانه في حافلة الشركة إلى الأرض الجرداء والسراب والحرارة المتصاعدة من الأرض كأنها السنة لهب. شعر بدوار شديد رافقه قلق كان يعتريه عندما يفكر بالأمراض الخطيرة والمعدية! حاول أن يتقبّل ما يدور حوله بصدر رحب لكنه أخفق فى تقبل ذلك أو تقبّله بفكر مشوَّش وضمير معذّب! حاول أن يوقف تيار أفكاره لكنه لم يتمكن أيضًا. تذكَّر مجيئه في الصباح حينها كان سالمًا معافى، حاول أن يجد سببًا لما ألمَّ به لكن مرة أخرى أخذ شلال الكلمات والأفكار ينهال على رأسه ويغمره بحالات لم يعرفها ولم يجربها من قبل. أسند رأسه إلى خلفية المقعد الأمامي في الحافلة، بدأ حديث الموظف الذي كان جالسًا إلى يمينه كأنه همهمة مزعجة مثل عواء كلب في مكان قريب في قرية نائية، أحسَّ أنه يمقت الحافلة ومن فيها، حاول أن يغلق عينيه متصوِّرًا

نفسه في مكان آخرحتى يغيب عن المكان، انهمرت عليه دفعة جديدة من الأفكار"هل هذا ما خلقنا من أجله؟ إذا كنت تريد أن تبقى حيًّا فعليك أن تضع قناعًا على وجهك لكي تخدع الآخرين، إن لم تفعل تموت جوعًا! تبًّا لهم يضربون في موقع الألم! يحرمونك من الغرائز وغرائز الإنسان هي ضعفه الأساسي، جوِّع كلبك يتبعك. هذا منطقهم ومنطق حكومة بأسرها. إذن أين الإسلام المحمدي؟ وأين إلا شرقية ولاغربية التي بحَّت في ترديدها حناجر الجماهير في تلك الأيام...؟ كانت شعارات وتبخَّرت في الأيام الأولى وعادت تلك الناس لتترحم على الشاه لأنهم عرفوا الخدعة التي خدعوا بها مثل الأطفال! الشعوب أيضًا أحيانًا تتصرف مثل الأطفال ولا يجعلها تكبر وتعقل إلا كثرة التجارب ولا شك أن الشعوب المتقدمة مثل الكهل الذي جرَّب الحياة واختبرها جيدًا واكتسب حكمة وتجربة كافية للتعامل معها، ولذلك فإن شعبًا متقدمًا مثل الشعب الدنماركي لا يسلِّم أمره إلى ولي الفقيه أو إلى قس في كنيسة!"

أخذت الحافلة تشق طريقها، رياح شديدة الحرارة تعصف بالحافلة وتتسلل إلى داخلها ثم ترتطم بالمقاعد وترتد لتلفح وجوه الركاب. فتح عينه لكي يرى ما بلغته الحافلة من الطريق الأجرد. لمح مقبرة قديمة، كانت المقبرة تعنى له الموت! تذكَّر كلام الشيوعي القديم في شارع نادرى"الموت نهاية الإنسان. لا توجد حياة بعد الموت وما تقوله الأديان عارٍ تمامًا من الصحة والدِّين أفيون الشعوب."

تذكَّر الشيوعي القديم وهو يعرض كتبه على الرصيف ويلقي كلماته غير آبهٍ بالمارة ولا حتى الذين يتصفَّحون كتبه. كان يتحدِّث في ذلك اليوم الممطر حول كيفية خلق الكون من العدم.

حاول أن يربط بين آراء الشيوعي الذي تبنَّاه هو فيما بعد وبين تصرفاته لكي يتخلص من تأنيب الضمير لكن دون جدوى:

"حتى إذا كان الكون والأرض والسماء خلق من العدم، لا يجوز لنا أن نخدع الآخرين. لكن لماذا؟ ربما لأنه يخالف طبيعة البشر أو لأنه يضر بالمجتمع أو ربما لأن الإنسان لا يرضى أن يخدعه أحد لذلك لا يحب هو أيضًا أن يخدع الآخرين!". كان مسندًا رأسه إلى المقعد الأمامي عندما انتشله من أفكاره وخزُ أحد الجالسين جنبه بأن الحافلة وصلت المحطة وحين نظر إليه عرفه إنه الرجل الذي التقاه في الصباح عندما كان ينتظر حافلة الشركة.

عاد إلى البيت منهك القوى فوجد أمه قد أعدَّت الطعام كعادتها فى كل يوم و لم تهتم بكلامه وتأكيده المستمر من انه يتناول وجبة غداء كامله فى الشركة، وما زالت مستيقظة تنتظر وحيدها أن يعود من العمل، وما إن أدخل المفتاح وفتح باب البيت حتى رآها تفتح باب غرفة الجلوس لترى القادم وما إن رأته حتى أن فتحت شفتيها عن ابتسامة تنمُّ عن ودٍّ وحنان.

تناول طعامه دون شهيَّة وغطَّ في نوم عميق لم يفق منه إلا بعد أن غابت الشمس وجمعت خيوطها الذهبية من على الحي القديم وراح ظلام دامس يخيِّم على سمائه المليء بالغبار.

أحسَّ بمرارة في ريقه لم تبددها ثلاث كوؤس متتالية من الشاي الساخن المحلَّى بكمية كبيرة من السكر، أحسَّ أنَّ شيئًا في داخله لا يفارقه ويلحُّ عليه كأنه يطرق بابًا ويريد منه أن يفتحه. حاول أن يتذكَّر أولى إرهاصات ما حلَّ به من وخز وتأنيب للضمير وكان في عجب واستغراب من غياب هذا الإحساس عندما كان يساعد المندوب في خوض حملته الانتخابية وعزا سبب غيابه إلى ترقب الثمرة أي الوظيفة!

أحسَّ برغبة ملحة لزيارة صديقه النجار، لم يشعر بأي شهية لتناول العشاء، أسند رأسه إلى مخدة منخفضة وأخذ ينصت إلى الراديو دون أي تركيز في انتظار حلول توقيت الزيارات الليلية في الأهواز أي حوالي الساعة التاسعة في الصيف والثامنة في الشتاء.

كل ما كان يشغل باله وهو يسير فى أزقة كوت عبدالله الضيقة والمتداخلة بحيطة وحذر، كان يتعلق بما يدور في دوائر الدولة وأروقتها من كذب ومراوغة وازدواجية، كما لم يفته تحضير ما سيقوله في زيارته للنجار من أسباب للتغير المفاجئ الذي حلَّ به في الأوانة الأخيرة كأنه كان يريد أن يثبت براءته لنفسه ويبرر لها باقناع النجار بصحة تصرفاته وربما يرجع ذلك إلى احترام بعض الناس للنجار فؤاد وشهرته في الدفاع عن قضية العرب في الأهواز.

كان النجار فؤاد يحظى بتقدير واحترام الصغير والكبير في حي كوت عبدالله لانتمائه إلى عائلة من شيوخ العشائر التي كانت مقرَّبة للحكومة أيام الشاه مع أن النجار فؤاد رفض الانخراط مع أقاربه في دعم حكم الشاه وانظمَّ لتنظيم معارض له قبل انتصار الثورة بسنوات قليلة وبعد انتصار الثورة شكَّل تنظيمًا سياسيًّا وثقافيًّا للمطالبة بحقوق عرب الأهواز كأقليَّة قوميِّة في إيران وكان ذلك في أولى أيام انتصار الثورة لكنه تم اعتقاله بعد عام من انتصار الثورة بتهمة التجسس والمشاركة في أعمال تخريب وحُكم عليه بخمس سنوات قضاها في السجن وبعد خروجه من السجن واصل نشاطه لكنه فُصل من وظيفته إثر ذلك ولم يسمح له بالعوده للوظيفة الأمر الذي اضطره إلى فتح ورشة للنجاره لاكتساب رزقه.

أحس ناجي أن دقات قلبه تتسارع وهو يقترب من بيت النجار، دخل زقاقًا ضيِّقًا غاطًّا في ظلام دامس ولولا المصباح

المدلَّى من بيت في نهايته لما استطاع أن يجد طريقه نحو بيت النجار ويجتازشبكة أنهار المجاري المبنيَّة على السطح على جانب من الزقاق.

توقف هنيهة قبل أن يطرق باب البيت وكأنه كان يريد أن يرتِّب أفكاره، ارتبك وكاد يقفل راجعًا لكنه تماسك وتقوَّى في آخر لحظة بكلمات ابتدعها ذهنه "أنا لم أرتكب أي جريمة لحد الآن وكل ما فعلت كان من حقي فعله لمكافحة الجوع والفقر الذي ألمَّ بي وبعائلتي".

ضغط على الجرس لمدة أطول بعدما انتظر هنيهة بعد المرة الأولى، وبعد لحظات سمع صوت خطى تسير باتجاه باب البيت الذي سرعان ما فتح وظهر من بينه النجار مرتديًا دشداشة فضفاضة حاسر الرأس فبدا أكبر من سنِّه الحقيقي وبمجرد أن وقعت عيناه على ناجي عانقه بحرارة ورحَّب به ترحيبًا كبيرًا وأدخله إلى بيته ممسكًا بيده اليمنى ولم يستجب لطلب ناجي بتمهيد الدار أي التأكُّد من خلوها من النساء وردّ عليه وابتسامة تعلو شفتيه:

"أنت واحد من أهل بيتي، تفضَّل"!

دخل الشاب باستحياء وبمجرد دخوله عرف أن اثنتين من غرف بيت النجار فؤاد مكيفة، فتنهَّد مرتاحًا حيث إن معظم الزائرين من الذكور يحاولون اقتصار زياراتهم عندما يعرفون أن أهل البيت يجلسون في مكان غير مكيَّف!

رفض أن يجلس على بطانية فرشها النجار إكرامًا له، لكن في النهاية استسلم بخجل أمام إلحاح النجار وجلس على البطانية، أحسَّ بأن إحساسًا جيدًا أخذ يتسرب إلى داخله رويدًا رويدًا. تنهَّد وشرب كأسًا من الماء المثلج قدَّمه له النجار قبل خروجه من الغرفة لإعداد شوؤن الضيافة.

غمره شعور بالارتياح والرضا وهو يقلِّب نظره في كتب النجار في مكتبته في جانب من غرفة الضيوف ثم أخذ يقلِّب بصره في جوانب الغرفة، صور من الطبيعة إلى جانب صورة قديمة لأحد أجداد النجار.

كان يفكِّر فيما يقال عن أقارب النجار وصلتهم باسافاك أيام حكم الشاه عندما دخل النجار فؤاد حاملًا طبقًا كبيرًا من الفواكه ووضعه أمام الشاب قائلًا:

- أهلًا وسهلًا، زارتنا البركة!

ردَّ عليه الشاب وشعر بالإحراج من كثرة ترحيب مضيفه الذي جلس إلى جانبه وتظاهر بالانشغال بالشاي وعدَّته الذي وضعها إلى يساره لكن كانت عيناه تنضح بحب الاستطلاع عن السبب الحقيقي لزيارة الشاب لأنه لم يزره منذ شهور طويلة.

تبادلا بعض المجاملات عن أحوالهما ودار الحديث بينهما عن شتى الأمور ولم تمضِ دقائق حتى أنهمكا في حديث طويل حول أساليب التعليم في الدول المتقدمة. عرف الشاب أن النجار يتحاشى التطرق إلى موضوع توظيفه وعمله في مشروع قصب السكر لأنه لا يريد أن يحرجه. مضت لحظات صمت ونظر ناجي إلى الساعة فوجدها تقترب من العاشرة، خشى أن يداهمه الوقت ولا يستطع قول ما جاء من أجله ويمضي ليلته مثل يومه فريسة لتأنيب الضمير ومشاعر شتى لا يعرف لها بداية ولا نهاية تسري في وجوده وتجعله يمقت كل من يراه في الشركة.

لملم أطراف شجاعته وتشجَّع بحب استطلاع النجار وقال:

- الحقيقة يا أستاذ جئت لأرى رأيك فيما يخصُّ الموضوع الذي حدثتني عنه قبل فترة وأنا متأكِّد أنك تتذكر صباح اليوم

الذي رأيتني في السوق بعد الليلة التي كنا مدعوين في بيت الحاج حمدي.

ابتسم النجار وقال:

- من أنا حتى تريد رأيي؟

ثم قهقه قليلًا بصوت غير مسموع لكنه استعاد صوته الطبيعي بسرعة وأخذ يصغي بدقة إلى الشاب مثبتًا عينيه في عيني محدثه في انتظار نهاية حديثه.

وما إن انتهى حديث الشاب حتى فرك النجار راحتيه ثم صمت لهنيهة ثم قال:

- أتذكَّر ذلك اليوم جيدًا وفي الحقيقة شعرت بالندم عندما حدثتك في الأمر، لأن بعضهم لا يحبُّ أن يسمع مثل ذلك الكلام ويفضِّل أن يفعل فعل النعامة التي تطمس رأسها في الرمل حتى لا ترى الحقيقة. لذلك ترى الكثيرين منا يحاول أن يتجاهل ما يدور حوله أو تراه لا يهمه ذلك بل وحتى يعمل ضد شعبه وناسه وأهله. وللأسف فعدد هؤلاء ليس قليلًا.

- ربما ليس بإمكانهم فعل شيء.

- "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" والحكومة تريد أن تصادر كل شيء بدءًا من النفط مرورًا بالأرض ومن ثم الهوية. وأقصد نحن لدينا قضية وطن ويجب علينا العمل للمطالبة بهذا الوطن ونحن كفئة مثقفة أو هكذا ندّعي علينا أن نعمل بجد وبجهد لتغيير الوضع لصالحنا، الاحتلال لا يرحم وهكذا كان على طول التاريخ. أنت لا تستطيع أن تعثر على نموذج واحد لشعب انتصر دون كفاح وإذا أردنا الانتصار وتحقيق النصر

علينا بالعمل ومواصلة جهودنا في التوعية وبث الروح الوطنية بين أبناء شعبنا وهذا الأمر بالطبع لا يخلو من مخاطر وآلام وهكذا كان النضال على مر العصور!

داهمه شعور بأن النجار يعبِّر عن أحاسيسه لا عن واقع معاش و حين انتهى من حديثه قال ناجي:

- هذا صحيح لكن اسمح لي أن أقول شيئًا، ماذا بإمكاني أن أفعل وأنا صفر اليدين لا أجد ثمن جريدة أو أجرة تاكسي؟ تسكَّعت في الدوائر والشركات لمدة ثلاث سنوات دون تحقيق أي شيء والآن بشق الأنفس استطعت أن أحصل على وظيفة براتب متواضع. هل من المعقول أن أتركها و أبقى جائعًا وصفر اليدين؟

ابتسم النجار وقال:

- طبعًا لا! لكن على الإنسان ألا ينسى هويته ولا وطنه والدماء التي سفكت من أجله، حتى وإن كان مضطرًا للعمل في مشروع كهذا.

كان الشاب يستمع بدقة وشعر بارتياح عميق لما قاله النجار، شعر وكأن عبئًا ثقيلًا أزيح عن كاهله، أسند ظهره إلى وسادة كانت خلفه وأخذ يرتشف من قدح الشاي ويستمع إلى النجار مكتفيًا بقول نعم بين الفينة والأخرى وهزَّ رأسه تأييدًا لما يسمع.

وضع الشاب قدح الشاي في طبقه وقال:

- أنا لم أستطع تقييم الوضع في الشركة قبل الذهاب إلى هناك والآن أرى أن جوَّها لا يُطاق والموظف لا بدَّ وأن يتبع أساليبهم.

- ما أساليبهم؟

- أقصد الازدواجية والنفاق والكذب، فإذا أردت أن تحسِّن صورتك عند رئيسك في العمل وجب عليك التملُّق والكذب والتزلف له وإذا أجدت فعل ذلك سوف تكون محظوظًا وتحصل على كل شيء وإن قصرت في تأدية مهامك فسوف تفصل من عملك. فالويل لك إن لم تغرد مع السرب وتعمل عملك دون أي تزلُّف لأصحاب الحل والعقد فى الشركة.

قهقه النجار ثم أزاح نظارته الطبيَّة وأخذ يمسحها بيده وقال:

- أنت لازلت شابًّا وهذه الأمور طبيعية جدًّا في الدوائر الحكومية وعليك أن تتعلم كيف تتماشى معها ولا أقول أن تتخذها أسلوبًا للتعامل وإنما تأخذ حذرك وتعمل عملك وفي نفس الوقت اقرأ عن تأريخ الأهواز ووسِّع دائرة معلوماتك وحاول الالتحاق بالجامعة المسائية حتى تحصل على شهادة وتُحسِّن مكانتك في العمل والمجتمع.

كان الشاب من أشد المعجبين بقراءة الكتب التاريخية وتذكَّر أن النجار يمتلك مجموعة كبيرة من الكتب التأريخية عن الأهواز، اغتنم الفرصة وسأل النجار: هل بإمكاني استعارة كتاب عن التاريخ من حضرتك؟

هزَّ النجار رأسه تأييدًا ثم نهض وعاد بكتاب مصفرِّ الأوراق وناوله للشاب. هذا الكتاب يعطيك معلومة جيدة عن الأهواز.

أخذ يتصفَّح الكتاب ويقرأ مقتطفات منه وبين الحين والآخر ينظر إلى النجار ويسأله بعض الأسئلة. وحين وقعت منه نظرة خاطفة على الساعة الكبيرة المعلقة على الجدار خلف

النجار ووجدها تقترب من الثانية عشرة، أغلق الكتاب بسرعة وطلب إذن الرحيل من النجار الذي شكره على زيارته وطلب منه أن يكرر تلك الزيارة ثم ودَّعه بحرارة.

رجع الشاب يسير ببطئ في الشوارع الفارغة التي لا يوجود فيها أحد سوى حراس الليل وبعض الزوار العادين من زياراتهم أو الشباب المتجمعين على الأرصفة هنا وهناك. شعر أنه من الصعب التوفيق بين مشاعره وبين جو الدائرة المليء بالكذب والرياء مع أن كلمات وآراء النجار استطاعت أن تهدئ ثورة ضميره التي كان لا يتوقعها في البداية حين انخرط في العمل مع المندوب. والحقيقة أن ضميره الواعي كان أيضًا يترصدُه حين كان يعمل مع المندوب وكانت بين الحين والآخر تنتابه نوبات من تأنيب الضمير والإحساس بالذنب لأن العمل كان يتطلب منه الكذب والنفاق والمجاملة في بعض الأحيان لكنه كان يتماشى معها ويصبّر نفسه ويوطنها على تحمُّل القوم بحجة أن الوضع مؤقت ينتهي حين ينال مبتغاه ثم يعود إلى ما كان عليه في الماضي وذلك كله يرجع إلى تربية ناجي لأنه شاب تربَّى في عائلة لا تعرف الكذب والرياء، والده كان صريحًا وصراحته هذه هي التي قذفت به من أعلى السلم الاجتماعي كابن لرئيس قبيلة لها مكانتها إلى حارس ليلي لمجمعات تجارية في شارع نادرى. كان بإمكانه الاستغناء عن العمل لو استخدم شيئًا من اللباقة والرياء والنفاق لكنه رفض الانخراط في الأنشطة الثورية عندما انتصرت الثورة مع أنه كان ملتزمًا بالفرائض التي أقرها الدِّين الإسلامي ولم يكترث الكهل لما قيل حول شخصيته وكان دائمًا يواجه تهكم أخيه الأكبر الذي كان ينعته بالساذج والبليد بتكرار كلمته المعروفة وهي "إذا أردت أن تكون صادقًا مع الله سبحانه عليك أن تكون صادقًا مع خلقه أوَّلًا"!

الفصل السابع

انتقل قسم العلاقات العامة إلى المبنى الجديد وكان عبارة عن مبنى حديث صُمِّم بعدة طوابق وأخذ كل موظف يبحث عن مكانه في القسم الذي خُصِّص للعلاقات العامة وما يتفرع منها. انفرد رئيس القسم بمكتب واسع يحتوي على جميع وسائل الراحة وقسم خاص لعقد اللقاءات والجلسات الخاصة. كان الرئيس أكثر الموظفين سعادة بالمحل الجديد لأنه كان يرى أن اقتناء مكتب خاص وكبير إحدى طرق إفهام الآخرين بأنه خطير الشأن وله مكانة مرموقة في الشركة. كان فى الحقيقة كل الرؤساء يعدُّون المكاتب الفخمة إحدى أهم مقومات فرض السيطرة على الآخرين وجعلهم ينصاعون لأوامرهم بغض النظرعن مؤهلات الجالس فيها! لذلك كان المديرون في سباق محتدم لامتلاك مكاتب فخمة في أكبر وأفضل مكان في المباني التي يعملون فيها.

اجتمع موظفو قسم العلاقات العامة في صباح افتتاح المبنى ودخل رئيس القسم تعلو شفتيه ابتسامة فرح وزهو وازداد نشوة وحبورًاعندما رأى مكتبه الجديد تفوح منه رائحة زكية ويزيِّنه العلم الإيراني بألوانه الثلاث وجهاز كمبيوتر حديث وضع على جانبه.

سار في مكتبه متفحِّصًا المكان بعناية ثم أرجع الكرسي الهزاز إلى الخلف وجلس وأشار بيده للموظفين كي يجلسوا. تنحنح عدة مرات ثم قال:

- الحمد لله، لقد وفَّقنا الله في الانتقال إلى المبنى الجديد وهذا المبنى كما ترون واسع وكبير وسوف يتساعد الجميع في نقل ما تبقى من الملفات ولاحاجة لنا بأثاث المبنى القديم. أحب

أيضًا أن أخبركم أن موظَّفًا جديدًا سيضاف إلينا في الأيام القليلة القادمة وقبل زيارة الوفد القادم من طهران.أرجومنكم جميعًا أن تتعاونوا مع الموظف الجديد وتساعدوه على تعلم أسرار العمل وأنت يا ناجي السرحان يجب عليك أن تقوم بتدريبه وتعليمه.

ارتبك الشاب وردَّد بصوت يكاد لا يسمع لولا السكوت التي فرضه تحدث الرئيس:

- أنا لا زلت أحتاج إلى من يعلمني العمل.

ضحك الجميع وابتسم الرئيس أيضًا لكنه استمرَّ في حديثه بعدما شرب ما تبقى من الشاي في قدحه:

- الموظف الجديد سوف يشاركك غرفتك وسيكون مكتبه ومكتبك في غرفة واحدة. تعاونا أنت وهو على تعلُّم العمل وإنجازه.

سأل السيد هاشم وكان سؤاله بدافع الفضول:

- متى سيبدأ دوام هذا الموظف؟

ردَّ المدير دون أن ينظر إلى السائل:

- قريبًا إن شاء الله، ربما اليوم أو غدًا وسيكون عمله تصميم الصور والبوسترات للشركة وتوثيق علاقتها مع الدوائر الأخرى. من اليوم فصاعدًا سيكون مهمة الجميع الإعداد لاستقبال وفد العاصمة وأرجو أن يكون كل شيء على أحسن حال حين يصل الوفد. وأنت يا سيد هاشم ستكون مهمتك إخباري بآخر التطورات في القسم.

أنهى الرئيس حديثه ثم تظاهر بالانشغال في ملفات كانت على طاولته في انتظار انصراف الموظفين وبعد هنيهة انفضَّ

جمع الموظفين وراح كل واحد منهم إلى مكتبه الجديد يتفقَّد ما ينقصه ويختبر ما جلب إليه من أثاث جديد.

جلس ناجي السرحان خلف طاولة مكتبه الجديد، أسند ظهره إلى خلفية الكرسي الهزاز المريحة ثم أزاح طرف من ستائر الشباك التي كانت تطل على حديقة تحوي على مجموعة من الورود وأشجار الاكاليبتوس، شعر بحرٍّ شديد وأخذ يتصبَّبُ عرقًا، بحث عن جهازالتكييف فوجده يعمل بانتظام وبصوت هادئ، عرف أن عليه أن يضاعف درجة التبريد للمكيف. نهض من مكانه وأدار زرالمكيف، ازداد صوته وتطايرت خصلات من شعر الشاب إثر الهواء الذي أخذ جهاز التكييف ينفثه بقوة، بدا الشاب جميلًا، نظر إلى وجهه بمرآة صغيرة أخرجها من جيبه. بدا وجهه غريبًا، تذكَّر أنه لم يحلق ذقنه بالموس منذ فترة طويلة! منذ أن توظَّف في الشركة واكتفى بتقصير ذقنه بماكينة والده القديمة، تذكر الألم الذي ينتج عن استخدام تلك المكينة التي أكل الدهر عليها وشرب، تذكَّر والده الذي يستخدمها كل هذه السنين دون شكوى أو تذمُّر، هكذا هم الآباء دائمًا يجبرون أنفسم على تحمل الآلام دون أن يتفوهوا بكلمة واحدة.

رجع إلى كرسيه فوقع بصره على الفضاء الخارجي من خلال فتحة الشباك التي أزاح عنها الستائر قبل قليل، كان هناك كهل يتحرك في الفناء الخلفي للمبنى، كان يبدو عاملًا في المساحات الخضراء في الشركة، كان كهلًا ربما في الستين أو هكذا يبدو، فالناس ربما تبدو أحيانًا أكبر من أعمارها الحقيقية! كان الكهل يتصبَّب عرقًا وهو يمسك بمعول صغير يحفر به أرض الحديقة وبين الحين والآخر يمسح العرق من جبينه بكوفيته المتهرئة. تذكَّر ناجي كلام النجارعندما زاره في تلك الليلة، أشفق ناجي على الكهل الذي كان يكدح بكل ما يملك من قوة. دارت في رأسه مقتطفات من كتاب التاريخ الذي استعاره

من النجار، أحس بشيء من الخجل لأنه شاب يجلس خلف مكتب وهذا الكهل الذي من المؤكَّد أنه يعاني من مرض السكري أو الضغط وربما الاثنين معًا يعمل في ذلك الجو الحار القاتل ليشبع أفواه أبنائه. بقى يتأمَّل الكهل الكادح وأفكار شتى تتقاذفه يمينًا وشمالًا "ربما كانت لديه سبع بنات والثامنة منهن طلَّقها زوجها قبل شهر أو شهرين! هكذا نحن العرب الأهوازيون دائمًا نصبر ونصبر ونكرر ونقول: "الله كريم" وقانعون دائمًا! لا طموح ولا تحدٍّ ولا أي شيء. لو يرى المدير أو الرئيس هذا الكهل لقال: إنه يعمل بشرف وراح يتشدِّق بالشعارات الرنانة حول قدسية العمل وأن العمل عبادة، لا أحد يعلم أن هؤلاء الرؤساء من أين يأتون بالأحاديث النبويَّة وتلك التي قالها الإمام الفلاني والعلاني وفقًا للمناسبة والموقف الذي يتطلّب ذلك الحديث. ربما كان لديهم خزين أو أجبروا أنفسم على حفظ تلك الأحاديث، كل شيء يجوز في جمهورية المقنعين! ربما لديهم حديث نبوي أو إمامي يوصي بحفظ الأحاديث لأنه يضفي قدسية على كل شيء يقومون به دون أن يتجرَّأ أحد على الاحتجاج أو حتى التفكير بالاحتجاج. وإذا تجرَّأ أو احتج على شيء فعندها تكون له النفس اللوَّامة بالمرصاد. والذين لا يجيدون مهنة حفظ الاحاديث وتحويرها؛ نظرًا لظروف معينة من أمثال هذا الكهل، فعليهم أن يعملوا في هذا الجوِّ الخانق والشديد الحرارة. لو كان هذا الكهل يعرف بعض ما حفظه رجال الدِّين من روايات وأخبار لكان اليوم جالسًا خلف مكتب عريض في غرفة مكيَّفة".

بدَّد منظر الكهل نشوة الشاب وفرحه بمكتبه الجديد وأخذ يفِّكر فيما إذا كان الكهل وأمثاله هم الذين جنوا على أنفسهم أم أنهم ضحايا إهمال مقصود؟ وكان غارقًا في تفكيره جالسًا خلف مكتبه ومحدِّقًا في أوراق دون أن ينتبه إليها حين سمع شخصًا أمامه يلقي عليه التحيَّة:

- السلام عليكم

ردَّ التحيَّة بصورة تلقائية ورفع بصره إلى الأعلى، رأى شابًا أنيقًا لا يتجاوز العشرين مرتديًا قميصًا ناصع البياض تتدلى على صدره قلادة ذهبية صغيرة واقفًا أمامه وبيده منديل صغير يمسح به جبينه الوضَّاح ويزيح من عليه خصل شعر تناثرت عليه وكانت تلمع تحت أشعَّة نور مصباح المكتب. انبهر بجمال القادم وأناقته وتلعثم حتى أنه نسي وطلب من القادم أن يجلس خلف مكتبه بعدما نهض منه بسرعة!

بقى القادم صامتًا، لا يعرف ماذا يقول وتورَّد وجهه خجلًا وبعد لحظة تردَّد وأمام إصرار ناجي جلس خلف مكتبه، بينما انتبه ناجي بعد هنيهة لفعلته بدعوة القادم الجلوس في مكانه وخلف مكتبه وتظاهر بأنه من منطلق التواضع فعل ذلك وجلس على حافة طاولة المكتب وكله شوق لمعرفة القادم الأنيق.

- أهلًا وسهلًا فيك!

بسط الشاب منديله على راحة يده ثم قال:

- شكرًا لك. أنا يوسف سلمان بور موظف جديد وقيل لي: إن عملي سيكون في قسم العلاقات العامة.

- مرحبًا بك! فأنت في المكان الصحيح، فهنا قسم العلاقات العامة لكن قل لي: هل التقيت بالمدير أو الرئيس أو أحد موظفي قسم العلاقات العامة قبل قدومك إلى هنا؟

استغرب الشاب وبدا كأنه خائفًا ثم قال بهدوء:

- في الحقيقة لم ألتق بأحد وجئت مباشرة إلى هنا بعدما اهتديت إلى المكان عن طريق أحد المارة.

كان الشاب يرمق القادم بإعجاب وحين انتهى من حديثه قال له بلهجة حاول أن يضفي عليها وقارًا مصطنعًا إلا أنه واجه مشكلة في ابتلاع ريقه ولم يستطع الحديث لذلك تركه وقاره وتكلَّم بسرعة:

- أعتقد أن عليك أن ترى الرئيس أولًا ومن ثم تأتي إلى هنا، غرفة الرئيس هنا في نفس المبنى، نهض القادم من خلف الطاولة وشكر ناجي على إرشاداته وقبل أن يخرج من الغرفة قال له ناجي:

- يوسف، سنعمل معًا في غرفة واحدة هنا.

ابتسم الشاب وشكره وخرج.

أعاد الكرسي إلى مكانه وجلس وانتبه لرائحة زكيَّة تفوح من المكان فعرف أنها من الموظف الجديد، كان يعيد منظر الشاب الجميل في ذهنه لكن قطع عليه تيار أفكاره صوت باب الغرفة وهو ينفتح بسرعة وبصوت عال، دخل رجل ملتحٍ مرتدٍ قميصًا رماديًّا واتجه مباشرة نحو جهاز التكييف وفتح صدره للهواء البارد الذي يوزعه الجهاز يمينًا ويسارًا، وبعد لحظات أدار وجهه نحو الشاب وقال :

- مكتب جيد! ماذا تريدون أكثر من هذا؟

أحسَّ ناجي بشيء من الازدراء في حديثه لكنه لم يكترث لهذا الإحساس وقال:

- عليكم السلام السيد بهرام بناه! أنتم اللر! لماذا لا تلقون التحية عندما تلتقون بأحد؟

قهقه بصوت عالٍ وصفَّق يدًا بيد ثم ألقى على طاولة الشاب رزمة رسائل وهمس بأذنه:

- هل عندك مكعبات من السكر؟ أريد أن أفطر وليس لدي سكر.

انزعج الشاب من تصرف بهرام بناه ولم يجب عن سؤاله بينما لم ينتظرالآخر الجواب واستمر في الثرثرة ودفعة واحدة صرخ وكأنه تذكَّر شيئًا ما:

- هاااا! كدت أنسى، قبل لحظات فقط سألني شاب عن قسم العلاقات العامة وأرشدته إلى المكان، هل أتى؟ يا له من شاب أنيق وجميل ومؤدَّب! يبدو أنه قادم من طهران.

رمق الشاب محدثه بطرف عينيه ثم قال وفي صوته شيء من الحدِّة:

- لا ! إنه عربيٌّ أهوازي.

- عربي! مستحيل أن يكون عربيًّا!

- قبل لحظات فقط كان هنا وأنا تحدثت معه.

تمتم بهرام بناه وأخذ يحك لحيته ثم ردَّ ببرود:

- ربما! ربما كان عربيًّا من نوعية راقية!

لم يكترث الشاب لما سمع وتظاهر بأنه مهتم بالرسائل التي ألقاها محدِّثه على طاولته بينما استمرالآخر:

- قلما تعثر على عربيٍّ بهذا الشكل وهذه الصورة الرَّاقية!

فهم ناجي أن بهرام بناه يريد أن يستفزَّه بكلامه هذا لأنه كان دائمًا يستفز هذا وذاك بكلمات نابية، حاول ناجى أن يسيطر على أعصابه حتى يتجنَّب الصدام معه!

تظاهر بأنه مشغول بأوراق وملفات أخرجها من أحد الأدراج وعندما لم يلاقِ بهرام بناه أي ردّ فعل من محدِّثه صفَّق بيده ثم اقترب من المكيف؛ ليخزّن برودة كافية للخروج إلى حيث لهيب الشمس والرطوبة المرتفعة، ثم خرج وصفق باب الغرفة بصوت عالٍ.

ألقى الشاب الملفات والأوراق جانبًا فور خروج ضيفه المزعج ونفخ و وضع يده على خده الأيمن وأخذ يعيد كلمات زميله الذي خرج للتو «عربي من نوعية راقية! مستحيل أن يكون عربيًّا!» احتار الشاب لماذا هذا وأمثاله يحتقرون العرب إلى هذه الدرجة؟ أليسوا مسلمين؟! أليسوا بشرًا مثلهم؟! كان الشاب يعرف جيدًا ماذا يعنى هذا الكلام «مستحيل أن يكون عربيًّا، يعنى أن العربي يجب أن يكون متخلِّفًا وبهندام رثٍّ وملابس بالية ولا يعمل إلا بالقذارة والأعمال الحقيرة! قاتلهم الله. هذا العربي الذي كان يومًا ما يحكم هذه الأرض كلها وكانت له صولات وجولات، يعمل اليوم تحت رحمتكم! تبًّا لكم!» غضب الشاب ومن شدة الغضب كوَّر قبضته وضرب الطاولة التي كانت امامه. تمنى لو يرجع زميله حتى يلقنه درسًا لن ينساه أبدًا! كان غارقًا في هذه الأفكار حين سمع طرقًا خفيفًا على الباب فصاح بصوت مبحوح إثر موجة الغضب التي اعترته:

- تفضَّل. ادخل.

فتح الباب ودخل يوسف بهدوء وكأنه يتسلل إلى المكان خلسة.

- السلام عليكم.

- عليكم السلام، أنت لا تحتاج إلى الطرق على الباب من اليوم فصاعدًا. سوف تكون من أصحاب المحل وسوف تعمل هنا وسيكون مكتبك في تلك الزاوية من الغرفة.

ابتسم يوسف بحياء وقال:

- شكرًا لك أخي، لكن سمعتك تتحدث بصوت منخفض وبحدَّة وظننت أنك تتحدث مع أحد أو تتحدث في الهاتف ولذلك لم أشأ أن أدخل دون إذن.

لم ينتبه ناجي أنه كان يتحدَّث مع نفسه حين كان يفكِّر فيما قاله بهرام بناه، شعر بشيء من الخجل وأحس بحرارة تتصاعد من رأسه. تنهَّد من الأعماق وهزَّ رأسه ثم قال:

- لا! أبدًا كما ترى ليس معي أحدٌ في الغرفة ولا أتحدث في الهاتف، لكن كنت في حالة عصبية ويبدو أني لم أنتبه لنفسي وكنت أفكر بصوت مرتفع دون أن أشعر.

ابتسم ناجي السرحان وهزَّ يده ونفخ طويلًا.

ابتسم يوسف أيضًا وقال:

- خير! وما الذي أثارغضبك في هذا الصباح الجميل؟

وجد ناجي ذلك الموقف فرصة للاطلاع على رأي زميله الجديد ومعرفة طريقة تفكيره. عرف أنه بعد لحظات فقط سيتضح له أن وراء هذه الأناقة وهذا الجمال شيء يعتدُّ به أو أنه مجرد قشرة وضعت لتستر الداخل الفارغ. اعتدل في جلسته ثم قال بمكرٍ:

- قبل دقائق فقط كان أحد زملائنا هنا ويبدو أنه التقى بك في طريق قدومك، وحين أخبرته بأنك عربي سخر من العرب وأخذ يستهزئ ويضحك.

حدَّق يوسف في وجه محدِّثه ثم سأله:

- وهل كان هو عربيًّا أيضًا؟

- طبعًا لا! كان أعجميًّا من اللر.

- ولماذا كان يسخر من العرب؟

- لأنه يعتقد أن العربيَّ يجب أن يكون همجيًّا وبملابس رثَّة. هذه وجهة نظره التي صرَّح بها مرارًا.

استشاط الشاب القادم للتو غضبًا وقال:

- صرح بها مرارًا ولم تحطم له جمجمته. كيف؟ كيف تسمح لهذا النتن أن يتفوَّه بمثل هذه الكلمات وبحضورك أيضًا؟

ارتاح ناجي لغضب الشاب لكن داهمه شعور بالذَّنب حين رأى الشاب غاضبًا وهو الذي كان سببًا في غضبه وهو ما زال في يومه الأوَّل. لذلك أراد أن يريح القادم الجديد فابتسم وأمسك الشاب الذي كان يتحدَّث بحدة وطلب منه برفق أن يجلس على الكرسي ثم جلب له قدح ماء مثلَّج وأخذ يتأمله وهو يشرب الماء. أحسَّ أنه يحبه من كل قلبه، نظر إلى عينيّ الشاب فوجد فيهما براءة خاصة تذكِّره بوجوه الأطفال لكن حاجبيه الكثيفين الأسودين يضفيان على وجهه وقارًا وهيبة ربما لا تجدها فى وجوه الأطفال! كان يوسف بحاجبيه هذين يبدو قويًّا ومهيبًا مع أنه لم يبلغ الثلاثين بعد. كان يتمنَّى ناجي السرحان أن يكون الموظف الجديد إنسانًا يختلف عن أولئك الذين كانوا يعملون معه في العلاقات العامة حتى يستطيع أن يبني معه صداقة حميمة

ويتناقش معه في الأمور الأكثر جديَّة لا مثل السيد هاشم الذي لا يهتم إلا للراتب والعلاوة ومكعبات السكر والبحث عن إمكانية لاستغلال أموال الشركة والحاج رجب المشغول بالتدخين وعد نقوده .

أحسَّ ناجي السرحان بارتياح كبير نحو الموظف الجديد، ليس فقط لمظهره الأنيق بل الذي زاد من إعجابه هو ثقافة يوسف واطلاعه الواسع على العلوم. ولفت انتباهه أيضًا الأسئلة المحيِّرة التي كان يطرحها يوسف والتي جعلت ناجي يتساءل كيف لم تخطر بباله مثل تلك الأسئلة وهو الذي يعد نفسه مثالاً للذكاء! أسئلة كثيرة كان يوسف يطرحها ويجيب عن بعضها بنفسه مثل سؤاله عن أهمية المرأة في المجتمع والدِّين وعلاقتها بالمجتمع وأسئلة أخرى عن المذاهب الفلسفية والسياسة.

الفصل الثامن

كانت الضوضاء وصخب السيارات تملآن الجو، غبار تسبِّبه عجلات السيارات المسرعة يختلط مع الدخان المتصاعد منها ويصعد إلى الجو في انتظار ريح تدفعه غربًا أو شرقًا وإلا بقي معلَّقًا في الفضاء فوق رؤوس الناس وفيما بينهم ليفاقم رداءة الجو في كوت عبدالله التي تسبِّبها ارتفاع درجة الحرارة ونسبة الرطوبة إلا أن هذا كله لم يثنِ عزم الناس في الحي ولم يمنعهم من الخروج من بيوتهم لطلب الرزق في كل صباح. فما إن تقترب الساعة من السابعة حتى ترى طريق كوت عبدالله العام يعجُّ بالناس من مختلف الأعمار والأصناف منهم من يعتمر الكوفية بالنقوش السوداء أو الحمراء وآخر يفضِّل الملابس الإفرنجية على العربية وهناك من مزج بين الاثنين وشكَّل لباسًا ربما لا يرتديه أحدٌ إلا في الأهواز مثل ارتداء السترة مع الدشداشة العربية والكوفية أيضًا. منذ أن طرح يوسف سؤاله على ناجي عن تراجع نسبة الناس الذين يرتدون الملابس العربية وحتى ذلك اليوم كان ناجي يفكِّر في الوضع ويحصي نسبة الناس الذين يرتدون الملابس العربية حتى تحولت هذه القضية إلى عادة يومية يمارسها كل يوم عندما يسند أحد قدميه إلى حائط الكراج القديم في انتظار حافلة الشركة ويتأبط جريدته التي اكتسب عادة قراءتها أيضًا من زميله الجديد، ثم يباشر في إحصاء المارة الذين يرتدون ملابس عربية.

تقدَّم ناجي خطوات نحو الطريق العام وعيناه ترقبان سيارة الشركة، الفترة التي أمضاها في العمل للشركة أكستبه خبرة معرفة السيارة الخاصة بالشركة فما إن تظهرالسيارة كنقطة سوداء من بعيد حتى يستطيع تميزها من بين مئات السيارات القادمة والذاهبة. ركب السيارة بسرعة وأخذت عيناها

تبحثان عن يوسف الذي ما إن رآه حتى أشار له بيده نحو المقعد الشاغر بجنبه، حيَّا يوسف بحرارة ثم جلس إلى جانبه بينما أخذت السيارة تكمل عدد موظفيها التي كان من المقررأن تجلبهم إلى العمل في طريقها إلى الشركة.

نظر يوسف إلى زميله وسأله:

- اليوم كم شخصًا؟

عرف ناجي السرحان ما يقصده سؤال زميله. ابتسم وردَّ قائلًا:

- ثلاثون!

ضحك يوسف ثم قال:

- كل هذه الجماهير وثلاثون فقط؟ أعتقد أنك لا تجيد الإحصاء أو نسيت جزءًا مهمًّا من العدد.

ضحك الشابان بصوت عالٍ ثم سكت الاثنان للحظات!

بعد لحظات من الصمت قال يوسف:

- تعرف يا ناجي! نحن عرب الأحواز نحتاج إلى عمل ممنهج ومنسَّق ومضبوط وخطوات الأفراد لا يمكنها أن تحقِّق شيئًا ملموسًا.

رغم أنها لم تكن المرة الأولى حيث يسمع ناجي كلمة الأحواز من الشاب وهو يلفظها بطريقة تختلف عن التي اعتادها إلا أنه هذه المرة كان وقع الأحواز بالحاء غريبًا على مسمعه. أخذ يوسف يرقب صديقه دون أن ينتبه ناجي الذي كان ينظر إلى البعيد من نافذة الحافلة المسرعة في طريقها نحو الشركة.

بعد لحظة صمت كرَّر يوسف كلامه وهذه المرة لم يكن كلامه عامًّا.

- تعرف يا ناجي إننا نحتاج إلى تشكيل تنظيم للدفاع عن أنفسنا؟

ردَّ الآخر بصوت يكاد لا يسمع وبشيء من الاستغراب:

- تنظيم!

سمع ناجي كلمة التنظيم منذ أن كان صغيرًا ولازال يتذكَّر اللحظة التي سمع الكلمة لأول مرَّة. كان أحد أيام الخريف وكان ناجي طفلًا عائدًا من المدرسة مع أطفال آخرين، لم يسمح لهم حارس المدرسة بالدخول؛ لأنهم لم يبلغوا السن القانوني لدخول المدرسة وكانوا يتسكَّعون في أزقة كوت عبدالله حين تناهت إلى أسماعهم أصوات صراخ وعويل نساء. هرع الأطفال ومعهم ناجي نحو مصدر الصوت حيث كانت مجموعة من النساء بملابس سوداء تلطم الوجوه والخدود وناشرات شعورهن. ارتجفت قلوب الأطفال ومعهم ناجي خيفة. كان منظرًا مخيفًا! نساء يصرخن بأصوات تشق السماء ويلطمن الوجوه والصدور مثل المجنونات. تذكَّر ناجي ذلك المنظر وهو جالس في حافلة الشركة بعد عشرين عامًا تذكر المنظر وكأنه كان يراه على شاشة السينما. تذكَّر المنظر وتذكَّر الأطفال الذين كانوا معه حين شاهدوه، أحد الأطفال مات في الشارع بعدما بلغ العشرين من عمره، مات على إثر تعاطي المخدرات. تذكر صراخ وعويل النساء وكأنه يسمعه لحظتها! غرق في تفكيره «آنذاك كانت النساء تحزن وتلطم وتلطخ وجهها بالطين حزنًا على الفقيد العزيز الراحل وكان تزوير الإنسان العربي ما زال في بدايته ولازال فينا بعض صفات العرب. أما اليوم فكلُّ شيء مزور. زوَّرها القادم من وراء الجبال. أراد أن يصنع منا أناسًا

لا تختلف عن أناسه لكنه أخفق لأننا لا نرحِّب ولا نرغب في درسه الذي يفرضه علينا فرضًا، فأهملنا الدرس وأهملنا المدرس بدوره! أو ربما حقد علينا؛ لأننا أهملنا درسه! و....".

كان جالسًا بصمت إلى جانب يوسف يهتز مع كل قفزات الحافلة حين تجتاز حفرة أو مترقَّعًا في طريقها نحو الشركة، كان منظر النساء و وجوههن الملطخة بالطين الأحمر مخيفًا جدًّا ولا يفارق مخيلته، ارتجف للمشهد وشعر بقشعريرة تسري في جسده. شعر أنه لازال ذلك الطفل الذي ارتجف خوفًا لمنظر النساء المروِّع وهن يلطمن بحرقة وألم شديد، شعر أنه لا زال ذلك الطفل الذي كان يتساءل: لماذا هؤلاء النسوة يبكين؟ وذهب وسأل والدته فردَّ عليه والده بدلًا منها.

- لأن الحكومة أعدمت علاوي.

لم يفهم ناجي وقتها معنى كلمة الإعدام فسأل مرة أخرى:

- وما الإعدام؟

ردَّ الأبُ قائلًا:

- الإعدام يعنى الموت! يعني يقتلون شخصًا رميًا بالرصاص أو شنقًا بالحبل.

استمرَّ ذلك الطفل في الاستفسار محاولًا فهم ما يجري وتفسيره بمنطقه الطفولي .

التصق بأمه والخوف يملأ جوانبه وسأل أباه:

- ولماذا أعدموا علَّاوي؟

- لأنه كان في تنظيم يعمل ضد الحكومة.

نعم تلك اللحظة يتذكرها الشاب جيدًا حين سمع كلمة التنظيم لأول مرة في حياته، حينها لم يفهم معناها الحقيقي وتصورها في ذهنه على أنها طابورأو شيء يشبه القطار الطويل لكن مع مرور الأيام عرف معناها وما تدل عليه وما يتبعها من موت و مرار وعذاب وآلام وتعذيب وسجون وصراخ ونحيب ولطم الوجوه والخدود بحرقة و... وها هو اليوم يعود إلى الكلمة مرة أخرى.

كان الشاب مسترخيًا في مقعدة ينظرإلى البعيد البعيد من خلال زجاج نوافذ الحافلة وكأنه لا يرى ولا يسمع شيئًا مما يدور حوله حين لكزه يوسف في خاصرته قائلًا:

- ناجي..ناجي.. وصلنا.

فتح عينيه ونهض من مكانه بسرعة فوجد الحافلة واقفة في محطتها المعهودة داخل الشركة وقد نزل جميع الركاب إلا هو و يوسف الذي كان ينتظره وعندها رآه يفرك عينيه بأطراف أصابعه. خاطبه وابتسامة تعلو شفتيه:

- كنت نائمًا؟

- لا، لكن بين النوم واليقظة.

- طيب، انزل من الحافلة وإلا عادت بك الحافلة إلى موقف الحافلات.

نزل الشابان وكان يوسف ينتظر بفارغ الصبر ردة فعل صديقه وتعليقه على كلامه في الحافلة حول التنظيم لكنه لم يستعجل وفضّل الانتظار بدلًا من الاستعجال؛ لأنه كان يعلم أن العجلة في مثل تلك الأمور غالبًا ما تجلب نتائج عكسيَّة!

انهمك كل منهما في عمله فور دخولهما الغرفة وأخذ كل منهما يقلِّب ويقرأ مجموعة من الأوراق والملفات وأخذ يكتب على بعض منها ويلقى بعضها الآخر بعيدًا في سلة فارغة وبين الحين والآخر يسأل يوسف زميله الذي كان أقدم منه ببضعة شهورعن بعض الملفات. وهكذا استمرَّا حتى بلغت الساعة العاشرة والنصف وهي اللحظة التي يستغلها الموظفون للتدخين وشرب الشاي والاستراحة. مع أن يوسف وناجى لم يكونا من المدخنين إلا أنهما فضَّلا الخروج إلى خارج المكتب لغرض الاستراحة وتنفُّس الهواء الطلق. وقفا تحت ظل مبنى شاهق إلى جانب حديقة زُرِعت فيها ورد وأشجار، كان يوسف ينتظر اللحظة المناسبة ليعرف رأي زميله باقتراحه الذي قدَّمه له في الحافلة. أراد أن يمهِّد الحديث لكي يتطرَّق إلى ما دار في الحافلة ثم يقول ما يريد إلا أن قدوم السيد هاشم وهو يمسك بملف وسيجارة ويقهقه بصوت عالٍ منعه من ذلك.

أخذ السيد هاشم نفسًا عميقًا من سيجارته، نظر إلى زميليه ثم هزَّ يده وقال:

- ما الذي أصابكما؟ لماذا تردَّان السلام بزعل؟

لم يقل يوسف أي كلمة وكان ينزعج انزعاجًا شديدًا من السيد هاشم ولا يحب مصاحبته والحديث معه أبدًا. تشاجر يوسف معه في بداية توظيفه حول شرعية شركة قصب السكر واحتدم النقاش مما جعل يوسف يتهم طرفه بالحمق والسير وراء المصلحة مهما كان الثمن! بينما أخذ السيد هاشم يصف يوسف بالجاهل الذي يجهل طريق مصلحته ويسير وراء سراب! وتطلَّب حسم النقاش بينهما تدخُّل رئيس العلاقات العامة الذي أصلح بينهما، ورغم أنه أخذ منهما عهدًا لكي لا يعودا إلى مثل ذلك الحديث لكن بقيت العلاقة بينهما تقتصر على السلام والتحية فقط، والحقيقة أن السيد هاشم كان يريد التحدث مع يوسف وبين

الحين والآخر يبتزه ببعض الكلمات إلا أن الأخير كان يتحاشى الحديث والإختلاط معه، حتى أن يوسف كان يطلب من ناجي أن يفعل بدلًا منه العمل الذي يتطلب إنجازه الاحتكاك بالسيد هاشم. كان يوسف يكره النكت القبيحة التي يقولها السيد هاشم وتطفله وتدخله فيما لا يعنيه ولا يهتم بأخباره التي يجلبها من مصادر مجهولة حول أمور شتى ويهزأ في سرِّه دائمًا من حديثه حول السياسة. كما أن يوسف كان يعتبر السيد هاشم نموذجًا جيِّدًا للعوام المصابين بفوبيا السياسة الذين يتظاهرون عكس ذلك ليقال عنهم أنهم أبطال وينتقد طريقة تفكيره المتخلفة ويسميه الأميّ الحاصل على شهادة ثانوية.

كرَّر السيد هاشم سؤاله مرة أخرى وتعمَّد أن يقترب من يوسف لكي يزعجه بدخان سيجارته:

- أنت يا ناجي ماذا أصابك؟ أم أنك تريد أن تصبح من المثقفين مثل صديقك؟ أنهجم بيتكم! لماذا كل هذا الغرور؟

ابتسم ناجي ابتسامة متصنَّعة وربَّت على كتف السيد هاشم وقال:

- لم يصبنا أي شيء. اطمئن يا سيد، كل شيء بخير، المهم أنت كيف حالك؟

شعر السيد هاشم بارتياح وأخذ نفسًا عميقًا من سيجارته وقال:

- إيه! الآن. عمي جواب السلام ورد التحية واجب! إذا ما تدرون اعلموا.

وأشار بعينيه ليوسف الذي بقي صامتًا ينظر إلى الأفق البعيد بوجه متجهِّم.

ألقى السيد هاشم عقب سيجارته على الأرض ودهسها برجله ثم هزَّ يده ونظر إلى الأعلى وقال: الله كريم، كل شيء له نهاية.

ثم تأبَّط الملف الذي كان في يده وقال وهو يبتعد: لا يراكما المدير او الرئيس عندها تحدث لكما مشكلة، إنه لا يرضى أن يغادر موظفٌ مكتبَه.

ثم ابتعد مسرعًا في خطواته وهو يدندن ويغنِّي بصوت عالٍ.

توجَّه ناجي ناحية صديقه وبقى صامتًا كأنه ينتظر رأي وتعليق مرافقه على المشهد، لم يطل انتظاره:

- هذا الأخ انظر إلى حاله وأفكاره لا يهمه شيء غير مصلحته الخاصة والنقود، ولديه عدة وجوه فحين يأتي إلى هنا يلبس وجهه العربي الشعبي الريفي وحين يذهب لمقابلة من هم أعلى منه رتبًا يضع قناع الالتزم بالدين وحزب الله وهكذا طول اليوم وهو يبحث هنا وهناك ويغير أقنعة وجهه لكي يحصل على علاوة أو دوام إضافي أو ملابس خاصة بعمال الشركة أو وجبة مجانية من المطعم.

قال ناجي بابتسامة:

- إنسان جاهل، أعطه الحق. هل تعرف من أين قادم؟ وكم من الوقت مضى عليه هنا؟

ردَّ يوسف باقتضاب:

- لا أعرفه!

- لم يمض على قدومه من إحدى القرى النائية زمنًا طويلًا، و كان يسكن فى قرية قرب الحدود العراقية وحينها كان لا يعرف من العالم الخارجي سوى سوق الخفاجية الذي يزوره مرة في السنة. وحسبما نقل لي إنهم كانوا يذهبون كلهم إلى السوق في ذلك اليوم لشراء حاجات عيد الفطر.

- أعرف أن التخلُّف فُرض علينا نحن العرب فرضًا ولسنوات طويلة كانت القرى وحتى المدن العربية تعاني من انعدام التعليم وأبسط مستلزمات التثقيف لكن بعض الناس ومنهم زميلنا هذا لا يهتم إلا للغرائز أو ما ينتهي إلى الغرائز .

- ربما معه حق. إن راتبه المصدر الوحيد للرزق في عائلته المؤلَّفة من خمس أشخاص بالإضافة إلى أمه.

مسح يوسف قطرات العرق من جبينه ثم نظر إلى الأفق وتأوَّه وكأنه تأثَّر بما قاله الشاب ثم قال:

- إننا ضحايا! جميعنا ضحية المستعمر الذي جاء بمشاريع شتى لسلب الأرض ولم يكتفِ بذلك. سلب الأرض التي هي الجسد والآن يريد أن يسلب منا الروح التي هي الهوية العربية. الحكومة تبرمج بشكل منهجي لسلب كل ما يرتبط بتلك الأرض من تراث وثقافة وأدب وتقاليد ولغة وكل شيء ينمُّ عن عروبة الأرض. ونحن بماذا نفكر وما الذي يشغلنا؟ كم العلاوة أو بضع مكعبات سكر إضافية أو وجبة طعام مجانيَّة! أو ماذا قال فلان أو علَّان؟ إلى متى سنبقى هكذا؟ يجب أن نتحرك يجب أن نعمل ونضرب بقوة العدو الجاثم على صدرونا! العجم لا يفهمون إلا لغة القوة! ألم تسمع الحكمة التي تقول: اضرب الأعجمي يتحوَّل إلى صديق لك! نعم يجب أن نضربهم. ويجب أن نضربهم بكل ما نملك من قوة!

ابتسم ناجي لحماس صديقة وحاول أن يزيل بعض ما يحمله صديقه من همٍّ ويشاطره أحزانه وآماله:

- أخي يوسف، الناس مضطرون أن يتبعوا لقمة العيش؛ لأن لديهم عوائل وأطفال ونساء ويحتاجون لكل رالة يكسبونه؛ لكي يصرفوا على ذويهم. ثم إن الكلام التي تحدَّثت عنه لضرب الجماعة يحتاج إلى خبرة وتدريب ودراسات وأموال و ...

كوَّر يوسف قبضته - وكأن ناجي استفزه بكلماته- ثم قال:

- ومن يعطينا هذه الأشياء؟ ننتظر الإيرانيين أن يقدِّموها لنا على طبق من ذهب أم ننتظر العراقيين أم أميركا أم لندن..؟ لا أبدًا، يجب أن نسعى نحن من أجلها ونصنعها بأنفاسنا.

- أنت تعلم أن هناك فئة كبيرة من شعبنا غير راضية عما يجري.

- لكن يجب أن يفعلوا شيئًا! يجب أن يتعلموا المقاومة ضد هذا التيار ويسدُّون عليه طريقه. نعم. يجب أن نقاوم! يجب أن نفعل شيئًا إذا كنا غير راضين عن الوضع الموجود.

حرارة وحدِّة كلمات يوسف أثَّرت في ناجي فأطرق للحظة وأخذ يفكر في أساس المشاكل الموجودة. هل أساسها المحتل حسبما يقول يوسف أم شيء آخر؟ وماذا بإمكانه هو أو يوسف أن يفعلوا لتغيير الوضع الموجود. لم تكن تلك المرة الأولى التي يحاول فيها ناجي أن يجد جوابًا لهذا السؤال وسبق وأن حاول العثور على إجابة لتلك الأسئلة، لكنه في النهاية لم يستطيع العثورعلى جواب مقنع لسؤاله لذلك هذه المرة أيضًا لم يتعب نفسه في البحث عن الجواب وبدلًا من ذلك حاول أن يعرف رأي زميله الذي منذ فترة وجيزة أصبح قدوة له:

- أستاذ يوسف. برأيك ما الحل لهذه المشكلة؟

تظاهر يوسف بأنه مشغول بترتيب أكمام قميصه التي رفعها فوق مرفقيه لكنه في الحقيقة كان يداري الإحراج والخجل الذي أصابه إثر مخاطبته بالأستاذ من قبل صديقه، تأوَّه بصوت مسموع ثم أخذ نفسًا عميقًا وقال:

- الحل أن نتحرك و أن نعمل شيئًا. الحل أن نعمل بما قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- : "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطيع فبلسانه فإن لم يستطيع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان."

شعر ناجي أن الحديث ترك فيه أثرًا لم يتوقعه، لكنه لم يداخله الشك أن التأثير لم يكن له علاقه بإيمانه وأنه ربما تأثَّر ببلاغة الكلام أو حتى الحكمة التي يحملها، أنه كان هكذا دائمًا يسمع الأحاديث والقرآن ويتأثَّر بها كثيرًا لكنه في نفس الوقت يعلم أن إيمانه متزلزل أو لا يوجد عنده أي إيمان أساسًا. بعض الأحيان هذه الحالة تجلب له العذاب والخوف، شعر أن تفكيره أخذ يبتعد عن موضوع حديثه مع صديقه وغالبًا ما كان يغادر تفكيره موضوع الحوار كقارب صغير يترك له الحبل، فتأخذه الرياح بعيدًا عن الشاطئ .

لكن نظرة من عيني يوسف التي تموج بالذكاء وحب الاستطلاع والتساؤل كانت كافية لتعيده إلى جادة الصواب وتبعده عن الخوض في التفكير بالشك والإيمان والوجود وبداية الخلقة و... المواضيع التي تقفز إلى ذهنه كلما صار في مثل تلك الموقف.

حاول ناجي أن يبحث بسرعة عن جواب مناسب لتساؤلات صديقه لكنه أخفق وتلعثم وتظاهر أنه يعتبر الموضع غاية في الخطورة والحكم عليه يتطلب منه التفكير والإمعان.

بقيا صامتين للحظات وهمَّ يوسف أن يتكلم إلا أنه رأى الحاج رجب يخرج من إحدى العمارات المجاورة ويرفع يده لهما ويشير نحو مكتب الرئيس، ثم سار نحوهما بخطوات بطيئة وهو يدخن سيجارته وينفث الدخان فتتشكَّل هالة من حوله وحين وصل إلى بعد أمتار منهما نفث الدخان الذي ابتلعه قبل قليل ثم سعل واحمرت عيناه وصبر حتى يأخذ نفسًا يمكنه من الحديث ثم قال:

- أين كنتما؟ الرئيس كان يبحث عنكما؟ اتصل بكما ولم تكونا موجودين! هيا بسرعة ارجعا إلى العمل.

ندم يوسف على مغادرة مكتبه وترك عمله؛ و كان يكره أن توجَّه إليه تهمة التساهل في العمل أو الهروب منه. انتابه شيء من تأنيب الضمير وطلب من ناجي أن يعودا بسرعة وخلال أقل من بضع دقائق. كانا جالسين في مكتبيهما ولم يمضِ على جلوسهما دقائق حتى رنَّ جرس الهاتف فالتقف ناجي سماعته فورًا وبعد أقل من دقيقة أعادها إلى مكانها ونهض من كرسيه وأشار بحركة من رأسه إلى يوسف وقال:

- الرئيس يريدنا.

- وماذا يريد منا؟

هزَّ ناجي رأسه كدلالة على جهله بقصد المدير ثم قال:

- طوال الفترة التي عملت بها في الشركة لم يطلبني المدير وكان يتصل دائمًا بالسيد هاشم والسيد هاشم يتصل بباقي موظفي القسم. أما الآن فلا أدري؟

رتَّب يوسف ياقة قميصة وأنزل أكمامه التي كانت مرفوعة إلى ما فوق المرفقين، كان وكأنه يستعد لمقابلة الرئيس. ثم سأل بلهجة غريبة لم يألفها صديقه ناجي من قبل:

- أخشى أن يكون الرئيس يريد أن يوبّخنا على خروجنا من المكتب ويتصوَّر ذلك هروبًا من العمل. إذا كان هكذا فسيكون الأمرغاية في الإحراج.

انتظر ناجي حتى أكمل يوسف كلامه الذي أحسَّ أنه يخرج بصعوبة بالغة وكأنَّ أمرًا خطيرًا قد حدث بالفعل.

ثم قال:

- اطمئن يا صديقي! هذا آخر ما يفكِّر به الرئيس ونحن بالنسبة لباقي الموظفين نُعتبرغاية في الالتزام فبعض منهم يتواطأ مع الحرَّاس وأحد السائقين فيذهب إلى خارج الشركة. كما أن بعضهم الآخر يذهب لينام في المستودعات أو في مسجد الشركة.حتى وإن كان الأمر كما تظن فسوف أتدبر عذرًا ما يجعلنا نفلت من عقاب الرئيس.

هزَّ يوسف رأسه وهو يلمِّع حذاءه الأسود بمنديل صغير ثم رفع رأسه إلى الأعلى فتدلت خصلات من شعره الأسود وعكست نورمصباح الغرفة، العناية التي تمَّ فيها تصفيف شعره وتلميعه لفتت انتباه ناجي وجعلته يبتسم وهو يستمع إلى زميله:

- يا ناجي الشيء الخطأ خطأ ولا يجوز تبريره. أنا أعترف أن خروجي من مكتبي في ساعة العمل هو انتهاك صارخ لقوانين العمل ويحق للرئيس أو المدير أن يتَّخذ الإجراءات المناسبة ضدي.

ابتسم ناجي لصراحة صديقه ثم قال:

- الآن دعنا نذهب. لا أعتقد أن الرئيس لديه الوقت لمعاقبتنا! إنه أيضًا مشغول بمشاريعه الخاصة والانتخابات المقبلة. ومن سيكون مديرالمكان الفلاني ومن سيرأس المشروع هذا أو ذلك. لذلك دعنا من هذا الحديث الآن .

أطلق ناجى ضحكة طويلة لكان سرعان ما انقطعت حين رأى صمت صديقه!

- اسمع يا ناجي. إذا كنا نعتقد أن هؤلاء على خطأ فيجب أن لا نجاريهم في أخطائهم ويجب علينا أن نعوّد أنفسنا على العمل بصورة صحيحة لكي نكون أفضل منهم ويحق لنا أن ننتقدهم.

مع أن ناجي لم يكن مخلصًا للعمل في يوم من الأيام منذ لحظة توظيفه و قبل قدوم يوسف كان يمضي معظم وقت الدوام في التسكع في مكاتب هذا وذاك والتفكير في شوؤن أخرى: كبداية الخلقة وآراء داروين وقراءة بعض الكتب حول المادية الديالكتيكية كمحاولة لفهم فكرة الشيوعية إلا أنه حين سمع كلام يوسف وجد نفسه في موقف محرج وأحسَّ بشيء من الخجل والندم لكنه بقى صامتًا وحين انتهى كلام صديقه قال:

- والآن هلمَّ بنا إلى مكتب الرئيس.

كان الممر المفضي إلى مكتب الرئيس الجديد يفتقر إلى التكيف الكافي لذلك شعر ناجي ويوسف بحرارة الجو ورطوبته المرتفعة حين اجتازا الممر الى مكتب الرئيس. وجدا السيد هاشم والحاج رجب وعاملًا آخرلا يعرفانه موجودين في مكتب الرئيس أيضًا. كان الرئيس متكئًا على خلفية كرسيه الهزَّاز مسندًا رأسه إلى الجانب الأيسر. كان يحاول أن يبدو مهيبًا، حلق أجزاء من فوق وتحت لحيته بعناية فائقة، كانت لحيته جميلة وشاربه الأسود كان يضيف إلى وجهه وقارًا خاصًّا مع أنه لم

يكن غزيرًا. كان الرئيس يرقب موظفيه وهو يداعب بأطراف أنامله مفاتيح سيارته التي كانت في حلقة واحدة مع جهاز المنبه من السرقة. لم تمضِ هنيهة على دخول ناجي ويوسف مكتب الرئيس حتى اعتدل في جلسته وأعطى الجلسة طابعًا رسميًّا بجلوسه بصورة مباشرة ومخاطبة الموظفين بلهجة جادة فانتهت الثرثرة. صمت السيد هاشم الذي لا يكفُّ عن معاكسة الحاج رجب، وحاول من كان في الغرفة أن يعتدل في جلسته، كان قلب يوسف يدقُّ بسرعة؛ خشية أن يكون الرئيس يريد تأنيبه على مغادرته مكتبه وكان يحضِّر نفسه للاعتراف بالخطأ والاعتذار، كان يقول لنفسه: نعم سوف أعترف بالخطأ حتى لو أدَّى ذلك إلى فصلي من الوظيفة.

رمق الرئيس جميع من كان في الغرفة ثم تنحنح وأعطى صوته طابعًا رسميًّا:

الأسبوع القادم سوف يشهد وصول وفد من طهران، هذا الوفد سيأتي من الوزارة وسيضم مسؤولين ومفتشين وخبراء ولا أريد أن يتحدَّث أحد عن القسم بطريقة سيئة لأن هذا يسيء لنا جميعًا ويهدِّد مستقبلنا وكل منا في العلاقات العامة مسؤول في الحفاظ على سمعة القسم والعمل بصورة صحيحة. لذلك أرجو منكم أن تقوموا بترتيب مكاتبكم ووضع كل شيء في مكانه. كما أن أداء القسم وإنجازاته بالإضافة إلى الملفات يجب أن يكون في أحسن صورة. وأخبركم أيضًا أنه بعد أن ينهي وفد العاصمة زيارته سوف أتحدث مع مدير الشركة وأطلب لكما مبلغًا إضافيًّا على رواتبكم لكن عليكم أن تقوما بعملكم بصورة جيدة ومن الضروري أن يظهر مكتب قسم العلاقات العامة بأحسن صورة خلال زيارة الوفد. وبالمناسبة بلغني أنَّ بعضهم يأكل فطوره على طاولة مكتبه في الصباح وأحيانًا فطوره لا يقتصر على الشاي والبسكويت وإنما يشمل الخضروات والجبن والبصل .

ابتسم السيد هاشم ونظر إلى الحاج رجب ثم قال بصوت منخفض:

- وحتى الباقلا!

نظر السيد هاشم مرة أخرى إلى الحاج رجب الذي كان الجلوس بصورة رسمية على الكرسي يجعله يشعر بالملل، وكان ينتظر نهاية الجلسة على أحر من الجمر وغمزه وأخرج له لسانه دون أن يلفت انتباه أحد.

ابتسم الرئيس لكنه تظاهر بأنه لم يسمع شيئًا، وحاول أن يحافظ على رزانته ولجهته الرسمية، ثم استطرد قائلًا:

كما تعلمون أن المكتب ليس مكانًا للأكل، لكن أنا أعرف أن معظمكم مشغول ويضطر إلى الإفطار في مكتبه. هذا سمحنا لكم به. لكن خلال الأيام التي نستقبل بها الوفد أرجو أن لا تقوموا بمثل هذا العمل وقوموا بعملكم بصورة جيدة وأرجو أن يكون كل شيء في مكانه.

أنهى المدير كلمته المقتضبة وسرت همهمة في المكان إلا أن الجمع سرعان ما انفضَّ وعاد ناجي ويوسف إلى مكتبيهما.

جلس ناجي خلف مكتبه، بينما أخذ يوسف يصفِّف شعره وينظر في مرآة صغيرة، وكان ناجي ينتظر تعليق وردة فعل صديقه على الاجتماع مع المدير ولم يطل انتظاره:

- أرأيت؟! كل ما يهم الرئيس هو أن يكون الوفد راضيًا! وزيارة الوفد أهم من العمل نفسه .

أدرك ناجي ما يرمي إليه صديقه فقال:

- نعم. كل الدوائر والشركات هكذا! لا يهتمون بالعمل إلا إذا كانت هناك زيارة رسميَّة أو تفتيش.

هزَّ يوسف رأسه تأييدًا لما سمع ثم قال:

- والفساد يكمن في الأعلى! فكلما تسلَّقت هرم السلطة نحو الأعلى ازداد الفساد واستغلال أموال الحكومة والعبث بها وأصبح أكثر خطورة. هناك من يربح مليارات وهناك من يكدح من أجل لقمة العيش ونحن العرب دائمًا نكون في أسفل الهرم .

ابتسم ناجي ثم قال: من أجل ذلك ربما قال القوم نكتهم المعروفة في عرب الأهواز:

- إما سائق أو حارس.

- لعنهم الله! إنهم يروِّجون لمثل هذه النكت المضحكة لتكون واجهة لسياسات بغيضة تستهدف العرب! إنهم يريدون لنا أن نزدري هويتنا العربية ومن ثم نهرب منها ومن ذاتنا تمهيدًا لتفريسنا. هل تعلم أن هناك من العرب مَنْ لا يجرؤ أن يقول إنه عربي نتيجة لهذا الازدراء؟! اللهم كن بعوننا واجعلنا قادرين على التصدي لهم. نعم. يجب أن نتصدَّى لهم ولمخططاتهم.

ردَّ ناجي ببرود وعفوية:

- نعم. هذا واجب علينا.

استغل يوسف هذه العبارة من صديقه وكأنه كان يبحث عن هكذا فرصة ليقول مقولته:

- وأنت يا ناجي.

استغرب ناجي من سؤال صديقه ومع أنه فهم تمامًا ما يعنيه صديقه بعد هنيهة لكنه تجاهل الأمر وتظاهر أنه لم يفهم

شيئًا مما كان يعنيه يوسف لكي يعطي نفسه فرصة ومجالًا للتفكير وكان يعرف مسبقًا أن صديقه يبحث عن أنصار لتشكيل تنظيم أو شيء شبيه له.

ردَّ عليه يوسف بشيء من الحدّة وكأنه غضب من سؤال صديقه الذي ظن أنه يعكس إهماله أو غباءه.

- أقصد هل أنت مستعدٌّ لفعل شيء ما من أجل وطنك وهويتك وعروبتك؟

تلعثم ناجي أمام صراحة صديقه وقال ببرود:

- طبعًا، طبعًا أنا مستعد.

ابتسم يوسف وردَّ عليه باقتضاب:

- جيد جدًّا.

- سوف نتحدث بالموضوع والآن أعتقد أنه حان وقت الغداء. اترك هذه الملفات ولنذهب معًا.

الفصل التاسع

عاد ناجي إلى البيت بعد رحلة متعبة بحافلة الشركة، فوجد أمه كالمعتاد بانتظاره تسخّن المرق وتزيّن له مائدة صغيرة في زاوية من غرفة الجلوس، حيَّاها ودخل إلى غرفته بسرعة وفتح الكيس الأسود الذي سلَّمه له يوسف حين همَّ بمغادرة حافلة الشركة قائلًا:

- لم أشأ أن أعطيك هذا في الشركة، خفت أن حب الاستطلاع يدفعك إلى فتحه في الشركة، الأمر الذي ربما يسبِّب لنا بعض الخطورة.

استغرب من الأسلوب الذي خاطبه به يوسف، خطورة! يقصد من؟ أنا وهو؟ ومنذ متى أنا وهو أصبح لنا مصير مشترك؟ وما الشيء الذي يسبِّب لنا الخطورة؟ تسلّم الكيس الأسود من يد يوسف بتردد وشيء من الخوف، عصفت برأسه أفكار كثيرة، تخلَّص من بعضها بصعوبة وجهد جهيد، طوال الطريق وهو يفكِّر فيما قاله يوسف. أما الكيس فعرف من أول لمسة أنه يحتوي على كتاب، حين مرَّ في وسط سوق كوت عبد الله، فتح الكيس ليلقي نظرة على ما فيه لكنه وجد كيسًا آخر يحتوي الكتاب الذي غلِّف أيضًا بغلاف من الورق السميك لذلك أجّل عملية الفتح حتى يصل إلى البيت كما طلب منه يوسف تمامًا "لا تفتحه إلا حين تصل إلى البيت".

أخيرًا وصل إلى البيت، جلس في زاوية من غرفته وفتح الكيس بهدوء وحذر وأخرج منه الكتاب «كنت أتوقع هذا تاريخ عربستان. هكذا إذن!» سرت في جسمه قشعريرة وشعر بالخوف من صديقه الأنيق والجميل وفهم تمامًا ما كان يلمِّح له

يوسف خلال لقاءاتهم في العمل وخارجه، انهمرت على ذهنه أفكار شتى.

"من هذا الذي يسمي نفسه يوسف؟ هل هو حقيقة كما يدّعي مناضل يريد الدفاع عن حقوق الشعب أم أنه مأجور من قبل المخابرات الإيرانية للتعرف وكشف الخلايا السريَّة الموجودة على الساحة؟ لا.. لا يمكن أن يكون مأجورًا، فيوسف إنسان نزيه ومثالي، لا يمكن أن يكون كذلك لكن.. من يعلم؟ فربما كل تصرفاته مجرد تمثيل جيد لعميل مأجور". شعر أن الخوف بدد رغبته للطعام، شعر أن قبضة يد حديدية تمسك قلبه، فجأة توقَّف تيار أفكاره، ضحك من نفسه «لماذا كل هذا الخوف؟» حاول أن يبحث عن سبب خوفه «لم أفعل شيئًا يستوجب الخوف الذي أصابني» ضحك هذه المرة بصوت مسموع «تبًّا لهذا الداء المزمن، لم أشفَ من مرض فوبيا السياسة كما كنت أتصوَّر، أنا الذي كنت أسخر من عمي الذي يجهر بأنه مصاب، تبًا لفوبيا السياسة! لكن هل نحن العرب فقط مصابون بهذا الداء ونخاف السياسة وأي أمر يمتُّ لها بصلة أم أن آخرين أيضًا مصابون بهذا الداء؟»، تذكَّر نصيحة أحد أقاربه حين استشاره حول الفرع الذي سيختاره في الجامعة حين قال له: يفضَّل أن يكون فرع السياسة، وتذكر ردَّ قريبه الذي كان مهندسًا زراعيًّا: اختر أي فرع إلا السياسة فإنها أم المشاكل في بلادنا، تذكّر كلامه وكأنَّ الرجل بنفسه يتحدَّث، تذكّر نبرة صوته وطريقة لفظه للكلمة المُحرَّمة، لا شك أن الداء بلغ أشد حالاته عند الرجل.

"لكن لماذا كل هذا الخوف من السياسة؟ وهل نحن العرب الأهوازيون نخاف السياسة أم أن هناك من يشاطرنا الخوف في هذا البلد المترامي الأطراف؟ ربما كان هناك تميُّز حتى في توزيع الخوف! لا شك أنه كذلك، وإلا لماذا كل هذا من

المصابين في جانبنا؟ ولماذا توجد كل الحالات عند العرب بينما لا يصاب به العجم؟!" نفخ من شدة الحنق، كور قبضته، نظر إلى الكتاب الذي شغلته الأفكار عن الاهتمام به وتركه ملقى في جانب من الغرفة كضيف غير مرغوب فيه، التقط الكتاب من على السجادة و تصفَّحه، بحث فيه عن صور... في تلك اللحظة لم يشعر بأي رغبة في القراءة، سمع صوت أمه تناديه ليتناول طعامه الذي راح يحوم حوله الذباب قبل أن يبرد مرة أخرى، شعر كأن صوت أمه انتشله من حضرة الكتاب وبقليل من الإحراج وضع الكتاب على حافة الرَّف وألقى عليه نظرة وكأنه كان يَعِدُه بأنه سوف يعود له لاحقًا في أقرب وقت.

تناول طعامه بسرعة وبلا شهية ودون أن يهتم لثرثرة أمه وأبيه اللذين كانا يتشاجران حول إعداد الميزانية لشهر رمضان الذي اقترب موعده، اكتفى بقدح شاي واحد وعاد إلى الكتاب، قلّب صفحاته الأولى، قرأ العناوين الرئيسية ومقتطفات من المواضيع التي لفتت انتباهه، تأوّه بحسرة وحنق، شعر بدوار في رأسه وتذكَّر أنه لم يطبق جفنيه منذ الساعة السادسة صباحًا حين نهض من نومه وذهب للعمل، فمنذ أن أصبح يوسف زميله في المكتب لم يستطع أن ينام لأنه لو فعل ذلك سيكون عرضة لانتقاد يوسف اللاذع الذي يعتقد أن النوم أو عدم الإخلاص في العمل أمر لا يغتفر وهذا يعرِّضه لنوبات من تأنيب الضمير لذلك حاول أن يعوِّد نفسه على عدم النوم في محل العمل وبدلًا من ذلك أخذ ينام قليلًا حين يعود إلى البيت.

كلمات وجمل من الكتاب كانت تدور في رأسه وكأنه يراها أمامه مع أنَّ عينيه كانتا مطبقتين تمامًا، نهض ووجَّه ناحيته جهة الهواء المنعش الذي كان يبثُّه المكيف دون توقُّف، سحب البطانية على وجهه وكأنه كان يحاول أن يخفي وجهه تحت البطانية، أغمض عينه لكي لا يرى كلمات الكتاب لكنها

كانت هناك حاضرة أيضًا، الشيخ سلمان الكعبي.. إمارة عربستان...سربرسي كوكس..فضل الله خان زاهدي.. ليلة من ليالي رمضان 1925.. كعب.. الإنكليز...النفط.. سردار أسعد.. كلمات انطبعت في ذاكرته منذ كان في الثانوية، ينساها وربما يتناساها لكن تعود مرة أخرى فتعيد إليه كل شيء وكأنه يسمعها لأوَّل مرة! فما إن يتجول في شارع وسوق عبد الحميد في الأهواز أو يرى البؤس على وجوه الأطفال في شوارع كوت عبد الله حتى تنهمر عليه هذه الكلمات من جديد.

كرر محاولاته للتخلص من الكلمات لكن دون جدوى، بقي يتقلَّب في فراشه وكأنه يصارع الكلمات!

ترامى إلى سمعه صوت من بعيد، كأنه كان في حلم، حاول التركيز لسماع الصوت، نعم إنه صوت الأذان، كم الساعة الآن؟ فتح عينيه بصعوبة بالغة، أزاح البطانية من على وجهه، كان العرق يسيل من جبينه ، نظر إلى الساعة المعلَّقة على الجدار الأمامي لغرفته وكانت تشير إلى الثامنة تمامًا، أحس برعشة برد تسري في كل جسمه، حاول أن يتذكَّر كيف ومتى غلبه النوم لكن دون جدوى، تذكَّر الكلمات مرة أخرى، مدَّ يده واستطاع بصعوبة أن يأخذ الكتاب من الرَّف، فتحه وحاول أن يقرأ تحت شعاع من نور كان يتسلل إلى الغرفة المظلمة عبر زجاج النوافذ وباب الغرفة الموصد. كان الضوء قليلًا لكنه استطاع بواسطته أن يقرأ، فجأة فتح باب الغرفة، نظرت إليه أخته باستغراب وسألته: لماذا لا تضيء المصباح؟ وبحركة سريعة أضاءت له الغرفة، فشكرها واسترجع عينه لقراءة الكتاب.

أخذ يلاحق كلمات الكتاب بعينه بلهفة مع أنه كان يعرف جل ما ورد في الكتاب وسبق وأن قرأ بعض الكتب التاريخية حول الأهواز، لكن هذه المرة كان يقرأ الكتاب بلهفة ربما كان

سببها أن يوسف أهدى له هذا الكتاب. قلّب صفحات الكتاب، كان تارة يقرأ السطور بعناية وأخرى يمرعليها مرورالكرام وكأنه لا يراها وأحيانًا تعصف برأسه أفكار وخواطر من الماضي أو من صنع الخيال تثيرها أسماء الأماكن أو الأشخاص المذكورة فى الكتاب، فيفقد تركيزه ويسرح فى عالم آخر!

منذ أن تعرَّف ناجي على زميله الجديد في العمل، أدرك أنه يبيِّت لأمر ما، لكنه في البداية لم يستطع تحديد ما يضمره صديقه، ومع الأيام أيقن أن يوسف كان عضوًا في تنظيم وأنه سوف يطلب منه الانضمام إلى ذلك التنظيم فى يوم من الأيام، والآن حين أعطاه هذا الكتاب تحولَّ الشك إلى يقين وأدرك ناجي أن يوسف عاجلًا أم آجلًا سوف يفاتحه بموضوع التنظيم ويريد رأيه حول ذلك التنظيم وطبعًا الانضمام له.

مرت أمامه عينيه بلمح البصر جميع ذكرياته مع يوسف منذ أن التقاه أول مرة «لا شك أنَّ يوسف شاب جيِّد، إنه لا يكذب ولا يخدع وصديق كريم وحنون ولكن.. التنظيم شيء آخر.. إنه الموت بعينه.. والدمار والتشرُّد والسجون... ونساء بملابس سوداء ووجوهن أكثر سوادًا..أمهات وأخوات يلطمن بألم وحرقة... ورجال ونساء بملابس رثَّة وبالية يتسكَّعون على أبواب السجون... وجنود ينهرونهم ويزجرونهم و... التنظيم.. نساء على حافة الجنون يلقين أنفسهن على تراب قبور في أماكن مجهولة ونائية ويصرخن ويندبن نافشات شعورهن. أجل.. هذا التنظيم. وهذا ما ينتظرمن ينضم لتنظيم ويريد الدفاع عن العرب في الأهواز!» حين كان يفكِّر ارتسمت هذه الصور بوضوح في ذهنه كأنها كانت حقيقة ماثلة أمامه، شعر بألم في معدته ودوار في رأسه.

نفخ بصوت مسموع من الحيرة وأخذ يفرك كفَّيه ببعض على إثر ضغط الأفكار التي كانت تدور في رأسه، أخذ يقطع

عرض الغرفة ويرجع مرة أخرى إلى مكانه، مرة أخرى انتشله من أفكاره صوت أمه التي كانت تناديه لتناول العشاء، بعد دقائق من سماع الصوت أغلق الكتاب وخرج من الغرفة وعند خروجه كانت بقايا من التفكير في التنظيم تدور في رأسه إلا أن رائحة دهن (السمن) العربي والأرزالشهي أبعدت هذه الأفكار من رأسه فجلس إلى جانب والده على حافة المائدة التي أضيفت إليها أصناف جديدة من الطعام، كان بعض منها ضيفًا جديدًا يزور مائدة أم ناجي لأول مرة، كان الشاب يعرف جيدًا أن هذه الأطعمة جاءت نتيجة لتوظيفه الذي حسّن دخل الأسرة.

تناول عشاءه بسرعة وجلس إلى جانب قوري الشاي الذي كان الجمر يكتنفه من كل جانب ورائحة الشاي والهيل كانت تتصاعد منه، أخذ يرتشف الشاي الساخن ويستمع إلى ثرثرة أمه وأبيه وأخواته، أراد الخروج من الغرفة إلا أن صوت أمه أوقفه في مكانه:

- ابني ناجي! هل استلمت راتبك؟ شهر رمضان الكريم اقترب وأريد شراء بعض الأشياء لشهر الصوم.

حكَّ الشاب رأسه وفكَّر لهنيهة ثم ردَّ باقتضاب:

- يصير خير.

دخل غرفته ودسَّ يده في جيب البنطال وأخرج رزمة من الأوراق النقدية، ثم رجع وسلمها لأمه دون أن يعدَّها، استلمت الأم رزمة النقود بخضوع ثم سألته:

- كم هذه؟

- لا أعرف والله! لم أعدها لكنها كل راتبي، دفعت منها ثمن قميص، وسلفّت أحد زملائي عشرين ألف راللل فقط.

شكرته أمه بحنان وقبّلت جبينه، بينما ابتسمت هدى أخته الصغيرة التي يبدو أن الأم وعدتها بشراء شيء لها حين يستلم أخوها راتبه.

- وهل تبقَّى عندك ما يكفيك؟

ابتسم وهزَّ رأسه قائلًا:

- شكرًا لك. نعم تبقَّى عندي ما يكفي.

داهمه شعور بالشفقة حين رأى فرح أمه وانشراح صدرها بهذا المبلغ الزهيد من المال. خرج من الغرفة وتنفَّس الصعداء وأخذ يفكِّر بحال اهله فيما إذا حصل له مكروه فماذا سيحل بأسرته التي تعقد كل أملها على راتبه؟ فراتب أبيه لا يكفي للإنفاق على الأسرة والاعتماد عليه حتى نهاية الشهر يتطلب حذف الفواكه واللحم من قائمة المأكولات والاكتفاء بشراء الملابس مرة واحدة في السنة حين يحلُّ عيد الفطر. كان الشاب مسرورًا بالتغيير الذي أحدثه راتبه على الأسرة التي باتت تأكل اللحم والسمك والدجاج وكان يعرف أن انخراطه فيما يلمح له يوسف يعنى حرمان الأسرة من هذا كله، شعر أن يدًا حديدية تضغط على صدره بقوة، قطع مسافة بيتهم الصغيرعدة مرات، توَّقف قرب النخلة، كانت ثمة ذبابة تدور حول المصباح الذي كان ينير البيت وكانت تصدر أصواتًا غريبة مزعجة، نظر إلى ساعته وكانت تقترب من التاسعة وكان الليل قد احلولك وظهرت النجوم هنا وهناك، عادة كل يوم في تلك اللحظة تنتاب الشاب نوبة من الكآبة مصحوبة بتشاؤم وكان يذهب لزيارة أصدقائه في ركن أبي حوجيم فيقضي معهم ساعات ليبدد بعضًا من كآبته في الحديث والسمر حتى يقترب موعد النوم.

خطر له خاطر فخرج من البيت لا يلوي على شيء إلا أن كلمات الكتاب ما زالت تدور في رأسه، اجتاز الشارع ثم

دخل سوق كوت عبدالله، كان معظم الباعة يغادرون أماكنهم، كان يمشي وسط السوق ويرمق الباعة الذين يمرُّ بهم ويتصفَّح وجوههم وعاصفة من الأفكار تدور في رأسه «يا ترى هل يفكر هؤلاء مثلما أفكر أنا؟! هل يشغل بالهم تحرير الأهواز؟ هل أنضمُّ إلى يوسف الذي من المؤكد أنه سوف يطلب مني الانضمام إلى تنظيمه؟ لا شك أن يوسف إنسان صادق وأمين ولا يكذب أبدًا.. لكن ماذا لو انخرطت معه في التنظيم؟ و..هكذا تنظيمات عادة ما تكتشف..ومن ثم الأحكام الجائرة ثلاثون سنة... عشرون سنة.. إعدام... مؤبد...! ضحك بصوت عالٍ ضحكة لفتت انتباه الباعة والمارة في السوق، هزَّ يده مستهزئًا بأفكاره.. اللعنة.. إنه مرض فوبيا السياسة...المصاب به شعب بأكمله!» كان يرمق المارة من بين أكشاك الباعة المنتشرة هنا وهناك، فجأة لاح له وجه جميل أحال الظلام المحيط به إلى ضوء مشتعل، فتاة في مقتبل العمر كانت تتبختر مع امرأة كبيرة في العمر ويبدو أنها كانت أمها نظرًا للشبه الموجود في ملامح الوجهين إلا أن أحدهما غض نضر مثل زهرة متفتِّحة، والآخر جرَّ الزمان أقلامه عليه مثل طفل مشاغب دون أي تناسق فعبث به أيَّ عبث وتركه مثل بستان ورد عاثت به مجموعة ثيران. احتقنت أجواء السوق وسرت همهمة بين الباعة والزبائن والمارة وأخذ كل منهم يحاول أن يختلس أكبر قدر من النظرات للفتاة.

كان ناجي منهمكًا في التفكير إلا أن ذلك لم يجعله يفوِّت تلك الفرصة وكان حين يلمح وجهًا جميلًا يؤجِّل التفكير حتى إشعار آخر ويبقى فاغرالفاه لا يطرف له جفن وينصّب كل تفكيره على ما يرى ويظل يتفرس بدقة متناهية الوجه وما ظهر من جسد الفتاة أو المرأة! رمق الحسناء القادمة بنهم وازدادت دقات قلبه، تنهَّد بصوت مسموع وقال مع نفسه: الله كريم. فرغم أن إيمانه بتعاليم الدين متزلزل جدًّا وكثيرًا ما كان يميل إلى

الإلحاد إلا أنه في مثل تلك المواقف كان يدعو الله أن يرزقه بحسناء تخفف عليه وطأة تلك الأفكار.

سارت الفتاة الجميلة بصحبة المرأه العجوز وسط السوق وتوقفتا للحظة والتفتت العجوز إلى الخلف وقالت شيئًا لم يسمعه الشاب، لم تمض دقائق حتى التحق بهن شاب وسيم وأنيق جاء يركض لاهثًا ويبدو أنه كان يبحث عن موقف للسيارة التي جاؤوا بها. كان ناجى يراقب ما يدور بدقة وعيناه متسمرتان في وجه الفتاة وملامحها الجميلة، كانت الفتاة ترتدي مانتو قصيرًا وعلى كتفيها شال أبيض يغطي رأسها إلا أن خصلات من شعرها كانت تتدلى إلى جانب وجهها وعلى جبينها، كما أنها كانت مزدانة بحلي ذهبية تشعُّ نورًا وهَّاجًا تحت نور المصابيح المعلقة من أعمدة الكهرباء على جانبي شارع السوق. أخذ يراقب الفتاة ويلاحقها بعينيه وكانت هي تتوسط الشاب والعجوز، اضطرب قلبه وزادت دقاته، نسي ما كان يشغل تفكيره وأخذ يلاحق الفتاة ومن يرافقها حتى بلغوا نهاية السوق، توقفوا عدة مرات لشراء الفواكه و.. ثم انعطفوا يمينًا وعبروا طريقًا ضيِّقًا محاذيًا للسوق، عادوا عبر حافة مساحة كانت مليئة بالقمامة والنفايات التي يلقيها باعة السوق، تسمَّر الشاب وسط السوق هائمًا على وجهه يتلفت يمينًا ويسارًا، بعد لحظات لمح من بعيد الوجه الجميل وهو يغيب داخل سيارة فارهة ثم يبتعد شيئًا فشيئًا، شعر ناجي أن مغادرة الفتاة سوف يتركه فريسة لأفكاره التي طردها قدومها، لاحت له الأفكار من جديد، إلا أن وجه الفتاة كان ماثلًا أمامه أيضًا كأنه لم يختف في داخل السيارة وظل عالقًا في مخيلته.

قطع شارع السوق عدة مرات ذهابًا ومجيئًا وكانت تدور في خلده الأفكار التي أثارها الكتاب وبإثارتها تجددت فيه روحه الوطنية وأحلامه لتخليص الشعب من شبح الاحتلال ولو أن تلك

الأفكار بهت لونها حين رأى الفتاة التي بقيت صورتها في خلده وكأنها انحفرت في ذاكرته. تمنى لو يستطيع أن يلاحق الفتاة حتى يعرف مكان سكنها لكن كيف وهي قد ابتعدت عنه بسيارة سارت بسرعة البرق! شعر بتعب في قدميه، أحس يدًا تمتد نحوه التفت نحو الخلف:

- أها.. أهلًا بفريد.

- رأيتك من بعيد وعرفتك من طريقة سيرك، هل تبحث عن شيء؟ راقبتك من بعيد فرأيتك تقطع السوق مرات عديدة. هل أنت سكران؟

تلعثم ولم يستطع أن يجد الحجة المناسبة وداهمه خوف من أن صديقه انتبه لملاحقته للفتاة، لكن سرعان ما عرف أن كل شيء على ما يرام.

- أقول: ناجي! هل تحب أن تسكر؟ عندي شيء ممتاز وأيضًا جهاز فيديو.

تردد للحظة ولم يردَّ على سؤال صديقه، بقي حائرًا ثم قال:

- أنا لا أشرب الكحول.

ضحك صديقه ضحكة عالية انتبه لها كل من كان في السوق، ثم ربَّت على كتفه وقال:

- ناجي، علينا هذا الكلام، هل نسيت حافة النهر قبل أربع سنوات؟

ابتسم ناجي ثم قال:

- ذاك كان زمان، لكن الآن لا أستطيع.

قهقه صديقه مرة أخرى ثم قال:

- لا تخف! كل شيء على حسابي، حتى إذا أردت أطلب لك إجازة؛ حتى لا يسجل ذنبًا في قائمة أعمالك.

ضحك الشاب على النكتة ثم قال:

- ليست هذه المشكلة.

- إذن قل لي: أين المشكلة؟

فكّر للحظة لكنه أخفق في العثورعلى دليل ينقذه من موقفه فقال:

- أفكر في الأمر.

ردَّ عليه الآخر وهو يهمُّ بمغادرته:

- ليلة الجمعة لا تنس! سأكون وحدي في البيت بانتظارك.

- أحاول المجيء.

غادر صديقه فريد وهو يدندن ويردد بصوت مسموع كلمات أغنية عراقية مستبدلًا بعض كلماتها بكلمات بذيئة، كان يخفض صوته حين يرددها: "عبرت الشط... عبرت الشط على مودك خليتك على."...

بقي ناجي واجمًا ينظر إلى السوق الذي خفت حركته ولم يعد يحتضن نشاط النهار وغادره معظم الباعة وتركوا بضاعتهم بعدما أحسنوا تغطيتها بالأغطية البرزنتية أوالبلاستيكية ولم يبق في السوق سوى عدد قليل من أصحاب الأكشاك الصغيرة موزعين هنا وهناك في أماكن متباعدة في شارع السوق الفسيح.

اقترب الشاب من حافة الرصيف وجلس بعدما أحس بتعب في ركبتيه، مرَّ به جماعة من الشباب وسأله أحدهم ما إذا كان بحاجة إلى شيء، عرف ناجي أن الشيء يعني المخدرات، شكرهم و ردد كلمة لا عدة مرات، أشفق على الشباب الذين عرضوا عليه المخدرات و..تذكَّر كلام يوسف«.. أن الحكومة هي التي تنشر المخدرات في الأحياء العربية لمنع الشباب العرب من النهوض..» مرة أخرى داهمته كلمات الكتاب..تذكَّر وجه الفتاة، نهض من مكانه، فجأة تذكَّر أنه خرج من البيت ليذهب لزيارة النجار، رجع خطوات إلى الوراء ووقف على الرصيف..أراد أن يعرف الوقت، نظر إلى ساعة يده لكنه كان قد نسيها في البيت حين خلع ملابسه بعدعودته من العمل.. اقترب من كشك صغير وسأل صاحبه عن الوقت..فأجابه: العاشرة والنصف.. لا.. الوقت متأخر جدًّا.. اضطر إلى تأجيل زيارة النجار إلى وقت آخر..فالنجارينام ويستيقظ مبكرًا ودائمًا يطلب من زوَّاره أن يأتوا إليه مبكرًا، شعر بالملل.. أحس أنه بحاجة للحديث مع أحد.. ومن أفضل من تلك الفتاة.. حاول أن يتذكَّر شكلها وملامحها.. ارتسمت أمام عينيه الصورالتي التقطها حين كان يتبع الفتاة بنظراته النهمة..تأوّه بصوت مسموع.. تمنى لو كان يستطيع أن يتكلَّم مع صورتها التي علقت بذهنه.. شعر بالوحدة.. داهمه حزن لا يعرف له سببًا.. بلحظة واحدة فتح الباب الذي كان يقع بالقرب من الرصيف الذي يقف عليه و وقف في بوابته رجل وأخرج رأسه ومقدمة جسده من البوابة، كان رجلًا ضخمًا بشوارب معكوفة.. نظر إلى الشاب شزرًا، لم يكترث الشاب لنظراته..صرخ الرجل الضخم بصوت قبيح على الشاب وكأنه أدرك أن الشاب تعمَّد عدم الاكتراث إليه:

- تفضَّل! ماذا تريد؟ لماذا تقف هنا؟

أرهبه صوت الرجل وانتشله من عالمه، نظر إلى الرجل وبقي فاغرالفاه، دقَّق في وجه الرجل فوجده رجلًا ضخمًا بشوارب مفتولة وعيون يتطاير منها الشرر.. تقدَّم نحو ناجي عدة خطوات، كان الرجل بملابسه الداخلية، صرخ في وجه ناجي وسأله مرة أخرى عن سبب وقوفه وبقى ينتظر جوابه.. نظر إليه ناجي طويلًا وبقي حائرًا لا يدري ماذا يقول« أكيد أنه ظنَّ بي سوءًا.. ربما ظنَّ بأني أريد سرقة بيتهم أو..» صرخ الرجل مرة أخرى وبصوت أكثر حدة وغضبًا:

- أنت أخرس؟ماذا تريد؟ اذهب لشأنك وإلا سوف أشبعك ضربًا..

تلعثم وخرجت كلماته بصعوبة بالغة:

- أمرك يا سيدي.. سأذهب..

نزل من الرصيف وغادر المكان بسرعة.. سمع صوت الرجل الضخم وهو يسبُّه ويشتمه، انزعج من الكلمات النابية التي وصفه بها..التفت إلى الوراء فوجد الرجل ما يزال واقفًا في بوابة البيت.. رجع غاضبًا.. واقترب من الرجل الذي ما إن رآه يرجع حتى خرج من البيت ووقف في وسط الشارع.. صرخ بالرجل غاضبًا:

- لماذا تشتم؟ هل تعرفني حتى تشتمني؟

- أشتمك وأشتم أباك. ماذا كنت تفعل على رصيف بيتي؟

شعر أن نبرة الرجل الضخم تغيَّرت وأصبحت أكثر تقززًا من قبل..أراد أن يشتم الرجل الضخم لكنه أمسك في اللحظة الأخيرة حين تذكَّر حكمة لأحد الفلاسفة "إذا عضَّك كلب.. فلا يمكنك أن تعضه أنت أيضًا".

فتحت أبواب البيوت القريبة على إثر الأصوات العالية وظهرت أشباح على أعتابها بينما هرع إلى التوسط صاحب كشك كان قريبًا من الموقف، ولحق به بعض الفضولين من هنا وهناك، لم تمض دقائق معدودات حتى أصبح الشارع يموج بجماعة كبيرة من الناس وكأنهم كانوا في انتظار مثل هذا الموقف.

استمر الرجل الضخم في السبِّ والشتم، كوّر ناجي قبضته غاضبًا واستعد لتوجيه ضربة قويَّة، وقرر أن تكون في أنف الرجل وحين نعته الرجل باللص السافل أمسك بتلابيب غريمه ورفع يده إلى الأعلى وكاد أن يوجه له ضربة بكل ما يملك من قوة إلا أن يدًا قوية أمسكته من الخلف وما هي إلا لحظات حتى أمسكته أيادٍ كثيرة من كل جانب ومنعته من أي حراك.. بينما لمح غريمه أيضًا بين أيادي أخرى أخذت تبعده عنه.. سمع أصواتًا من هنا وهناك وكأنه كان في حلم..

تناول كأس الماء المثلج الذي قُدِّم له وبعد أن شربه شعر بارتياح.. أغمض عينيه للحظة وفتحها مرة أخرى.. ترامى إلى سمعه صوتًا يعرفه.. نظر إلى من حوله.. وشرب كأسًا آخر من الماء.. قَدَّمه له صاحب الكشك، سمع صوتًا يقول:

- ماذا أصابك يا ناجي؟ أنت إنسان مثقف، وهكذا أمور بعيدة عنك كل البعد..

بحث عن صاحب الصوت فوجده قريبًا جدًّا، واستغرب كثيرًا حين رأى صديقه رسول يحتضنه ويحاول تهدئته. أمسك رسول بيد ناجي ثم قال له:

- تعال لنذهب، تعال أرجوك، اترك هذا الرجل، إنه لا يفهم.

مشى ناجي خطوات ويده بيد صديقه الذي كان يمسك يده بقوة خشية أن تفلت منه ويحتدم الصراع مرة أخرى، التفت إلى الخلف ونظر حيث بيت الرجل العملاق فوجده وسط جماعة تحيط به وهو يتكلم وكأنه كان يشرح لهم ما جرى، مشى الصديقان خطوات في الشارع الرئيسي ثم انعطافا إلى اليمين ودخلا زقاقًا ضيقًا ومظلمًا، عندها أرخى رسول يده حول معصم صديقه وبعد لحظات تركها. حرك ناجى يده عده مرات ثم قال لصديقه:

- أرجوك رسول ارجع من هنا إلا إذا كنت تريد أن تكون ضيفي الليلة فأهلًا وسهلًا بك.

ابتسم رسول ثم قال:

- ضيف في هذا الوقت من الليل!

إذن ارجع! بيتنا بعيد جدًّا ولا أريد أن أرهقك.

ضحك رسول وهزَّ رأسه الكبير كعلامة للنفي، ثم طلب منه أن يشرح له ما حدث مع الرجل قائلًا:

- ما الذي دفع بك إلى ذلك المكان في هذا الوقت من الليل؟

ابتسم ناجي وقد شعر بلذة وارتياح خاص من اهتمام صديقه به:

- لا أدري كيف حصل ما حصل! فقط أتذكر أني كنت واقفًا على رصيف ذاك البيت وعندها خرج منه الرجل ووقف في عتبة الباب وأطال النظر إليّ ثم طلب مني أن أغادر المكان فغادرت، لكن سمعته يشتمني بألفاظ بذيئة وسيئة، لذلك رجعت

لكي أتحدث معه وأقول له فقط: لا تشتم ، لكنه كان غاضبًا ولم يمهلني لحظة حتى أشرح له واشتبك معي.

ضحك رسول بصوت عالٍ، دوّت ضحكته في سكون الليل الذي يخيِّم على أزقة كوت عبد الله الضيقة والمظلمة لكنه سرعان ما أدرك أن ضحكته ربما تزعج الأهالي لذلك خفض صوته ثم قال:

- هذا يفسِّر كل شيء، فالرجل عنده أربع بنات جميلات ويتصوَّر أن أي رجل يقف قرب بيته يريد التحرش ببناته.

- أنا لا أعرف بناته ولا أعرفه أصلًا وكنت مرهقًا من المشي ووقفت على رصيف بيته لأستريح قليلًا.

- أعرفك يا ناجي، أعرفك جيدًا، المهم انتهى كل شيء بخير، لكن أخبرني أنت أين هذه الأيام؟

- والله من العمل للبيت ومن البيت للعمل، الليلة خرجت لكي أشم بعض الهواء وأريح نفسي فرأيت بنفسك ما حدث لي.

- لا تهتم للموضوع، هذه الأمور اعتيادية في كوت عبد الله! طيب وصلنا الآن، أنا أودعك.

طلب ناجي من صديقه أن يدخل إلى البيت إلا أنه رفض ورجع بسرعة، بينما أسرع هو إلى غرفته وألقى بنفسه على السرير وبقايا من شتائم وسباب الرجل الضخم وأحداث تلك الليلة ما زالت تدور في رأسه.

الفصل العاشر

غسل فريد مجموعة من الفواكه بعناية وصفَّها في طبق ووضعها على مائدة صغيرة، ثم فتح كيسًا صغيرًا وأخرج منه بعض المكسرات و وضعها إلى جانب الطبق وجلب أطباقًا وسكاكين وأشواكًا وصفها على المائدة. بعدما انتهى من ترتيب المائدة أمسك فوطة وأخذ يطارد ذبابة كانت تطنطن خلف زجاج الشباك المطل على ساحة البيت الفسيحة، هربت الذبابة يمينًا وشمالًا إلا أنّ ضربات الفوطة السريعة أجبرتها على مغادرة الغرفة الباردة والخروج إلى الشمس اللاهبة والرياح الحارة حين فتح فريد لها الباب.

أحكمَ غلق باب الغرفة بعناية بعدما تخلَّص من الذبابة وطنينها المزعج، أطفأ المروحة فكفت عن الدوران بسرعة وأخذت تدور ببطء ثم بكسل حتى توقَّفت عن الدوران تمامًا عندها جاء صوت منتظم ونسيم هواء بارد على وجهه فجفف قطرات العرق التي تجمعت على جبينه.

تأوَّه بصوت مسموع وتكلَّم وكأنه يُحدِّث نفسه ثم نظر إلى المائدة الممدودة على سجادة بنقوش جميلة فغمغم قائلًا: متى يأتي؟ كل شيء أصبح جاهزًا.

نظر إلى الساعة المعلَّقة على جدار الغرفة المزدحم بالصور والنقوش ثم نهض وفتح خزَّانًا خشبيًّا صغيرًا وعاد بكيس أسود صغير. جلس قرب المائدة وأخرج الزجاجة وحاول أن يقرأ ما كتب عليها تحت نور الشمس الذي كان يتسلَّل من خلف ستائر الغرفة التي تسلب منه ضوءه الوهَّاج المزعج للعيون وتجعله ينعكس على جدران الغرفة اللامعة والمطليَّة باللون الأزرق ليمنع الظلام فقط ويغني من في الغرفة عن

استخدام المصباح الكهربائي! أدار الزجاجة تحت ذلك النور الذي عَكَسَ بوضوح ماركة (جاني ويكر) اللامعة فابتسم فريد وصرخ قائلًا: ماذا يريد ابن سرحان؟! جلبت له أفضل ماركة للويسكي.

وضع الزجاجة على المائدة واقترب من التلفزيون وأخذ يعبث بأسلاك متشابكة بعضها كان مربوطًا خلف التلفزيون بينما أطرافها الأخرى متصلة بجهاز فيديو، ثم فتح درجًا كان تحت الصوان الذي وضع عليه جهاز التلفزيون وأخرج مجموعة من أشرطة الفيديو وأخذ يقلِّبها وتوقف عن تقليبها حين رأى كلمة "ريف عراقي" على أحدها، مسحه بيده وأدخله في فم الفيديو الذي ابتلعه فورًا فصدرت منه طقطقة وكأنه كان يمضغه إلا أن هذه الأصوات سرعان ما اختفت حين انتشرت أنغام الموسيقى وملأت الغرفة وطغت على أصوات مضغ الشريط الصادرة من جهاز الفيديو.

هزَّ فريد رأسه طربًا وأخذ يردِّد الأغنية التي كان يبثها الشريط " هاك لا هناك روح أخذ العكل" ألقى بنفسه على مخدة كبيرة كانت إلى جانب المائدة وغمغم: متى يأتي هذا؟! آه منكم أيها المثقفون!

مضت لحظات وانتهت الأغنية وسمع صوت الجرس فنهض فريد من مكانه بسرعة وفتح الباب فوجد خلفه صديقه ناجي، رحَّب به ترحيبًا حارًا وطلب منه أن يدخل إلا أنه أبّى قائلًا: بالأول افتح الطريق!

فصاح فريد قائلًا:

- أي طريق؟! عائلتي كلها ذهبت لزيارة بيت جدي ولا يعودون إلا غدًا. تفضل، أهلًا وسهلًا بك.

غمغم ناجي ونتف شعر حاجبه الأيمن ثم نظر إلى الخلف ودخل وهو يكرر كلمات الشكر ردًّا على ترحيب مضيّفه.

جلس ناجي على مقربة من المائدة الممدودة ولفتت انتباهه الزجاجة التي كانت تتوسط المائدة وماركتها التي كانت تشعُّ نورًا وهَّاجًا.

حاول أن يبتسم ويلقي خلف ظهره الحديث الذي دار صباح ذلك اليوم بينه وبين يوسف في العمل حين كانا جالسين في المكتب؛ الحوار الذي سبب له الحيرة ووضعه بين أمرين لا ثالث لهما، فيوسف بعد أن لمّح له مرات عديدة وفي مواقف مختلفة ولم يحصل على رد مناسب من ناجي، يبدو أنه قرر أن يفاتحه بالموضوع مباشرة بعد أن أيقن أنه يؤمن بالقضية الأهوازية ويريد الدفاع عنها وعنده رصيد من الثقافة يؤهله للانضمام للتنظيم. كان يوسف يرتدي قميصًا أزرق جديدًا في ذلك الصباح مسرِّحًا شعره الفاحم إلى الخلف وقد قص أطرافه بعناية فبدا وجهه وهَّاجًا وجميلًا حين كان يحوم في أرجاء المكتب ويقلب الأوراق والملفات بعصبية، انتبه ناجي من أول لحظة أن صديقه يبيّت لأمر ما ويريد أن يقول شيئًا لكنه ينتظر اللحظة المناسبة، أراد ناجي أن يسأل صديقه إلا أنه فضَّل الانتظار و واصل عمله حتى توجَّه يوسف ناحية مكتبه وجلس على الطاولة التي كانت أمام ناجى، جلس لهنيهة ثم فرقع أصابع يده وقال:

- أقول: ناجي، ما قدرتك على تحمل الأسرار؟

تفاجأ ناجي بهذا السوال لكنه ردَّ دون أي صعوبة:

- ماذا تقصد؟

- أقصد إذا فاتحتك بموضوع ما، هل تستطيع أن تكتمه إلى الأبد في حال عدم موافقتك عليه؟

عرف ناجي ما يرمي إليه صديقه وأنه يريد منه الانضام إلى تنظيمه، أراد أن يقول له: لا، لا أستطيع وينهي الموضوع من تلك اللحظة لكنه شعر بوخز الضمير وبشيء من الخجل من صديقه المحبب ولم يشأ أن يعكِّر مزاجه في ذلك الصباح لذلك قال:

- لك ما تريد يا صديقي العزيز!

ابتسم يوسف واقترب من ناجي وتحدَّث بهمس:

- أنت تعرف أن بلادنا محتلة وإذا كنا غير راضين عن هذا الاحتلال يجب أن نعمل شيئًا لطردالمحتل أو على الأقل مكافحته. هل تتفق معي في هذه النقطة؟

ردَّ ناجي فورًا:

- طبعًا أتفق معك.

- جيد لذلك قبل فترة قليلة أنا وبعض الإخوة أنشأنا تنظيمًا للدفاع عن حقوق العرب الأهوازيين المهضومة ولا زلنا نبحث عن الأعضاء الجدد لتوسيع دائرة عملنا.

صمت يوسف وأخذ يرقب صديقه ليرى تأثير كلامه فوجده ينظر إليه بلهفة وشوق، سرّه هذا الاهتمام واستمر في حديثه:

- التنظيم بابه مفتوح لدخول الإخوة والأخوات المؤهلين الذين يريدون الدفاع عن وطنهم وإن شاء الله أنت واحد من أفضل شبابنا لذلك يسرنا أن نطلب منك الانضمام إلينا.

بقي ناجي واجمًا لا يدري ما يقول، كان فمه شبه مخدر وفكره مشغول بما سوف يحدث بعد الانضمام للتنظيم وليس فيما قاله يوسف! مضت لحظات في صمت كان يوسف يتحاشى فيها النظر مباشرة إلى صديقه الذي كان غارقًا في التفكير. أراد يوسف أن يقول لصديقه أن بإمكانه التفكير بالموضوع جيدًا وعلى مهل ومن ثم يرد عليه، لكن دخول السيد هاشم منعه من ذلك فصمت وتظاهر بالانهماك في العمل؛ حتى لا يضطر للاحتكاك بالسيد هاشم .

كان ناجي غارقًا في التفكير بما جرى له في الصباح ولم ينتبه لدخول فريد وتفاجأ حين رآه واقفًا أمامه مقدمًا له كأسًا من الماء! شكره بارتباك واضح وشعر كأنه كان في بئر عميق وصديقه أخرجه منه، مسح العرق الذي تجمع على جبينه بيده وابتسم في وجه صديقه وأخذ كأس الماء المثلج الذي قدمه له وردَّ على صديقه الذي خاطبه قائلًا: ماذا أصابك؟

- لم يصبني شيءٌ! لكني كنت أفكر في أمر ما.

- على ماذا ترهق نفسك في التفكير؟ ابتسم والحياة - كما ترى- عجلتها تسير شئنا أم أبينا.

شرب نصف كأس الماء ثم قال:

- ألا تعتقد أن هناك مواضيع تستحق التفكير والاهتمام؟

- مثل؟

- قضية عرب الأهواز.

نفخ فريد عاليًا وقال:

- هذه مشكلة حقيقية وإذا تورطت فيها سوف تجلب لك الهلاك، في بلادنا اعمل كل شيء إلا السياسة.

ابتسم ناجي ثم قال:

- كيف؟

- الحكومة لا تتساهل ولا تعفو عن السياسي أبدًا.

ردَّ ناجي بشيء من التهكم:

- وهل تعرف معنى السياسي؟

- طبعا أعرف! أم أنك تعتقد أن المثقفين وحدهم يعرفون معناه، السياسي الذي يعمل بالسياسة ويشكل تنظيمًا لتحرير الأهواز.

هزَّ ناجي رأسه مؤيِّدًا واستمرَّ فريد:

- هنا لا يغفرون للسياسي أبدًا لكن الجرائم الأخرى يتعاملون معها بسهولة تامة؛ اسرق أو تاجر بالمخدرات أو اقتل بإمكانك أن تهرب من العقاب بتقديم الرشوة لكن السياسي هو الوحيد الذي لا تقبل منه الرشوة ويعاقب بصورة صارمة وقاسية.

- نعم هذا أكيد.

- لنترك هذا الكلام المزعج ولنرَ ماذا لدينا هنا في المائدة.

أسند ناجي ظهره إلى وسادة كان فريدًا قد وضعها خلفه وأخذ يستمع إلى الأغاني التي كان يبثها التلفزيون باستمرار، ثم أخرج مسبحة بحبات صفراء من جيب بنطاله، جال ببصره

على المائدة بدءًا بزجاجة الويسكي الفاخرة التي تتوسط المائدة ثم نزل إلى طبق الفواكه الكبير والصحون والسكاكين من حوله، تحلّب ريقه للفستق ذي الألوان المفتوحة الذي كان في أوانٍ صغيرة وجميلة كانت تحمل ماركات تجارية. أدرك ناجي فورًا أنها مستوردة وأن والد فريد هو الذى جلبها من الكويت، شعر بسعادة وفرح لاهتمام صديقه ثم قال:

- لماذا أتعبت نفسك بإحضار كل هذا؟

غمزه فريد الذي كان يعبث ويقلب أشرطة الفيديو لينتقي منها الأفضل ثم قال:

- أنت صديق جيد يا ناجي لكن ما يؤسفني إنك مثقف! يا عم ناجي الدنيا لا تستحق كل هذه الاهتمام! اتركها واستمتع.

قال آخر كلمة وأطلق ضحكة عالية دوّت في أرجاء الغرفة، لم يغضب ناجي لكلام صديقه كما كان يفعل في المرات السابقة وداهمه إحساس بالعبثية وتساءل في داخله عن السبب الذي يدفعه لتحمل كل تلك الهموم والأفكار لكن تصدَّى لإحساسه هذا ضميرُه، شعر أنه كرة تتقاذفها الأقدام! تأوَّه بصوت مسموع الأمر الذي جعل فريد يصرخ مرة أخرى قائلًا:

- ماذا يدور في داخلك؟ لماذا كل هذا الهم يا صديقي؟ لا أظن أنك عاشق؟ أنا أعتقد أن الحب هو الشيء الوحيد الذي يستحق تحمل المعاناة وما سواه فليذهب للجحيم.

وقهقه مرة أخرى، وبعدما رأى بوادر الكآبة على ملامح ضيفه تناول زجاجة الويسكي ثم قال:

- الآن أعطيك شيئًا يجعلك تنسى كل همومك.

فتح الزجاجة بعدما طلب الإذن من ضيفه وملأ كأسًا صغيرًا وناوله لناجي الذي زكمت أنفه رائحة الويسكي وتذكَّر أيام كان يشرب العرق مع أصدقائه قرب نهر كارون. داهمه شعور بالذنب رغم إيمانه المتزلزل، تذكَّر حماس يوسف حين كان يحدِّثه في الصباح. وضع الكأس في صينية صغيرة كانت أمامه لكنه سرعان ما أخذه مرة أخرى بعدما طلب منه صديقه، ثم أغمض عينيه وشربه بالكامل وأخذ حبات عنب ووضعها في فمه ليبدد طعم الويسكي. أحس بحرارة السائل في معدته وشعر أنها تحترق، أكل حبات العنب بسرعة حتى يستعد للكأس الثاني.

ناوله صديقه كأسًا آخر فأخذه دون تردُّد وشربه دفعة واحدة أيضًا وجاءت الكؤوس الأخرى فشربها ناجي الواحدة تلو الآخرى حتى شعر أن مفعولها أخذ يسري في جسده وأحس بالاسترخاء في جميع أعضائه، أسند جانبه الأيمن إلى المخدة الكبيرة وأخذ يميل يمينًا وشمالًا مع نغمات الموسيقى وأصوات المطربين الشجية التي كانت تملأ الغرفة، شعر أن كل شيء يدور حوله بتناغم مع الموسيقى التي كان يسمعها، مرَّت عليه كلمات كان قد قرأها في الكتاب الذي أخذه من يوسف، ظهرت الكلمات كسحب في سماء صافية تطاردها الرياح العالية ثم سمع كلمات من كلام يوسف الصباحي، كانت تبدو مضحكة، ضحك عاليًا و قال ما الذي أصاب يوسف؟ وقهقه بصوت عالٍ و قهقه مع فريد ثم قال:

- اضحك يا صديقي! فأفضل شيء نعمله في الحياة هو الضحك.

واستمر الصديقان حتى منتصف الليل يتبادلان النكت والأحاديث ويضحكان، كان ناجي يضحك عاليًا على الهموم والأفكار التي كانت تشغل باله في الصباح وشعر وكأنه استطاع أن يجد الحل المناسب لجميع مشاكل العالم و ليس فقط العرب

في الأهواز فهزَّ رأسه طربًا مع أنغام الموسيقى وأغمض عينيه وأخذ يميل مع الموسيقى.

ثم نهض فريد من مكانه فترنَّح قليلًا وجلس أمام ناجى وأسند يده إلى مخدة صغيرة ثم قال لناجى: نعم تفضَّل أخي ناجي، تعال لأحكي لك. ثم سَرَدَ له قصَّة حُبِّه لفتاة كان يحبُّها وتحدَّث عن معاناته مع الحب! وحين انتهى فريد من حكاية حُبِّه، نهض ناجي وأراد الانصراف، طلب منه فريد أن يقضي الليلة عنده لكنه أصرَّ على الذهاب وودّع صديقه وراح يسير مترنِّحًا في شارع رئيسي ثم زقاق ضيق ولم يتذكَّر كيف ومتى وصل إلى بيته وكأنه فجأة وجد نفسه أمام باب بيته الصغير؛ دخل وألقى بنفسه على السرير بعدما أدار مفتاح المكيِّف ليبدد الحرارة التي كانت تسري في جسده.

أنامل طرقت على باب الغرفة بهدوء ولم تمضِ لحظات حتى اشتد طرق الباب، حرَّك رأسه على المخدة عدة مرات، كان ناجي يحاول أن يفتح عينيه وبعد محاولات عديده تمكَّن من فتحها، شعر بدوار في رأسه، ما زال يواجه صعوبة في إبقاء عينيه مفتوحتين، اشتدَّ الطرق على باب غرفته وأصبح طرقًا عنيفًا، صاح ناجى بصوت عالٍ: ادخل.. ادخل لكنَّ الباب كان مقفلًا «اللعنة! من الذي قفل الباب؟!» كان ناجي هو الذي قد قفله دون أن يشعر، نهض وفتح الباب ليرى أمامه أمه تنظر إليه بدهشة:

- تأخرت اليوم عن العمل! هل أخذت إجازة؟

نظر إلى ساعته وأدرك أن الوقت كان متأخِّرًا جدًّا، قال بسرعة وارتباك وهو يحاول أن يفتح عينيه بالكامل:

- لا! أبدًا وعليّ أن أسرع لكي أتمكن من اللحاق بحافلة الشركة.

- لكني صنعت لك فطورًا، افطر ثم اذهب!

- لا. بعد عشر دقائق ستكون حافلة الشركة على الطريق ويجب أن أسرع.

غسل وجهه فأنعشه الماء البارد، شعر كأنه يفتح عينيه لأول مرة، سرَّح شعره بسرعة وارتدى ملابسه وخرج لا يلوي على شيء.

استطاع ناجي أن يلحق بحافلة الشركة بعد هرولة طويلة لذلك حين ركب الباص كان صدره يعلو وينخفض بسرعة، ألقى بنفسه على أقرب مقعد شاغرفي الباص، كان الهواء المتدفق من نوافذ الباص لازال يختزن بعض البرودة المتبقية من الليل ولازال هناك ساعة على الأقل أمام الشمس حتى تشتد حرارة أشعتها المحرقة، فتح إحدى نوافذ الباص بالكامل وفتح زر قميصه الأعلى حتى يسمح للهواء أن يدخل إلى جسمه ويبدد الحرارة المتبقية من الليلة الماضية، شعر بدوار من أثر الرياح التي تصطدم بوجهه، أغمض عينيه للحظة ودارت في رأسه مقاطع من الأغاني التي سمعها حين كان سكرانًا، أحكم يده على الكتاب الملفوف بكيس بلاستيكي أسود كان قد جلبه ليعيده لصديقه وذلك ذكّره بيوسف: «يا ترى ماذا أقول له؟ لا شك أنه ينتظر مني الجواب. هل أنضم لتنظيمه؟ هل هذا شيء يجعل يوسف يفرح وينشرح صدره؟ لكن ماذا عن الأخطار؟ ماذا سيحل بأسرتي..؟المخابرات ستستخدم أساليب قاسية جدًّا...» بقيت هذه الأفكار تراوده طوال الطريق حتى أنه لم يشعر متى توقفت حافلة الشركة ونزل جميع الركاب وطلب منه سائق الباص بصوت عال: تفضَّل يا سعادة الموظف، ارتبك وبقى حائرًا وواجمًا ثم ابتسم ابتسامة عريضة دارى بها خجله ونزل بسرعة من الحافلة وتوجَّه نحو مكتبه مباشرة.

وجد يوسف جالسًا خلف مكتبه مرتديًا قميصًا فاقع اللون لكن ذلك لم يقلل من رزانته وهيبته، كان يمسك جريدة ويقرأ فيها بإمعان، وحين دخل زميله نهض من مكانه وحيّاه بحرارة و ودّ وحين سلّمه الكيس الذي يحتوي الكتاب تسلّمه وكأنه كان شيئًا ثمينًا ثم وضعه في درج طاولته وقفل الدرج وابتسم ثم قال:

- كيف كانت البضاعة؟

رغم أن ناجي لم يقرأ الكتاب كله واكتفى بقراءة مقتطفات منه لكنه أجاب:

- كانت جيدة جدًّا، استفدت الكثير وشكرًا لك.

ردَّ عليه يوسف باقتضاب وكأنه كان ينتظرأن يستمر صديقه في الحديث:

- عفوًا .

خيّم صمت رهيب على الصديقين وكان يوسف يأمل أن يعلن له صديقه عن قبوله الانخراط في التنظيم، بينما كان ناجي حائرًا لا يدري ماذا يقول، كان يكره أن يحتج بحجج واهية، تذكَّر أنه لم يتناول فطوره وأراد أن يهرب من الموقف بحجة تناول الفطور ويؤجل الحديث حول الانخراط في التنظيم حتى وقت آخر فقال:

- اليوم لم أتناول فطوري في البيت، تعال نفطر معًا.

ابتسم يوسف بودٍّ وقال:

- كما تريد.

خرج ناجي وبعد دقائق عاد بطبق صغير كان يحتوي على خبز وقطع من الجبن بالإضافة إلى أقداح شاي كبيرة،

وضع الطبق على طاولة يوسف وأخذ كرسيًّا ووضعه قرّب طاولة يوسف ثم قال:

- تفضَّل!

شكره يوسف وأخذ قدح الشاي ووضعه أمامه على الطاولة، رشفات متتالية من الشاي الساخن أعادت لناجي حيويته وخفَّفت الدوارالذي كان يشعر به، تناول قطعة خبز ولفها مع قطعة جبن وأخذ يأكل بشهية، صَمْتُ يوسف ذكّره بما دار من حديث قبل هنيهة وأراد أن يكسرالصمت ويتزوَّد ببعض المعلومات حول التنظيم الذي يريد منه يوسف الانضمام إليه .

نظر إلى يوسف الذي كان بين الحين والآخر يشرب جرعة من الشاي ثم يتابع ما كان يقرأه في الجريدة، تنحنح ثم قال:

- يوسف، ما إمكانيات هذا التنظيم الذي حدثتني عنه؟ وما طبيعته؟ وكيف يعمل؟

رفع يوسف رأسه من الجريدة بسرعة متفاجئًا من أسئلة صديقه التي جاءت دون تمهيد. نظر إلى ناجي وابتسم ثم قال:

- سوف تعرف كل شيء في حينه. أما الآن فلا المكان ولا الزمان مناسبان لمثل هذا الحديث، لكن قل لي مبدئيًّا: هل أنت مع الانضمام لهذا التنظيم؟

وجم ناجي للحظة ثم قال:

- إنه شيء جيد لا شك في ذلك.

- طبعًا يجب أن تعرف يا أخي أن ما نقوم به هو واجب ديني وإنساني، فإذا كنت مسلمًا عليك القيام به وإن لم تكن مسلمًا أو مؤمنًا بالإسلام فاعتبره واجبًا إنسانيًّا.

هزَّ ناجي رأسه؛ تأييدًا لكلام محدِّثه الذي استطرد قائلًا:

- إن ما يجري على الساحة هو محاولة لإبادة شعب بأكمله، يريدون أن يبيدوا العرب في الأهواز كما أباد الأمريكان الهنود الحمر في السابق وإلا ماذا يعني سلب الأراضي والتجويع والفقر في حين نحن نمشي على أرض تحوي في باطنها على الذهب. انظر إلى دول الخليج العربية كيف يعيشون وانظر لنا كيف نصارع الفقر والفاقة!

كان يوسف يتكلَّم بغضب حتى أن جبينه ابتل عرقًا وحين أراد أن يبلع ريقه واجه صعوبة في ذلك وشرب قليلًا من الشاي، شرب ناجي من قدحه ما تبقَّى من الشاي أيضًا ثم انتظر حتى ينهي صديقه حديثه ثم قال:

- أتفق معك، لكن ماذا نستطيع أن نعمل؟

بسط يوسف يديه على الطاولة ثم قال:

- يعني تريد الانضمام إلى التنظيم؟ لكن يا ناجي يجب أن يبقى هذا الكلام سرًّا ولا تحدِّث أحدًا به، أنت تعرف أن أي كلمة في هذا الشأن ربما تترتَّب عليها نتائج وخيمة.

- هذا أكيد؛ أنا لن أحدِّث أحدًا.

- وتنضم إلينا؟

- نعم! لكن أحتاج إلى بعض التفاصيل أولًا.

ضحك يوسف ضحكة تدل على الفرح ثم قال:

- طيب! أنا أعالج الموضوع. ما رأيك أن نجتمع في بيتنا؛ أنا وأنت وأحد الإخوة لكي ندرس الأمر بدقة ونوضِّح لك كل شيء؟

- هذا شيء جيد.

- أنا سوف أخبرك اليوم بعدما أنسِّق مع أحد الإخوة تليفونيًّا.

- إن شاء الله والآن إلى العمل.

الفصل الحادي عشر

أقبل شهر رمضان الكريم واستقبلته الناس بحفاوة في كوت عبدالله والأحياء المجاورة، عُلِّقت الزينة والمصابيح الملونة على أبواب الجوامع والحسينيات واستعد أصحابها لإحياء مراسيم وطقوس الشهر الكريم ودبّت حركة في السوق على إثر جلب بضائع ومنتجات مختلفة وجديدة خاصة بشهر الصيام من أماكن شتى. رَصَفَ الباعة الفواكه والحلويات والمأكولات على طاولات وصناديق في أبواب المحلات وعلى جانبي الطريق، وفي أول يوم للشهر الكريم أعدت أم ناجي السمك المشوي للإفطار ومعه أعدت الحساء وشوربة خاصة بالشهر بالإضافة إلى الحلويات، وكانت تتمنى أن يصيب وحيدها من الذكور نصيب الأسد مما أعدت وتفاجأت حين علمت أن ناجيًا لا يريد أن يفطر في البيت وأنه يريد الذهاب لدعوة وجَّهها له صديقه يوسف رغم أنها كانت تعرف أن ناجي ليس من الذين يصومون أو يهتمون لطقوس الشهر إلا أنها كانت تفضِّل أن تراه على مائدة الإفطار في أول يوم من شهر رمضان

حتى تعتذر له عند الله فى دعاءها وتبررعدم صيامه على طريقتها.

شكر ناجي أمه وخرج من البيت بسرعة قبل موعد الإفطار بعدة ساعات، كانت روائح لأطعمة مختلفة تملأ الشارع وكان معظم أهل الحي منهمكين بإعداد الطعام والمأكولات للإفطار ينتظرون موعده بفارغ الصبر. فما إن يقترب موعده حتى تخلو الشوارع والطرقات في كوت عبدالله من المارة والسيارات ويتحلّق الجميع حول مائدة الإفطار. لازالت شمس الأهواز تحتفظ بحرارتها مع أنها تميل نحو الأفق الغربي للمدينة لتختفي خلفه، سالت قطرات من العرق من طرفي وجه ناجي وجعلته يحسُّ بشيء من الألم في ذقنه الذي حلقه قبل لحظات من خروجه من البيت.

استغل سيارة قديمة كانت تعمل تاكسي في طريق كوت عبدالله إلى مركز مدينة الأهواز، كانت السيارة قديمة يسوقها كهل يتمايل مع أنغام موسيقى لشريط عبد الأمير إدريس، لم تمضِ لحظات حتى وجد ناجي نفسه وسط مدينة الأهواز المكتظ بالناس والسيارات، عاد إليه شعور بالخوف مصحوبًا بحب استطلاع غريب وهو يخطو خطواته بسرعة في شارع نادري للوصول إلى محطة الباصات «يا ترى ما الذي يريده يوسف بدعوته هذه؟ هل ما أفعله أنا صحيح؟ لاشك أنه صحيح لكن هل بإمكاني أنا وعائلتي تحمل ضريبة مثل هذا العمل؟» أسئلة كثيرة كانت تراوده طوال سيره حتى بلغ نهاية شارع نادري.

توقف على حافة الطريق المحاذي لنهر كارون، لفحته نسمة هواء عذبة من جهة النهر، أنعشته النسمة وشعر بارتياح لبرودتها رغم أن الشمس لازالت تلقي بأشعتها على المدينة دون أي رحمة، داهمته رغبة بالتجوال قرب النهر، جوّل بصره على الماء الذي كان يسير بهدوء وانتظام ثم حوّل بصره إلى حيث

قوارب صغيرة تطفو على سطح النهر، ترامى إلى سمعه صوت حزين، صوت يشبه الغناء الحزين، اقترب من مصدر الصوت وأرهف سمعه، كان هناك من يغنّي بيت من الابوذية« هلى الما لبسوا خادم سملهم..» استمع لذلك الصوت وأطربته نغماته الحزينة وشعر برغبة لمعرفة صاحبه، اقترب من السياج الحديدي للحديقة الذي يفصلها عن النهر ثم نظر إلى الأسفل، كان رجل بملابس رثة جالسًا على حافة قارب صغير ويردد العلوانية، فجأة التفت الرجل إلى الوراء كأنه أدرك وجود أحد يرقبه بفضل قوة خارقة، ابتسم في وجه القادم ثم قال:ماذا تريد؟ قالها بالفارسية! ابتسم ناجي أيضًا في وجهه وتراجع إلى الوراء "لابد أنه ظن أني أعجمي، هكذا دائمًا ما إن يرى الاهوازي أحدًا بهندام جيد حتى يظن أنه أعجمي! هذه أيضًا من بركات الاستعمار، فالاستعمار دائمًا لا يفرض كل شيء بل هناك أشياء تأتي من تلقاء نفسها أو بسبب الهيمنة وفرض السلطة و إلا لماذا ما زال اللون الأبيض للبشرة والأزرق أو الأخضر للعيون والأشقر الذهبي للشعر يعتبر من ميزات الجمال؟! كل هذا من ثمرات الاستمعار الأوروبي. من يدري ربما الشاه أو هذه الحكومة روّجت لهذه الفكرة بأن يكون العربي قذرًا ورثَّ الملابس والعكس يصدق للأعجمي!".

وقف متكئًا على سياج الحديقة التي يفصلها عن النهر وأخذ يجول ببصره في الضفة الأمامية للنهر، بدأ بالجسر الهلالي وتأمَّل أقواسه المنحنية بجمال خاص ثم انتقل ببصره إلى مبنى دائرة البريد ثم مبنى الإذاعة والتلفزيون وحين وصل إلى مبنى المخابرات أطال النظر إليه وإلى نوافذه المغلقة دائمًا، وجَمَ فجأة واعترته حالة من الخوف عندها تذكّر يوسف، وحين نظر إلى الشمس التي كانت تميل نحو مكان غروبها غادر حافة النهر بسرعة حتى لا يتأخر على موعده بينما ما زال يفكِّر فيما

يدور خلف جدران مبنى المخابرات الصماء وما يدور حوله من إشاعات وأقاويل التي تسبِّب فوبيا السياسة بين العرب.

ضغط على جرس باب اهتدى إليه بسهولة، كانت البيوت في حي جلستان مرقَّمة والشوارع كانت تحمل لافتات كبيرة كتبت عليها أسماؤها لذلك يهتدي المرء إلى العنوان الذي يقصده بسهولة تامة، بقي صامتًا للحظة وحين سمع وقع أقدام في الداخل عدل عن فكرة ضغط زر الجرس مرة أخرى وبقى يداعب أوراق شجرة اكاليبتوس كانت مزروعة قرب رصيف البيت.

بعد هنيهة سمع صرير الباب وهو ينفتح ثم ظهر له يوسف بدشداشة بيضاء وكان ما يزال يربط أزرارها ولم يكن شعره مسرَّحًا بل كان منفوشًا وفي عينيه انتفاخ قليل من أثرالنوم، عرف ناجي أنه كان نائمًا وصوت الجرس أيقظه من النوم. تصافحا بحرارة و رحَّب يوسف بالقادم ترحيبًا حارًّا ونظر إليه مستهزئًا حين اعتذر له عن إيقاظه من النوم ودخلا البيت ومرَّا بحديقة كبيرة ثم مدخل البيت. فضّل ناجي الجلوس على السجادة بدلًا من الكراسي الفاخرة التي كانت في الغرفة. عاد يوسف بعد لحظات وبيده إناء ماء مثلَّج وقدَّم قدحًا لناجي الذي كان يجفِّف عرق وجهه مسندًا ظهره إلى مخدة مزركشة بألوان جميلة. أخذ قدح الماء معتذرًا لصديقه ثم قال:

- أرجوك يا يوسف هذا كافٍ ولا أريد منك أن تجلب شيئًا آخر حتى يحين موعد الإفطار.

ابتسم يوسف وغمزه ثم جلس أمامه مرحِّبًا به ثم قال:

- العفو يا ناجي، أنت لست صائمًا فاشرب وكن مرتاحًا في بيتنا.

- كم تبقَّى لموعد الإفطار؟

- تبقَّى أقل من ساعتين لكن لا أعرف لماذا تأخَّر أبو ضياء! قال لي: سوف يكون هنا الساعة السادسة.

ردَّ عليه ناجي:

- إن شاء الله خير. ماذا يعمل أبو ضياء؟ هل تعرفه جيدًا؟

قال يوسف وابتسامة عريضة تعلو شفتيه:

- إنه يعمل نجارًا!

استغرب ناجي لما سمعه وكرَّر ما قال يوسف:

- يعمل نجارًا! وتعرف أين يسكن؟

- طبعا أعرف! يسكن قريبًا منك.

تفاجأ ناجي وعرف أن يوسف يعني جارهم النجار:

- عرفت كل شيء الان، لكنه لا يقال له أبو ضياء.

- هذا اسمه الحركي وأنت تعرف أن هناك قضايا أمنية والحذر واجب.

ارتعد قلب ناجي خوفًا، شعر أنه في ورطة كبيرة، تفصد جبينه عرقًا لكنه حاول أن يخفي انطباعه هذا والتقط مسبحة كانت في يد محدِّثه وأخذ يداعب حباتها بأطراف أنامله.

كان ناجي يخشى أن يكون التنظيم مخترقًا من قبل الأمن، خاصة أنه كان قد سمع عن أساليب المخابرات الإيرانية الذكية والملتوية لملاحقة المشبوهين والنشطاء السياسين. كانت كلمات الشيوعي القديم الذي كان يبيع الكتب في شارع نادري

ترن في أذنه: أقبية مظلمة وأساليب شيطانية لملاحقة المشبوهين وتعذيبهم نفسيًّا وجسديًّا! لا شك أن الشيوعي لم يكن مصابًا بفوبيا السياسة! أوقف تيار تفكيره عندما شعر أن يوسف انتبه لسكوته، فقال:

- نعم يوسف! كيف حالك؟

- الحمد لله، أنت ما أخبارك؟ الوالد والوالدة بخير إن شاء لله.

أراد أن يقصَّ على صديقه قصة الرجل الذي رآه قرب النهر الذي حدّثه بالفارسية إلا أن صوت الجرس دوَّى في البيت فخرج على إثره يوسف مسرعًا وبقي ناجي جالسًا في الغرفة، سمع وقع أقدام يوسف وهو يسير ليفتح الباب، تسربت إلى أنفه روائح لأطعمة مختلفة لم يستطع تمييزها لكنه شعر بالجوع وأخذت أمعائه تتحرك، ابتسم وقال يخاطب نفسه: « الناس صائمون وأنا الذي أجوع» شرب نصف قدح من الماء وبقي في انتظار مضيفه الذي لم تمضِ ثوان حتى سمع صوته في ساحة البيت وهو يرحِّب بأحدهم وبعد هنيهة دخل النجار وتبعه يوسف، ابتسم النجار ابتسامة عريضة لرؤية ناجي ثم صافحه بحرارة. بدا النجار أنيقًا ببدلته الزرقاء المكوية بعناية وذقنه المحلوق حديثًا ونظارته بإطارها الجميل، جلس على يمين ناجي وربَّت على كتفه مرحِّبًا به ثم أخذ يسأله عن والده وعائلته.

انتهت مجاملات قدوم النجار وخيّم صمت على المكان ثم قال يوسف موجهًا كلامه للنجار: نؤجل حديثنا لبعد الإفطار؛ لأنه اقترب موعده.

قال النجار: لا، خير البرعاجله. نبدأ الآن وإذا لم ننتهِ من عملنا نؤجِّل ذلك إلى ما بعد الإفطار.

ردَّ عليه يوسف:

- تفضل أرجوك.

اعتدل النجار في جلسته وتنحنح عدة مرات ثم رحَّب بناجي مرة أخرى وقال:

- يوسف حدِّثني عنك وعن اهتمامك بقضية الأهواز وقال: إنك أهل للثقة وأنا أيضًا أعرفك وأعرف ذويك وعشيرتك منذ زمن طويل، وأعتقد أنك شاب مناضل تريد العمل لمصحلة شعبك وقضيته العادلة. نحن نشكر اهتمامك بقضيتك كما نشكر ثقتك فينا ورغبتك للانضام إلينا وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أصالتك ونقاء معدنك. ليس هناك حاجة لكي أشرح لك عن تاريخ الأحواز وأنت قرأت عنه الكثير وتعرف كل شيء! أنشأنا هذا التنظيم لتحريرالأهواز والتنظيم تمَّ تأسيسه قبل سنوات على يد مجموعة من إخوانك المناضلين.

كان ناجي يستمع بدقة وبين الحين والآخر يردِّد كلمة نعم بينما استمرَّ النجار في حديثه:

- نحن نعمل في تنظيم سري وفي العمل السري الحفاظ على الأسرار أهم من العمل نفسه لأنه يضمن سلامة التنظيم وأعضائه قبل كل شيء! فأنت يا ناجي لا تعرفني ولا أعرفك و لا تربطنا علاقة تنظيمية خارج دائرة نضالنا ونرجو منك ألَّا تتحدث عن موضوع انتمائك إلينا مع أي أحد حتى أمك وأبيك.

هزَّ ناجي رأسه تأييدًا لما سمع وتمتم:

- أكيد هذا.

- أنا لا أستطيع أن أشرح لك تفاصيل عن تركيبة التنظيم وعدد أعضائه، ستعرف كل شيء مع مرور الوقت.التنظيم فيه

عدة لجان ونحن نراك مناسبًا للعمل في اللجنة الثقافية للتنظيم لكن قبل أن تبدأ عملك بصورة رسمية يجب عليك العمل بشكل تجريبي تحت إشراف أحد الأعضاء، خلال هذه الفترة التجريبية التي تستمر لمدة ستة شهور أو أقل حسب تقييمنا لتقدم العضو، تكسب خلالها تجربة وخبرة للعمل في التنظيم وهذا يؤهلك لكي تكون عضوًا رسميًا في التنظيم. سوف تستلم كراسات و كتب عن اهداف التنظيم و ايضا سوف يزودک الشخص المسؤول عنک بمعلومات عن طبيعة عمل التنظيم.

- وماذا سوف أعمل؟

- سوف يكون عملك بسيطًا وخطيرًا في نفس الوقت، العمل في اللجنة الثقافية يشمل جمع الأخبار وتدوينها وإرسالها إلى الأمين العام وكتابة تقاريرأسبوعية وشهرية حول ما يجري على الساحة وتوزيع المنشورات على الإخوة الموزعين ومواجهة الدعاية الإعلامية للعدو بالإضافة إلى المطالعة العامة للجرائد المحلية والإيرانية عامة وكتابة تقاريرعمّا يرد فيها من أخبار مهمة وأعتقد أنك تعرف ما هو المهم من وجهة نظرنا.

شعر ناجي برغبة عارمة للعمل بدافع من حبه للعمل الثقافي وداهمته رغبة لمعرفة المزيد عن عمل التنظيم ودائرة و حجم عمله فقال:

- في أي المناطق سوف أعمل؟ في مدينة الأهواز أم خارجها؟

ابتسم النجار لسؤال ناجي و ردَّ عليه باقتضاب:

- سوف تعرف كل شيء في أوانه يا أخي ناجي! لا تستعجل.

واستمرَّ النجار في حديثه وكان ناجي يصغي إليه باهتمام بالغ:

- طبعًا يا أخي ناجي، كجزء من عملنا عليك أن تشارك في بعض الدورات التدريبية لاستخدام السلاح وهذا ضروري لكل الأعضاء لتطوير قدراتهم القتالية، لكن قل لي: هل ذهبت للعسكرية؟

ردَّ ناجي بشيء من الفخر والاعتزاز:

- نعم أنهيتها.

- جيد! إذن تعرف بعض الأشياء عن استخدام البندقية العادية على الأقل.

هزَّ ناجي رأسه تأييدًا دون أن يتكلَّم.

- بعد أن توافق على الانضمام يزوِّدك يوسف بكراس التنظيم لكي تقرأه وتوقِّع عليه وتلتزم بما ورد به من شروط. كما أن القسم الأمني سوف يزودك بكتيب للمعلومات لكي تعرف كيف تتصرف - لا سمح الله- إذا حدث لك أي مكروه.

كان النجار يتحدَّث حين طلب منه يوسف الإذن بالخروج فهزَّ رأسه موافقًا واعتدل في جلسته؛ ليكون أمام ناجي تمامًا، بينما عاد يوسف بعد هنيهة يحمل مائدة وأقراص خبز وبمساعدة ناجي بسط المائدة على السجادة ووزَّع أقراص الخبز عليها ثم ذهب وعاد بأطباق من الأرز بالزعفران و أحضر الحساء والمرق والخضروات والدجاج.. امتلأت الغرفة بروائح أنواع الطعام، تحلّب ريق ناجي وشعر بجوع شديد! عندها تذكَّر أنه منذ وجبة الصباح لم يتناول شيئًا. كان النجار ما يزال يتكلَّم ويشرح لناجي أهمية عمل التنظيم ومخططات الحكومة لكنه

اضطر لإيقاف حديثه حين سمع صوت الأذان وهو يملأ داخل البيت وخارجه ويعلن للصائمين نهاية يوم آخر من الصيام.

استمر الحديث بعد تناول الفطور وأدلى ناجي بوجهة نظره حول ما سمع و كان كل ما يقلقه أن يكون التنظيم مخترقًا وأراد أن يعبر عمَّا يدور في خلده من خوف فقال موجِّهًا كلامه للنجار الذي كان يشرب الشاي:

- ما الإجراءات الأمنية التي تقومون بها من أجل الحفاظ على سلامة التنظيم؟

تفرس النجار وجه ناجي للحظة ثم عدل نظارته على عينيه وقال:

- هناك بعض الإجراءات التي يجب على الإخوة اتباعها وسوف نعطيك كرَّاسًا يساعدك على فهم هذه الإجراءات، كما ان يوسف معك في العمل وتستطيع أن تسأله عن أي شيء دون أن يثير ذلك أي شبهة! وشيء آخر يا ناجي أريد قوله وهو: إننا، أنا وأنت في كوت عبدالله لا زلنا مجرد جيران ويجب ألَّا يعرف أحد أن هناك علاقة تنظيمية بيني وبينك ويشمل ذلك الأهل أيضًا.

قال ناجي بسرعة:

- نعم! أكيد.

انتهت الجلسة قبل منتصف الليل بنصف ساعة و ودّع ناجي يوسف والنجار وخرج لا يلوي على شيء. سار بخطوات وئيدة في شارع من شوارع جلستان الفسيحة، كان صوت الأدعية الرمضانية يأتي من مكبِّرات الصوت من جميع الأطراف، انخفضت درجة الحرارة وهبَّت ريح لطّفت الجو و

صار الجو منعشًا على إثر هبوبها. فكّر ناجي فيما سمع في تلك الجلسة عن التنظيم؛ لازال غير مطمئن لفكرة الانضمام إلى التنظيم ولازال غير مقتنع بها. مرَّ بمسجد صغير وصدفة لمح جماعة من الباسيج يتحدَّثون في الداخل ويحملون بنادق وأجهزة لاسلكية "قواتهم منتشرة في كل مكان وكيف يمكن لتنظيم أن يستمر والعملاء موجودون في كل مكان والمساجد هي أوكارهم الرئيسة بعدما كانت في زمن الشاه الملاهي والمراقص الليلية؟! سبحان الذي يغيِّر ولا يتغيَّر!"

راودته أفكار شتى وراح يسترجع ذكرياته عمّا سمع عن كيفية اختراق التنظيمات السرية! كان يخاف أن يكون التنظيم مخترقًا وبانضمامه إليه يكون أدخل نفسه في ورطة كبيرة!

بقي هذا الموضوع يشغل باله حتى وصل إلى بيته في كوت عبدالله فوجد الحي يغطُّ في سبات عميق والسكون والسكوت يخيمان عليه ولا يسمع فيه صوتا إلا صوت مُكبِّر للصوت كان ينبعث من أحد المساجد ويضفي على الأجواء طابعًا رمضانيًا. دخل إلى غرفته وجلس على حافة فراشه الذي كانت تبسطه أمه في كل ليلة قبل عودته. داهمته أفكار شتى، كان يعرف أن ما يفعله التنظيم هو عين الصواب لكنه كان غير مطمئن إلى الأصول التي يعمل وفقها التنظيم! "ماذا سيحل بأمي وأبي وأخواتي؟ من سيهتم بهم إذا اعتقلت أو دخلت السجن؟ الانضمام إلى التنظيم يعني كل هذه المخاطر! لكن.. إذا لم أفعل ذلك فسوف أُلَعَن وسوف يَلْعَنني ابني والأجيال القادمة كما ألعن أنا الآن أبي وجدي لأنهم لم يفعلوا شيئًا لتحرير أرضهم!".

الفصل الثاني عشر

أخذ الظلام يخيّم على المكان ورويدًا رويدًا أخذت تبدو أشجار الشوك والاكالبتوس المنتشرة في جميع أنحائه كأنها أشباح مخيفة بأحجام مختلفة. كان ثلاثة رجال مستلقين على بطونهم وسط مجموعة كثيفة من الأشجار الصغيرة يراقبون المعسكر القريب منهم بحذر وهدوء دون أن يصدروا أي صوت، فإذا تحدثوا فعلوا ذلك همسًا أو بالإشارة. كان العمل لا يخلو من لذة المغامرة، كانوا يراقبون المكان بخوف وقلق في انتظار فرصة للانقضاض على جدراية كانت تحمل شعارات عن ولاية الفقيه وصورة زعيم الثورة الإسلامية و كانوا يريدون شطبها وكتابة شعارات عن التحرير والحرية عليها. كان المكان ليس ببعيد عن معسكر للحرس الثوري الإيراني وكانت الجدراية تقع على حافة الطريق تستقبل القادمين إلى مدينة الأهواز من مدن عبدان والفلاحية. قبل ليلة فقط، اتفقوا على كل شيء وأطلعهم ناجي على تفاصيل الخطة.

كانت الخطة واضحة وكرر قائد التنظيم التعليمات عدة مرات وأمر ناجي أن يرأس المجموعة، توجَّه الفريق المُؤلَّف من ثلاثة أشخاص إلى المكان قبيل غروب الشمس بلحظات، ثم أخذوا يراقبون المكان ومعسكر الحرس الثوري القريب منه وبقوا صامتين في أماكنهم لا يبدون أي حراك وينتظرون حتى يخيِّم الظلام بالكامل وبعدها ينفِّذون ما كلفوا به.

خيّم ظلام دامس على المكان وبات من المستحيل رؤيتهم إذا ما أرادوا تنفيذ عمليتهم، وقف ناجي أمام أفراده، أحدهم يدعى غانمٌ وهو شاب لم يتجاوز العشرين ومتحمِّس للعمل

الثوري والآخر وليد يملك خطًا جميلًا لذلك كلف بهذه المهمة. وقف ناجي أمامهما وقال بهمس:

- الآن بإمكاننا تنفيذ مهمتنا، قبل كل شيء أنت يا غانم تصبغ الجدراية بسرعة. يجب أن تنتهي من عملك في أقل من عشر دقائق، خلال تنفيذ هذا العمل يجب أن تكون حذرًا وتنتبه للإشارات أو الأصوات التي نرسلها لك أنا و وليد في حال رأينا شيئًا مريبًا أو سيارة قادمة في الطريق أو في حال أنت أدركت أي شيء مريب، فى مثل تلك الحالة عليك أن تختفي في أشجار الشوك القريبة من اللافتة.

هزَّ غانم رأسه مؤيدًا واستمر ناجي قائلًا:

- أنت يا وليد حين ينتهي غانم من مهمة صبغ اللافتة تذهب وتكتب عليها "نعم للحرية نعم لتحرير الأهواز" هذا كل ما علينا فعله.

ردَّ عليه غانم بصوت مرتجف:

- ولكن المعسكر قريب منا ومن الممكن أن يرانا الحرَّاس.

حاول ناجي أن يخفي قلقه البادي على ملامحه ويتكلم بثقة نفس مصطنعة:

- ننتظر حتى يخيِّم الظلام على المكان بصورة كاملة عندها تنقطع حركة السيارات. كما أن إخوانكم في التنظيم راقبوا المكان وقاموا بجولة استطلاعية وزودوني بمعلومات تفيد أن حراس المعسكر لا يمكنهم رؤيتنا إذا ما خيَّم الظلام على المكان بالكامل والآن نختبئ وننتظر حتى تحين ساعة العمل.

شعر ناجي أن صوته كان يرتجف خلال حديثه، كان ظلام دامس يخيِّم على المكان الذي لا يعكِّر سكونه إلا نباح كلاب يأتي من مكان بعيد بين الفينة والأخرى أو صوت محرك سيارة قادمة أو ذاهبة إلى المعسكر. هب نسيم بارد ذكّر ناجي بأيام نسائم الخريف حين كان يصعد إلى سطح البيت لينام هناك. أحس بشيء من الندم يوخزه ويؤلمه على تقبُّل المهمة، هذا الإحساس كان يباغته بين الحين والآخر. أغمض عينه وشاح ببصره عن نقاط الضوء البعيدة الموجودة في بوابة المعسكر «كيف نستطيع أن نمنع أنفسنا من التفكير في الأشياء السلبية؟ كلما أردت أن أعمل من أجل غاية سامية يتربص بي شبح الفشل وعواقب الفشل، إن هذا هو ما يمنع أمة وشعبًا مثلنا من النهوض! نعم إنه هذا الإحساس اللئيم السيئ والقذر الذي اسمه التشاؤم» أراد أن يصرخ بصوت عالٍ لكنه انتبه لنفسه واستطاع أن يمسك الصرخة قبل أن تدوِّي في المكان، نظر إلى من معه وكان غانم ممسكًا بعود خشب يضرب به الأرض وعيونه ترقب المعسكر وكأنه كان يخوض لعبة للكر والفر. فكّر في مصير هذين الشابين اللذين كانا معه. إذا ما عرفت المخابرات بالتنظيم من الذي يحميانهما؟ وكيف يصمدان أمام المحقق والتعذيب والإغراءات؟ كيف؟ شعر أنه لأول مرة يراهما! داهمه خوف شديد على مصير وليد وغانم، ارتجف قلبه من الخوف، كوّر قبضته وضرب بها الأرض، ضربته لفتت انتباه غانم الذي كان يرقد على بطنه ملاصقًا به لكنه لم يقل شيئًا حين رأى ناجي واجمًا ينظر إلى البعيد في اتجاه المعسكر.

نظر ناجي إلى ساعته وكانت تشير إلى منتصف الليل فعرف أن ساعة العمل قد حانت، نهض من مكانه وطلب من صديقيه أن يرافقاه بحذر وحيطة دون أن يصدرا أي صوت، اقتربا من اللافتة العريضة التي كانت تبدو في الظلام كشبح

كبير. راقب ناجي المعسكر قبل بدء العمل لمدة نصف ساعة وأيقن أن الحركة انقطعت من وإلى داخل المعسكر.

وقبل أن يصلا إلى اللافتة بأمتار قال ناجي:

- جاهزون.

فجاءه الرد بسرعة:

- نعم.

باشر غانم فى عمله وأخذ يصبغ اللافتة الكبيرة بينما ناجي ووليد يرقبان المكان من الجهتين. من جهة المعسكر لاح لناجي شبح إنسان كان يتحرك قرب البوابة، أراد ناجي أن يصدر أوامره بإيقاف العملية إلا أنه سرعان ما اختفى كل شيء وعادت معه الطمأنينة إلى قلب ناجي.

لم تستغرق العملية كلها سوى لحظات معدودات مرت على ناجي كسنين طويلة، نفَّذ صديقاه عملهما بسرعة وجدارة وبعد دقائق من بدء العملية كانت اللافتة تحمل شعارات الحرية، وكان ناجي وصديقاه في طريق عودتهم إلى بيوتهم.

أصيب ناجي بعد عودته من العملية بالزكام واعتراه إعياء شديد وارتفعت حرارة جسمه وبعد الحاح كثير استجاب لطلب والدته وقرر زيارة الطبيب. خرج من البيت قبل أن تميل شمس الأهواز نحو المغيب ببضع ساعات، وكان قد تبقَّى من شهر رمضان أقل من النصف وأخذ الناس في كوت عبدالله يستعدون للعيد ومراسيمه، النساء بدأن بتنظيف البيوت وغسل السجاد ومسح الزجاج وشراء الورود والأزهار الصناعية والزينة وتعليقها في داخل الغرف والرجال أخذوا يصبغون أبواب البيوت والغرف بألوان زاهية حتى تبدو جميلة تسر الناظر إذا

جاء العيد. أما الأطفال فاصطحبهم ذووهم إلى الأسواق لشراء ملابس وأحذية جديدة، والجميع أخذ يستعد ليوم عيد الفطر السعيد ولإحيائه بأفضل صورة.

كان شارع نادري مزدحمًا بالسيارات والمارة والباعة المتجولين والجالسين على حافة الأرصفة والممرات، متجمعين كالذباب في كل ركن وزاوية وجدوها مناسبة لاقتناص الزبائن، شقَّ ناجي طريقه عبر جموعهم متجهًا نحو عيادة طبيب قديم كان أبوه وأمه يأخذانه إليه كلما أصابه توعك أو تدهورت صحته عندما كان طفلًا، دخل و وجد في العيادة بعض المرضى والذين يصطحبونهم جالسون وقد أعياهم الملل خاصة الصائمين منهم. توجه ناجي مباشرة نحو مكتب سكرتيرالطبيب الذي وضعه ملاصقًا لباب غرفة الطبيب للإشراف عن كثب على الذين يدخلون ويخرجون. كانت فتاة تجلس وراء المكتب وتقرأ في مجلة شؤون العائلة، كلمات فارسية على غلاف المجلة لفتت انتباه ناجى منذ ان توجه ناحية المكتب. ألقى ناجي التحية على الفتاة، فردت تحيته واستلمت كراسة الضمان الاجتماعي الذي يقدِّمها المرضى عند مراجعتهم للطبيب كدليل على تمتعهم بحق الاستفادة من الضمان الطبي، ثم سجلت اسمه في دفتر كبير وقالت له: يحين دورك بعد ساعة ونصف.

شكرها ناجي وتراجع إلى الخلف دون أن يكترث بمن حوله، جلس على كرسي وحاول ألا يصدر الكرسي صوتًا عندما كان يجلس عليه حين يكون معرضًا لخطر الانزلاق على أرضية العيادة الملساء التي كانت تصدر بريقًا وهَّاجًا نتيجة لانعكاس أضواء مصابيح العيادة.

جلس ناجي وكان ينظر إلى أرضية العيادة، تناهت إلى سمعه أصوات شتى؛ ثرثرة متصلة لأصوات نسائية، كلمات احتجاج مصحوبة بسعال لكهل مبحوح الصوت وحديث لرجل

وامرأة لم يُفهَم منه شيء لأنه كان باللهجة اللرية، داهمه فضول لمشاهدة الجالسين في العيادة، استجاب لفضوله وأخذ يرفع بصره رويدًا رويدًا ليلقي نظرة على المتواجدين في المكان.

بدا من ناحية اليسار قرب باب الدخول، رفع عينيه بهدوء فوجد الجالس كهلًا يمسك بيده عصا يتوكأ عليها وإلى جانبه شاب شاحب اللون ويداه الخشنتان كانتا تمسكان مسبحة بحبات فاقعة اللون فعرف أنهما من القادمين من القرى المجاورة لمدينة الأهواز.

ثم تحوَّل إلى الشخص الذي كان يجلس إلى جانب الشاب وقبل أن يتفرس ملامحه لفتت انتباهه قهقة نسائية مكتومة، وحين بحث عن مصدرها وجد فتاة تجلس أمامه مباشرة وإلى جانبها امرأة أخرى. رفع رأسه بهدوء وحاول أن تبدو حركته عفوية حتى لا تلفت انتباه أحد. نظر إلى الأمام حين رفع رأسه تمامًا وقعت عيناه في عيني فتاة حسناء، خفق قلبه خفقة سريعة واشتدت وتيرتها. شعر أن حرارة وجهه ارتفعت وأن وجهه احمرَّ، داهمه إحساس بالخجل والارتباك وأسرع وغضَّ بصره إلى الأسفل وتظاهر بأنه ينظر إلى أرضية العيادة لكن عينا الفتاة كانتا كأنهما سهم و وقع في قلبه. شعر أنه يحب أن ينظرإلى تلك العينين ويطيل النظر إليهما، داهمه إحساس غريب، شعر أنه وجد شيئًا ما في تلك العيون كان يبحث عنه طوال عمره، ارتجف من شدة تلك القشعريرة التي سرت في كل جسده، أخرج منديلًا من جيب بنطاله وتظاهر بأنه أصابته نوبة سعال. بقي مطرقًا رأسة ينظر إلى أرضية العيادة لكن فكره كان مرتكزًا على شيء واحد وهو الفتاة التي تجلس أمامه، استغرب من الحالة النفسية الخاصة التي ألمَّت به والتى أوقدت في داخله حب الاستطلاع، قرر أن يرفع رأسه مرة أخرى و لكن دون أن ينتبه له أحد، خاصة الفتاة ومرافقتها، وينظر إلى الحسناء مرة أخرى،

شعر كأنه كان يبحث عن شيء ربما يعثر عليه في عيون تلك الفتاة.

وضع المنديل على أنفه ورفع رأسه إلى الأعلى فوجد الفتاة تتحدث بهمس للمرأة التي تجلس بجانبها، أزاح المنديل من فمه ونظر في وجه الفتاة مباشرة وحين سدد بصره إلى عينيها شعر كأن صعقة كهربائية أصابته وأخذ كل جسمه يرتعش لوقعها و قوتها، بقي فاغرالفاه لهنيهة ثم أطرق مرة أخرى، شعر بدوار في رأسه، أصغى لدقات قلبه التي تسارعت، وازدادت قوتها حتى تخيّل له أن الجالسين فى العيادة سوف يسمعونها.

كانت السكرتيرة منهمكة بقراءة مجلتها النسائية وبين الحين والآخر تقرأ اسمًا بصوت عال فينهض أحد المرضى بسرعة ويدخل غرفة الطبيب ليخرج منها بعد لحظات وهو يحمل وريقة تحمل فى طياتها شفاءه من دائه المضني.

صاحت السكرتيرة:

- بيت صياح؟

نهضت امرأة من إحدى زوايا العيادة ودخلت يصحبها زوجها مثل الظل وبعد لحظات خرجا وبيد الرجل وصفة الدواء.

اعترت ناجي نوبة من القلق وعدم الاستقرار، تمنى لو تسمح له السكرتيرة أن يدخل ويحدث الطبيب لا عن مرضه وإنما عما أصابه في العيادة، بقي واجمًا ومطرقًا إلى الأسفل، كان ينظر إلى ما بين قدميه وفي داخله ثورة عارمة، أحب لو يرفع رأسه ويطيل النظر حتى تمتلئ عيناه من الفتاة لكنه كان يعرف أن ذلك مستحيل وأنه لا يستطيع أن ينظر إليها اكثر من

لحظة واحدة. حاول أن ينسى ما حدث ويشغل فكره بمواضيع مجلة فارسية كانت على طاولة العيادة، تذكَّر أنه منذ زمن طويل لم يقرأ أي شيء بالفارسية، حاول أن يتذكر متى كانت آخر مرة قرأ فيها كتابًا فارسيًا لكنه أخفق وكان يعرف فقط أنه مَقَتَ هذه اللغة لا لشيء إلا لأنها فُرضت عليه وعلى العرب جميعًا فرضًا، قلّب صفحات المجلة دون هدف ولا رغبة في المطالعة. كانت المجلة تحوي صورًا ملوَّنة كثيرة لمواضيع علمية، لفت انتباهه موضوع عن الصحون الطائرة وحاول أن يقرأ ما ورد في المقال إلا أنه لم يستطع التركيز، كان يقرأ الكلمات دون أن يفهمها. كان وجه الفتاة حاضرًا في كل صفحة من المجلة، تمنَّى ناجي لو يستطيع نسيانها أو تجاهلها، لكن كانت في داخله رغبة تلح عليه أن يرفع رأسه مرة أخرى وينظر إلى الفتاة.

قاوم رغبته هذه لكنه في النهاية استسلم أمام إلحاح نفسه ورفع رأسه بحركة حاول أن تبدو عفوية حتى لا تلفت انتباه أحد من الجالسين في العيادة أو الفتاة نفسها، لكنه حين رفع بصره بعد محاولات مضنية تفاجأ بكرسي خال أمامه، نظر إلى اليمين ثم إلى اليسار لكنه لا أثر للفتاة ولا للمرأة التي ترافقها، استغرب من الأمر وبقي حائرًا يفكّر وينظر الى زوايا العيادة«كيف ومتى غادرت مكانها دون أن أعلم؟! ربما كل ما حدث كان مجرد وهم وخيال، يقولون: إن الحمَّى لها أعراض كهذه لكن ليس عندما يكون الإنسان مستيقظًا يتعرض لمثل هذه الأوهام، وذلك يصدق فقط على الأحلام والأوهام التي يراها الإنسان في النوم لكن.. أين اختفت الفتاة دون أن أشعر بها؟!» أراد أن يسأل سكرتيرة الطبيب لكنه تراجع؛ خوفًا من أن يبدو الأمر مريبًا ومخجلًا في نفس الوقت، بحث في أرجاء العيادة وكانت على شكل مربعين: الأول كبير والثاني أصغر منه لكن لم يعثر على ضالته، حاول تناسي الأمر إلا أنه لم يتمكن من ذلك، نهض من مكانه وخرج من العيادة، نزل سلمها إلى الأسفل، لفح وجهه

الهواء الحار الذي كان يتدفق من الباب الخارجي للعيادة، خرج إلى الشارع الذي كان مزدحمًا بالمارة، حاول أن يبحث عن وجه الفتاة بين الوجوه الكثيرة التي كانت تزدحم في الشارع، وجوه مسرعة في جميع الاتجاهات لنساء ورجال وشيوخ وشباب، لا يمكن للمرء أن يعرف أو حتى يخمِّن اتجاه كل وجه، كان كمن ينظر إلى خلية نمل، شعر بإعياء شديد؛ نتيجة البحث في الوجوه وتفرسها، خيّم عليه حزن عميق وداخله الشك بأن ما حدث كان مجرد وهم أو شيء من هذا، ارتقى السلم المفضي إلى العيادة مرة أخرى وجلس على مكانه، لا زال كرسي الفتاة شاغرًا، لاحظ ازدياد عدد الكراسي الشاغرة التي غادرها أصحابها، خرج من غرفة الطبيب رجل وامراة وانهمكا في حديث مع السكرتيرة، كان الرجل يتحدَّث بصوت عال وبلغة فارسية بلهجة عربية، ذلك جعل ناجي يتساءل:«هل كانت البنت عربية أم أعجمية؟ كيف فاتني معرفة ذلك؟ لو أنها تكلمت من المؤكد عرفت ما إذا كانت عربية أم لا! لكن.. أين هي الآن؟. أين؟» ضحك على تساؤله في سره. أخذ المجلة التي تركها على كرسي بجواره لكن قبل أن يفتحها صاحت الفتاة:

- ناجي السرحان!

نهض من مكانه بسرعة والتقط كراسة الضمان من يد سكرتيرة الطبيب ودخل إلى الطبيب ولازال يفكر باختفاء الفتاة وما رآه في العيادة وما إذا كان حقيقة أم وهمًا.

الفصل الثالث عشر

مع أن ناجي كان يعتبر نفسه متمرِّسًا فى الحب و كانت لديه علاقات غرامية كثيرة مع فتايات ونساء من مختلف الأعمار وعُدَّ يومًا من أفضل كتّاب رسائل الغرام؛ لجمال خطه وسلاسة تعابيره و كانت له في أيام الثانوية مغامرات كثيرة مع فتيات المدارس إلا أنه حين رأى تلك الفتاة داهمه إحساس غريب لم يجربه في حياته من قبل! و منذ أن رآها لم يستطع أن يوقف تيار أفكاره و كان يسعى جاهدًا لاستعادة ما حدث حتى أنه حين أخذ الوصفة من يد الطبيب نسي أن يدفع له أجرته وتفاجأ حين نادى عليه الطبيب عندما هم بالخروج ورجع مستغربًا وأراد أن يسأل الطبيب عن سبب مناداته له، لكنه حين رأى ابتسامة على وجه الطبيب وهو يشير إلى كراسة الضمان التي نسيها، عرف ناجي ما ارتكب من خطأ وخجل من الأمر واعتذر من الطبيب مقدِّمًا له عددًا من الأوراق النقدية.

خرج من العيادة هائمًا على وجهه لا يدري أين يتوجّه؛ أيبحث عن صيدلية ليشتري الدواء أم يبحث عن الفتاة التي تركت فيه فراغًا كبيرًا وجعلته هائمًا لا يعرف الاستقرار؟ كان يبحث في اللافتات المزدحمة في شارع نادري عن لافتة صيدلية وكانت الأفكار تعصف به بلا هوادة« هذا كان مجرد وهم، ومن المؤكد أن الحمى التي اعترتني أصابتني بتوهم وإلا فأي فتاة تستطيع أن تترك هذا الأثر في نفسي؟! أنا الذي صادقت وجرَّبت فتيات كثيرات، نعم مستحيل! ما رأيته كان وهمًا! يجب عليّ أن أنسى الفتاة ولا أشغل بالي بهذا الموضوع التافه!» كان ناجي يحاول أن يعتبرالموضوع تافهًا لا قيمة له و يلقيه وراء ظهره إلا أنه في قرارة نفسه كان يعلم أنه يتوق إلى رؤية الفتاة

مرة أخرى حتى لو كان الأمر وهمًا فكان يحب أن يتوهم لكي يراها من جديد.

اختفت الشمس خلف عمارات شارع نادري المرتفعة ولم يتبق لموعد إفطار الصائمين إلا دقائق معدودات، كان صوت شجريان ينبث من المساجد القريبة، وكان صوته يضفي على الأجواء طابعًا روحانيًا و كان صوته علامة على قرب موعد الإفطار. كان ناجي يذراع الطوار مسرعًا يبحث عن صيدلية، كان أحيانًا يصطدم بالمارة المسرعين الذين كانوا في طريقهم نحو بيوتهم لتناول الإفطار، لاحت له من بعيد لافتة صيدلية بعدما خرج من شارع سوق عبد الحميد المزدحم الذي دخله دون أن يشعر.

هرع نحو الصيدلية وسلَّم وصفته لشاب كان جالسًا خلف قسم استلام الوصفات، أبلغه الشاب أن عليه أن ينتظر ربما لنصف ساعة أو أكثر لازدحام الصيدلة وكثرة الوصفات، شكره ناجي وقال له: إنه سينتظر، عندها جاء صيدلاني آخر وبيده سلال من الأدوية ليسلمها لأصحابها ونادى بصوت عال: سهى محمراوي.

التفت ناجي إلى حيث كان الصيدلاني الآخرالذي كان يتكلَّم شارحًا كيفية ومقادير الأدوية التي يجب أن يأخذها المريض، دفعه الفضول إلى رؤية الشخص الذي يريد استلام دوائه من الصيدلاني، أدار وجهه ونظر إلى الخلف، تسمّر في مكانه وبقي واجمًا لهنية، اضطربت دقات قلبه وشعر بدوار. كانت الفتاة واقفة وتستمع إلى ما يقوله الصيدلاني، كان محدِّقًا في وجه الفتاة لكن سرعان ما لفتت حركته انتباه الصيدلاني فنظر إليه شزرًا ثم سأله إذا ما كانت لديه وصفة يريد تسليمها فقال له: إنه سلَّم وصفته ولكنه يشعر بدوارفي رأسه.

اتكأ على طاولة الصيدلية وأخذ ينظر إلى الأدوية التي كان الصيدلاني يضعها في كيس بلاستيكي بعدما انتهى من شرح طريقة تناولها، رأى أيضًا كراسة الضمان إلى جانب سلة الدواء واستطاع أن يميِّز صورة الفتاة واسمها: سهى محمراوي، حي زيباشهر شارع توحيد، رقم 22. أراد أن يسجل المعلومات لكن لم يكن بحوزته أي قلم، أراد أن يطلب قلمًا من الصيدلاني في قسم استلام الوصفات إلا أنه عدل عن فكرته حين تأكَّد أن هذه المعلومات حفرت في قلبه كما حفر وجه الفتاة، فليس هناك حاجة لتسجيلها.

بعد لحظات غادرت الفتاة والمرأة التي كانت معها، تبعها ناجي بعينيه حتى اختفت خارج الصيدلية، ثم خرج من الصيدلية وأراد أن يلاحق الفتاة لكنه تذكَّر أن لديه وصفة وعليه أن ينتظرها. كرر العنوان الذى رآه فى كرَّاسة الضمان عدة مرات وتأكد أنه حفظه جيدًا وذلك جعله يطمئن من أنه ليس في وهم ولا في حلم وأنه الآن قادرعلى معرفة الفتاة وتقفِّي أثرها، وأنها لم تعد وهمًا ولا حلمًا كما كان يتصوَّر وإنما واقع حي، وخزته نوبة من تأنيب الضمير وهو يدخل إلى الصيدلية هروبًا من لهيب الهواء الحار الذي كان يعصف بلا هوادة، شعر أن تأنيب الضمير يأكله من الداخل« لكن هل يليق بي مطادرة الفتيات وأنا الذي أدّعي التضحية والنضال من أجل شعب يرزح تحت نير الاحتلال؟ هل هذا صحيح؟ أبدًا لا يحق لي أن أنظر وألاحق الفتاة بهذه الطريقة!لكن.. أنا لم أفعل شيئًا محرَّمًا حتى الآن !.. وكل ما أريده هو التعرف إلى الفتاة وربما الزواج منها» انتشله من أفكاره صوت الصيدلاني وهو يكرِّر اسمه بصوت عال، فهرع نحوه بسرعة وتطايرت أفكاره ومعها تأنيب الضمير الذي ألمَّ به.

استلم كيس الدواء من الصيدلاني وسار في شارع طالقاني، كان أذان المغرب يدوِّي في شوارع وأزقة مركز مدينة الأهوازالمزدحم بالناس والسيارات ويعلن للصائمين نهاية يوم آخر من شهر رمضان الكريم، خفت حركة المرور وازدحام الناس في الشوارع بعد انتهاء الأذان كدلالة على انهماك الصائمين في تناول الطعام. كان يسير في شارع نادري ويقفز من رصيف إلى آخر حين انتبه لنفسه وهو يكرِّر عنوان بيت الفتاة بصورة لا إرادية!«إنها لم تكن إلا كباقي البنات اللواتي أراهن كل يوم! فلماذا لا أنساها وأتجاهلها؟ هل أنا مصاب بالحب؟ هل هذا ما يقال عنه بأنه الحب من أول نظرة؟ لكن كيف يمكن للإنسان أن يحبَّ أحدًا دون أن يعرف عنه شيئًا سوى نظرة؟» كانت هذه الأسئلة تراود ناجي وهو يحاول أن يتجاهل وينسى ما رأى في العيادة والصيدلية لكن دون جدوى، شعر كأنه في دوامة! كان يحاول أن يبتعد عن الفتاة والتفكير بها لكنه يعود الى نفس المكان كلما ظن أنه ابتعد عنه، كانت الفتاة تحتل كل تفكيره! أحس أن قوة خارقة تشدُّه نحو الفتاة، قوة لا يستطيع تجاهلها، كانت سهى بعينيها العسليتين تستحوذ على خياله وصورتها لا تغادر ذهنه. نظر باحتقار إلى كيس الدواء الذي كان يحتوي على حبوب وزجاجة صغيرة.. ماذا بإمكان هذه الأدوية أن تفعل؟ هل يمكنها أن تجلعني أنسى سهى وما علق بذاكرتي من خيال وأوهام؟ كان يحدِّث نفسه ولم ينتبه إلى عربة جمع القمامة واصطدم بها بقوة، نهره الرجل الذي كان يدفعها وقال له: ألا ترى عربة بهذا الحجم؟ ما الذي أصابك؟ شعر بالخجل لما قاله رجل العربة لكنه تماسك ولم يقل شيئًا، أراد أن يلقي بالدواء في عربة جمع القمامة إلا أنه امتنع حين داهم خياله صورة الفتاة وهي تقول له: لا يا ناجي، أنت مريض وتحتاج للدواء.

عاد إلى البيت بعد الإفطار ووجد الجميع قد انتهى من فطوره والمائدة تم تجميعها وأمه وأبوه وأخواته متحلِّقون حول أدوات الشاي الذي كانت رائحته الممتزجة بعبق حبات الهيل تملأ الجو، ما إن دخل ناجي حتى جلبت أمه صينية كبيرة وفيها عشاؤه فوضعت الصينية أمامه ثم سألته:

- ألست أفضل حالًا؟

ابتسم ناجي وأراد أن يقول لها: ذهبت سالمًا ورجعت مريضًا ثم يقص عليها قصة الفتاة إلا أنه تراجع عن نيته فقال:

- لم أتناول الدواء بعد.

- وماذا أعطاك الطبيب؟

- حبوبًا وعدة حقن آمبي سيلين.

هزت رأسها تأييدًا ثم قالت:

- جيد! الآمبي سيلين شيء جيد، يشفي بسرعة إن شاء الله.

ثم أخذت أم ناجي عباءتها التي كان مكومة قربها وقالت: أنا ذاهبة لمجلس القراية والعزاء الذي أقيم بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام.

التهم ناجي طعامه بسرعة وعاد إلى غرفته، جلس وأخذ كتابًا وحاول أن ينسى ما ألم به في عيادة الطبيب ويطرد من رأسه ما حدث له في ذلك اليوم إلا أنه كلما همَّ بفتح الكتاب كان كأنه يرأى وجه الفتاة حاضرًا فيه وينظر إليه نظرة ساهمة ليس فيها أي معنى، أغلق الكتاب ورماه على طاولة غرفته الصغيرة وجلس إلى جانب الراديو وأخذ يعبث به، محطة للأخبار ثم

أخرى كان فيها ابتهالات رمضانية والثالثة موسيقى جميلة توقَّف ليستمع إليها: "شفته وبالعجل حبيته والله" دوَّى صوت المطربة العراقية في أرجاء الغرفة، أخذ ناجي يضرب على حافة الطاولة بأطراف أنامله تناغمًا مع موسيقى الأغنية «نعم هو ما حدث بالفعل، الذي حدث لي اليوم هو الحب بعينه!» بقى سارح الخيال وشارد الذهن يقلِّب المحطات الواحدة تلو الأخرى وصورة الفتاة عالقة في خياله، واستعاد خياله ما حدث له في العيادة والصيدلية مئات المرات، وفي كل مرة تكون النتيجة مختلفة، فمرة يتخيَّل أنه تحدَّث مع فتاة ووجَّهت له لطمة في وجهه، وأخرى يتخيلها وهي جالسة أمامه في مقهى على مقربة من نهر كارون و.. وظل سارحًا بخياله، كان يحاول أن ينام إلا أن النوم لم يأتِ إلى عينيه، وظلَّ ساهرًا في فراشه حتى حان موعد السحور فسمع أصواتًا في البيت، كانت أمه وأخواته يقمن بإعداد الطعام للسحور، أراد أن يخرج من فراشه لكي يتناول الطعام معهن لا رغبة في الطعام وإنما للهروب من الأفكار التي تفتك به إلا أنه عدل عن رغبته بعدما تذكَّر أن عليه أن يستيقظ مبكرًا للذهاب إلى العمل غدًا.

حاول أن ينام إلا أنه لم يستطع فبقي مستيقظًا حتى دوَّى أذان الفجر في أرجاء الحي فأدرك أنه لم يعد لديه متسع من الوقت لينام وأنه ليس قادرًا على الذهاب إلى العمل فى ذلك اليوم ومن الأفضل أن يتصل بالشركة ويمدد إجازته المرضية لفترة أطول، فكرة الإجازة ذكَّرته بفكرة لم تخطر على باله. نظر إلى خيوط الفجر التي أخذت تتسلل عبر نافذة غرفته، أسند رأسه إلى المخدة وكأن شيئًا من الاطمئنان وجد طريقه إلى قلبه بعد أن خطرت بباله تلك الفكرة التي قرَّر تنفيذها في الصباح.

طرق الباب ثلاث طرقات وتراجع وبقي ينتظر حتى جاءه صوت أنثوي من خلف الباب فقال:

- رسول موجود؟

- نعم، لحظة.

سمع وقع خطوات وهي تبتعد، لبث في مكانه دقائق ثم سمع بعد ذلك وقع أقدام مرة أخرى وسرعان ما فتح الباب وخرج له رسول وفي عينيه أثر من النوم الصباحي، تبادلا التحية بحرارة ثم طلب رسول من صديقه أن يدخل لكن ناجي رفض قائلًا:

- لا شكرًا! لكن جئت في طلب دراجتك فإنني أحتاجها للقيام ببعض الأعمال.

هزَّ رسول رأسه وقال: أكيد! ثم غاب وبعد لحظات عاد ممسكًا بالدراجة النارية وسلمها لصديقه.

كانت الشمس تتوسط السماء، وكانت ظلال المباني وأشجار الاكاليبتوس قد انحسر إلى أقصى حد حتى أنه لم يكن ممكنًا للمارة الاحتماء به هربًا من أشعة الشمس، كان الناس يمرون مسرعين يجتازون الممرات والشوراع لإنجازأعمالهم أو العودة إلى بيوتهم. كان ناجي يسير بدراجته النارية بهدوء تام، وبين الحين والآخر يلقي نظرة على لافتات الشوارع لكنه لم يستطع أن يجد شارع توحيد، توقَّف عند أحد المحلات ودخل ينشد شيئًا ليروي غليله أولًا ومن ثم ليتزود بمعلومات قد تفيده بالعثور على العنوان الذي حفظه حين وقع نظره على كراسة الضمان في الصيدلية.

وجد صاحب المحل شابًا أنيقًا جالسًا خلف طاولة عريضة يتوسطها ميزان كبير وإلى جانبيه صُفَّت بضائع مختلفة، طلب ناجي علبة ماء معدني وأخذ يشرب وعيناه تراقبان دراجته التي أوقفها قرب المحل، وحين ارتوى عطشه سأل صاحب المحل

عن شارع توحيد فقال له مستعينًا بالإشارة: تذهب مباشرة حتى تصل الشارع الرئيسي ثم تنعطف إلى اليمين وتسير مسافة قصيرة تجتاز خلالها ثلاثة شوارع والشارع الرابع يكون شارع توحيد. شكر صاحب المحل ودفع له ثمن قارورة الماء ثم غادر المحل.

امتطى دراجته وأراد أن يشغلها إلا أن يدًا ربَّتت على كتفه من الخلف، التفت إلى الوراء فرأى صديقه جاسم شنان الذي كان معه في العسكرية.

تبادلا التحية وتعانقا بحرارة ورحَّب به جاسم ترحيبًا كبيرًا، وبعد السؤال عن الحال والعمل سأله عن سبب وجوده في حي زيبا شهر، تلعثم وبقى واجمًا للحظة ثم ردَّ على صديقه بسرعة:

- يعني قليل من العمل دفعني إلى هنا!

ربَّت جاسم مرة أخرى على كتف صديقه وقال:

- هلم إلى بيتنا، تفضَّل.

رفض ناجي في البداية إلا أنه فكَّر أن صديقه من الممكن أن يرشده إلى العنوان الذي جاء يبحث عنه أو حتى ربما يزوِّده ببعض المعلومات عن البنت وأسرتها ويسهل عليه مهمته.

ردَّ باقتضاب وبشيء من الخجل:

- والله مشتاق لرؤيتك كثيرًا، منذ أن تخرجنا من العسكرية لم تأتِ لزيارتي إلا مرة واحدة.

- ها أنا زرتك مرة واحدة، ولكن أنت لم تزرني حتى نصف مرة.

قهقه جاسم بصوت عالٍ، وحين ردَّ عليه ناجي قائلا:

- أرجو أن تعتبر هذه الزيارة نصف زيارة.

ضحك الاثنان معًا وراحا يسيران ببطء وهما يتجاذبان أطراف الحديث عن الخدمة العسكرية في كردستان وما احتوت من ذكريات حلوة ومرة حتى وصلا إلى بيت جاسم شنان الذي كان يقع في نفس الاتجاه الذي أشار إليه صاحب المحل.

دخل جاسم أولًا وعاد بعد لحظات وطلب من ناجي الدخول.

جلس الصديقان في غرفة صغيرة ولم تمضِ هنيهة حتى سأل جاسم ضيفه:

- صائم؟

- لا للأسف.

ضحك الاثنان معًا ثم قال ناجي:

- أرجوك!لا أريد شيئًا.

ردَّ عليه جاسم ضاحكًا:

- أنا أيضًا لست صائمًا، لنرى ماذا تبقى عندهم؟

خرج من الغرفة وعاد بعد لحظات بالشاي والماء المثلج وسلة من الفواكه .

شرب ناجي الماء المثلَّج واستلقى على مخدة التى وضعها صديقه إلى جانبه وبقي يتحيَّن الفرصة لكي يسأل عن العنوان و صاحبته.

كان جاسم شنان صديق ناجى الحميم في أيام الخدمة العسكرية وكانت تربطه به علاقة صداقة قوية وكان الاثنان لا يفترقان أيام الخدمة العسكرية لذلك منذ أن دخلا الغرفة وهما لا يكفَّان عن الحديث حول الماضى وذكرياتهما في أيام العسكرية وحين صمت جاسم للحظة وكأنه يأسف ويتذكر بحسرة تلك الأيام، عض ناجي شفته السفلى وبلهجة حاول ألا تكون لها أي معنى. سأل:

- أقول جاسم، منذ متى وأنتم تسكنون هذا الحي؟

ضحك جاسم من سؤال صديقه وقال:

- منذ تأسيسه!

- كيف يعني؟

- منذ أن تمَّ بناء أول بيت هنا جدي وأبي كانا هنا، وجدي - الله يرحمه- كان يشرف على بيع وتوزيع الأراضي.

- هكذا! يعني منذ قديم الزمان.

- منذ أيام الشاه.

شعر ناجي بارتياح لما قاله صديقه وأيقن أنه من المؤكَّد يعرف الفتاة أو على الأقل يعرف أهلها، ابتسم بمكر وقال:

- وهل تعرف كل الذين يسكنون الحي؟

ضحك جاسم من سؤال صديقه مرة أخرى ثم ناوله نصف برتقالة بعدما أزال عنها القشور ثم قال:

- طبعًا لا، لكن أبي كان يعرف معظم الذين كانوا يسكنون هنا، لكن بعد الحرب جاء مهجرو الحرب ومن ثم جاءت

موجات من اللر والبختياريين وهكذا اختلط الحابل بالنابل وضاع الأمرعن أبي حتى أنه اليوم لا يعرف من هم جيراننا.

رفع ناجي حاجبه الأيسرثم قال:

- أنا لم أقل والدك بل سألتك أنت، هل تعرف معظم ساكني الحي؟

هز جاسم رأسه وابتسم ثم قال:

- أوضح. ما الأمر؟ وما الحكاية؟ شيطان!

ضحك ناجي وقصَّ على صديقه ما حدث له قبل يوم في عيادة الطبيب وأوضح له كل شيء، وحين انتهى بقي صامتًا في انتظار ردة فعل صديقه:

- والله يا ناجي لا أعرف هؤلاء جيدًا، فقط أعرف أن والد البنت يعمل في شركة النفط.

هزَّ ناجي رأسه تأييدًا ثم قال:

- أنا أريد معرفة كل التفاصيل عن هذه البنت، وليتني أستطيع إيجاد طريقة للتحدُّث معها مباشرة.

- هذا سهل جدًّا.

قال جاسم ذلك، ثم نهض من مكانه وخرج وبعد لحظات عاد وبيده كتاب ضخم وضعه أمامه ثم قال:

- هذا يعطيك رقم تليفون بيتهم، اتصل بها وتحدَّث معها.

كاد ناجي يطير من الفرح حين عرف أن بإمكانه التحدُّث إلى الفتاة التي سلبت فؤاده وجعلته يتسكع في الشوارع والطرقات هائمًا بحثًا عنها. ردَّ على صديقه بلهفة:

- هل صحيح ما قلت؟ هل أستطيع أن أحصل على رقم تليفون بيتهم؟

ردَّ عليه جاسم ببرود ثم أخذ الكتاب وفتحه وأخذ يبحث به ويقلب في صفحاته، وبعد دقائق قال:

- تفضل هذا هو رقم بيتهم، حظًا سعيدًا.

طار ناجي من الفرح وكأنه حصل على أثمن شيء في العالم، شكر صديقه ونهض من مكانه كالبرق وقال عليَّ أن أعود فورًا هناك ما يشغل بالي! حين طلب منه صديقه أن يبقى فى بيتهم حتى موعد الإفطار.

عاد ناجي إلى كوت عبدالله وهو يتمايل على دراجته النارية يمينًا وشمالًا ويردد الأغنية التي سمعها ليلة أمس من الراديو" شفته وبالعجل حبيته والله".

الفصل الرابع عشر

اقتلع قابس الهاتف وحمله إلى غرفته، أغلق باب الغرفة بعناية ثم جلس على حافة السجادة وأخرج الورقة التي أعطاها له جاسم، نظر إلى الرقم المكتوب فيها، قَلَّبَ الورقة كأنه كان يبحث فيها عن شيء غير الرقم، وضع إصبعه على أول رقم لكنه تراجع «ما هذا الذي أفعله؟ ألا يعتبر عملي هذا تطاولًا وإزعاجًا للناس؟ فكيف أفعل مثل هذا؟ أنا الذي أدّعي الدفاع عن شعب بأكمله! لكن.. الحب؟ الحب.. أنا أحبُّ سهى، أحبها وحبي لها ليس مجرد إحساس عابر أو شيء قذر ونية سوء، إنما حبٌّي لها شيء مقدَّس يسمو فوق كل شيء وسوف أتصل مهما كلف الأمر!» كوَّر قبضته وضرب بها على السجادة. بقي حائرًا للحظات، ثم ضغط على الرقم وسمع رنين جرس الهاتف في الطرف الآخر، رن ثلاث أو أربع مرات، كانت دقات قلبه تتسارع مع كل رنة للجرس وكان على أحر من الجمر في انتظار من يلتقط سماعة الهاتف ويرد عليه، شعر بحرارة تجري في كل أعضاء جسمه، كان رنين الهاتف مستمرًا دون انقطاع وفجأة توقف وسط إحدى الرنات وجاءه صوت أنثوي من الجهة الأخرى وكان كأنه يخرج من بئرعميق:

- ألوو.. الوو.. من أنت؟ لماذا لا تتكلم؟

كاد قلبه أن يخرج من صدره واضطرم كيانه كله وشعر بدوار في رأسه وجف ريقه، أراد أن يتكلم لكنه لم يستطع لذلك أسرع وأغلق الخط.

"كان الصوت صوتها، نعم هي، بالتاكيد هي" كاد يطير من الفرح. شعر بسعادة لا مثيل لها وغمرته فرحة حتى دمعت عيناه، أراد أن يصرخ بصوت عالٍ وينادي اسمها، لكنه تذكَّر

أنه ليس الوحيد الموجود في البيت ومن الأفضل أن لا يشك أحد بأمره، وضع سماعة الهاتف في حجره مرة أخرى واحتضنها وكأن الدنيا بكنوزها كلها وضعت في حجره، حاول أن يجهز نفسه للحديث ويجد الكلمات المناسبة ليبتدي كلامه به لكنه عجز عن ذلك لأنه وجد فكره مشتتًا، وخياله هائمًا في العوالم الأخرى وعقله سارحًا في فضاء الأحلام الوردية ولا يجودان عليه بأي شيء. حين عجز عن العثور على كلمات مناسبة لبدء الحديث تأوَّه بصوت مسموع ثم ضغط على الرقم مرة أخرى وبعد هنيهة كان الهاتف يرن في القرب من كتب سهى المبعثرة على أرضية غرفتها، كانت سهى تحاول التركيزعلى المذاكرة وأزعجها رنين الهاتف المتواصل، أرادت أن تغلق الخط لكنها تذكَّرت أنه من المحمتل أن يكون المتصل أباها من بى بى حكيمة حيث محل عمله. أرادت أن تنهي السطر الذي كانت تقرأه ثم ترد على الهاتف إلا أن صوت أمها جاء من المطبخ:

- سهى، أين أنت؟ ارفعي سماعة الهاتف.

ردت على أمها بصوت لم تسمعه أمها التي كانت منهمكة في إعداد الفطور ورفعت السماعة:

- ألو..ألو.. من أنت؟ تفضل!

لم تسمع صوتًا من الطرف الآخر للهاتف، أرادت أن تغلق الخط إلا أنها أمسكت عن ذلك حين سمعت صوتًا ضعيفًا من سماعة الهاتف:

- ألو.

- نعم تفضل. ماذا تريد؟

- ألو..السلام عليكم

- عليكم السلام، تفضل!

- ألو..والله لا أدري ماذا أقول، في الحقيقة قصتي غريبة جدًّا! لكن أرجوك لا تظني بي سوءًا، ولا تحسبيني مراهقًا يريد إزعاج البنات في الهاتف.

بقت سهى واجمة فاغرة الفاه تستمع لما يقوله الهاتف دون أن تفقه شيئًا مما كانت تسمع!

- لا أفهم شيئًا. من أنت وماذا تريد؟

مسح ناجي العرق الذي أخذ يتصبب من جبينه بيده الباردة وقال:

- أنت ربما لا تعرفيني، لكن أرجوك لا تغلقي الخط ولا تظني به سوءًا! فأنا شاب أحاول أن أكون شابًا جيدًا.

ضحكت سهى على ما يقوله ناجي وهزت يدها وقالت:

- وماذا تريد؟ هل ما تقوله لغزًا أم حزورة؟ أنا لا أفهم شيئًا مما تقول.

- لا أبدًا، إنه ليس لغزًا وإنما حبًا.

- ماذا؟ ومن أنت؟

قالت ذلك ثم أغلقت الخط بعصبية.

شعر ناجي بدوار وأخذ يتصبب عرقًا، تأوَّه بصوت مسموع ثم وضع سماعة الهاتف جانبًا وشرب كاسًا من الماء، ثم وضع الهاتف في حجره مرة أخرى وعاود الاتصال وبمجرد ما قالت سهى ألو قال:

- أرجوك لا تغلقي الخط حتى أشرح لك من أنا.

خفق قلب سهى وبقت حائرة، أرادت أن تغلق الخط وتنتهى من هذا المتصل الوقح وتقلع قابس الهاتف من مكانه حتى تتخلص من رنين الهاتف المزعج إلا أنها ترددت؛ نبرة وصوت ناجي وكلماته الرزينة والموزونة التي لا تشبه متطفلي الهاتف جعلتها تفكِّر في هوية المتصل لذلك قالت:

- تفضَّل.

قص عليها ناجي قصته في عيادة الطبيب والصيدلية وكيف أنه بقى أسير غرامها حتى تلك اللحظة، في البداية استغربت سهى من هذه القصة وقالت:

- طيب وماذا تريد؟

- أريدك أنت على سنة الله ورسوله.

ضحكت سهى من صراحة ناجي ومرة أخرى أرادت أن تغلق الخط لكنها تراجعت حين جاء ذكر الله ورسوله فقالت:

- صلى الله عليه وآله وسلم، لكن البيت له باب والرسول - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: ادخلوا البيوت من أبوابها.

- نعم.. نعم.. هذا أكيد، لكن..

- لكن ماذا؟

شعرت سهى أن نبرة صوت المتصل تعلو وتنخفض وكأن كلماته تخرج بعذاب وألم. كررت مرة أخرى:

- لكن ماذا؟ البيوت لها أبواب، ومن الأفضل أن يدخل المرء من الباب لا مثل اللصوص يتسلل خلسة.

- أنا رجل محترم، صدقيني. لم أفتك بأحد في حياتي ولا أرضى بذلك.

جاء صوت أم سهى من المطبخ مرة أخرى مختلطًا مع صوت قلي البطاطا وهي تقول:

- سهى مع من تتكلمين؟ تعالي اغسلي الخس والخضروات.

خفق قلب سهى خشية من أن تطلع أمها على ما حدث وأغلقت الخط بحركة غير إرادية وذهبت للمطبخ، وحين سألتها أمها عن حديثها في الهاتف خفق قلبها واضطربت وبقت لهنيهة واجمة، ثم قالت لها: إنها كانت تتكلم مع آمنة صديقتها، كذبت سهى على أمها وأخفت عنها الحقيقة دون أن تعلم السبب مع أن أمها كانت تعمل مدرِّسة وكانت متفهمة ومنفتحة تجاه العلاقة بين الشاب والبنت وكان بإمكان سهى أن تحدِّث أمها عما حدث دون أي إحراج.

بقت كلمات ناجي تدور في رأس سهى حتى في لحظة الفطور حين كانت تتناوله مع أمها وإخوانها الثلاث، لم تشعر بأي شهية للطعام واكتفت بأكل بعض الخضروات والسلطة حتى أنها لفتت انتباه أمها فقالت لها:

- سهى، لماذا لم تأكلي طعامك؟ إنه السمك طعامك المفضَّل.

- نعم أعرف، لكن شربت كثيرًا من الماء ولم تعد لديّ شهية للطعام.

هزَّت الأم رأسها مؤيدة، نهضت سهى ودخلت إلى غرفتها، نظرت إلى الهاتف وكأنها كانت تريد أن تقول له أنت الذي حرمتني من الإفطار.

فرشت سجادتها للصلاة وأرادت أن تصلي إلا أن الهاتف أخذ يرن رنينًا متواصلًا، التقطته بسرعة وقللت صوت رنينه إلى أقصى حدٍّ ثم رفعت السماعة وقالت بصوت منخفض:

- ألو..ألو.

تلعثم ناجي وبقي صامتًا للحظة ثم قال:

- ألوو.. سهى.. كيف حالك؟

استغربت واضطرم فؤادها؛ خوفًا وهلعًا حين ناداها الصوت باسمها فقالت:

- ومن أين تعرف اسمي؟ أتعرفني؟

شعر ناجي أنه أخاف سهى بذكر اسمها فردَّ عليها بسرعة:

- لا، أرجوك أنا عرفت اسمك حين رأيته على كراسة الضمان في الصيدلية واسمك كان مكتوبًاعليها وهكذا عرفت اسمك لا أكثر ولا أقل.

تنفَّست سهى الصعداء ثم قالت:

- وماذا تريد؟

- قلت لك لا أريد شيئًا إلا ما هو على سنة الله ورسوله، وأريد أن أتعرَّف عليك.

- تتعرَّف عليّ؟! التعرف عليّ أمر مستحيل، وأنت تعرف تقاليد العرب لا تسمح بمثل هذا التعارف إلا بعد الخطوبة والزواج.

فجأة سمعت سهى صوت أخيها الذي كان يبحث عن مسطرته وكتبه وعرفت أنه سوف يدخل إلى غرفتها، فأسرعت وأغلقت الخط ووقفت تصلي.

لم تترك كلمات ناجي خيال سهى وبقيت تدور في خلدها ولا تفارقها، حاولت أن تتذكر تلك اللحظات حين كانت في عيادة الطبيب والصيدلية التي أخبرها عنها ناجي إلا أنها لم تستطع ولم تتذكر شيئًا واضحًا، وبدت لها صورة الشاب الذي قال لها صوت الهاتف عنه ضبابية وغيرواضحة. كانت تتذكر فقط شابًا كان جالسًا أمامها وطوال الوقت كان مطرقًا ينظر إلى أرضية العيادة.

بقيت سهى مستيقظة طوال تلك الليلة ولم تنم الا بعد قبيل الفجر، كانت منهمكة في المذاكرة والتفكيرفي القادم الجديد الذي جلبه الهاتف وحين جاء الصباح ذهب إخوتها إلى المدرسة وذهبت أمها للسوق وبقيت سهى وحيدة في غرفتها وأمامها كتبها المبعثرة نظرت للهاتف وكأنها كانت تريد منه أن يرن وحينئذ كان ناجي جالسًا خلف مكتبه يحدق في سطور ورقه دون أن يقرأها، كان خياله سارحًا بعيدًا بعيدًا، كان وكأنه يسير في شوارع حي زيبا شهر، يطوف في شوارعه ويقلِّب بصره بين لافتات الشوارع وأرقام البيوت، حتى أنه لم ينتبه ليوسف حين قال ممازحًا:

- اليوم لازم الصمت، ما الحكاية؟

حين لم يسمع يوسف من صديقه أي رد كرر سؤاله مرة أخرى، لكن هذه المرة انتبه له ناجي فردَّ عليه متلعثمًا:

- ها.. لا شيء، كنت أقرأ هذه الرسالة.

- أنت اليوم ليس كما عهدتك، أنت لا تستطيع أن تصمت لأكثر من ثلاث دقائق.

قال ذلك ثم أطلق ضحكة عالية، لكن ناجي أدرك براءتها فنهض من مكانه وجلس على حافة طاولة يوسف وقال:

- إنه الحب يا يوسف!

ردَّ عليه صديقه باستغراب:

- حب! أي حب هذا الذي تتحدَّث عنه؟

- حب.. حب.. ألا تعرف ما هو الحب؟ ألم تحب في حياتك؟

- تتكلم مثل المراهقين، أي حب؟ في زمننا لا يوجد حب إلا حب القضية وحب الأهواز.

هزَّ ناجي رأسه مؤيدًا وقال وابتسامة تعلو شفتيه:

- نعم لكني ابتليت بحب آخر.

- أفهم أنك وقعت في حب فتاة.

- أجل ولا أستطيع أن أنساها.

- معك حق، وقانا الله شر حب من هذا النوع.

ثم ضحك مرة أخرى وربت على كتف ناجي وقال:

- لا يهمك، إن شاء الله أحببت عربية؟

ابتسم ناجي وقال:

- وهل أستطيع أن أحبَّ مغتصبي؟

- أحسنت، هذا ما كنت أتوقعه. مبارك، متى نحتفل بزواجكما؟

اندهش ناجي لما قاله صديقه وقال:

- أي زواج؟ حتى الآن لم أتقدَّم خطوة واحدة إلى الأمام .

- ألم تفاتح البنت أو أهلها بالموضوع؟

- تحدَّثت إليها أمس بالهاتف لكن...

- اها فهمت.. إن شاء الله خيرًا.

صمت يوسف بعد ذلك وأدرك أن صديقه يريد أن يتحدث لفتاته بالهاتف لذلك مكث لحظات خلف مكتبه ثم أخرج رزمة من الجرائد وادعى أنه يريد ايصالها الى بعض الاقسام فى الشركة للخروج من المكتب وترك صديقه وحيدًا لكي يستخدم الهاتف إذا شاء.

بعد خروج يوسف بلحظات ساورت ناجي فكرة الاتصال بسهى، نظر إلى الهاتف الذي كان أمامه ثم رفع سماعته بحركة لا إرادية، شعر كأنه مسيّر ولا يملك الإرادة الكافية للتحكم بأعماله، وبعد لحظات رنَّ الهاتف وبقي ينتظر حتى ردَّ عليه صوت من الجهة الأخرى:

- ألوو..

- ألو.. السلام عليكم:

- وعليكم السلام.. ماذا تريد؟

- أنا لا أريد شيئًا، لكن أريد أن أقول لك شيئًا: إذا كنت تسمحين لي به؟

- تفضَّل.

- في الحقيقة يا سهى أنا وقعت في حبك، وأريد أن أتحدث إليك إذا كنت تسمحين بذلك؟

- لكنك تعرف التقاليد، خاصة وتقاليدنا نحن العرب، إنها لا تسمح بمثل هذه الأعمال.

- نعم أعرف ذلك جيدًا لكني لا أريد أن أفرط بشرفك أو شرف أهلك، وإنما أحبك وأريدك زوجة على سنة الله ورسوله.

أرادت سهى أن تغلق الخط وتنهي المكالمة لكنها شعرت أن كلام ناجي فيه شيء من الصدق فأمسكت عن إغلاق الخط وقالت:

- طيب وماذا أفعل أنا؟

- أريد أن ألتقي بك لأتحدث إليك، أعرف أن ذلك لا يتوافق مع تقاليدنا لكن نحن جيل جديد ونختلف عن آبائنا ويجب أن تكون لنا طريقتنا في الزواج.

صمتت للحظة ثم قالت:

- طيب. لكن أنا لا أستطيع أن أتحدث إلى أحد إلا في الجامعة.

- هل تدرسين في الجامعة؟ أي جامعة؟

- جامعة تشمران!

- اها جيد جدًّا، أنا سوف أكون هناك متى ما تشائين؟

- غدًا صباحًا إن شاء الله.

- إن شاء الله.

كاد ناجي أن يطير من الفرح عندما تأكَّد من موعده مع سهى! غمرته موجة سرور جعلته يغنِّي ويرقص، وحين دخل عليه يوسف نهض من مكانه وتعانق مع يوسف وقال: غدًا غدًا إن شاء الله، فعرف يوسف أن صديقه حصل على شيء لا يمكن الاستهانة به.

بقيت سهى مشتتة الفكر قابعة في غرفتها وكتبها مبعثرة على أرضية الغرفة، كانت مترددة وفكرها موزع لا تدري ما فعلته أصحيح أم خاطئ؟ أرادت أن تتصل بهذا المتصل الغريب وتلغي الموعد لكنها تذكرت أنها حتى لا تملك رقم هاتفه، بقيت حائرة وخائفة من هذا الغريب الذي لا تعرف عنه سوى صوت تجلبه الأسلاك وذكرى ضبابية.

الفصل الخامس عشر

اقترب عيد الفطر المبارك ومع اقترابه ازدادت حركة الناس في الأهواز، وكان حي كوت عبدالله من بين الأماكن الأكثر ازدحامًا لأنه حي عربي والعرب فقط من يحتفي ويحتفل فى عيد الفطر المبارك أما غير العرب فيمرون عليه مرور الكرام ولا تشهد أحياء العجم أو ذو الأغلبية غير العربية أي حركة أو اهتمام باقتراب عيد الفطر أو حتى يوم العيد. كان معظم أهالي كوت عبدالله يتأهبون لاستقبال العيد بأفضل صورة وبأجمل زينة وبأبهى حلة. كان الرجال والنساء في تردد دائم على محلات بيع الزينة والمكسرات والملابس والمكياج لاقتناء ما يلزمهم وما يحتاجونه لتجميل وزخرفة بيوتهم وغرفهم للعيد، كانت فرحة ناجي في ذلك الصباح فرحة مضاعفة، فرحة العيد وفرحة الموعد واللقاء المرتقب.

فتح خزانة ملابسه وأخرج ملابسه التي اشتراها خصيصًا للعيد كما اعتاد منذ صغره وكما يفعل كل الناس فى حيّهم الذين يقتنون ملابس جديدة خاصة للعيد فلا يرتدونها إلا في يوم العيد، لكن هذه المرة ناجي كسر هذه القاعدة وارتداها قبل أن يحلَّ العيد.

أخرج من جيب بنطاله شريطًا اشتراه يوم أمس من بائع للأشرطة في سوق عبد الحميد ووضعه في المسجل، وبقي ينتظر أغنيته المفضلة "بتلوموني ليه" التي يغنيها عبدالحليم حافظ.

ثم جلس أمام مرآة وضعها بإتقان على كرسي صغير وجلس يصفف شعره الفاحم بعناية، حين نظر في المرآة تذكر اليوم الذي ذهب فيه لمقابلة المدير وليلة المندوب، وذكّره ذلك

بطموح وآمال الإنسان التي لا تنتهي، فإذا ما أدرك غاية كان يتوق إليها سوف يتوثب لغاية أخرى ولا يكتفي بما لديه، وهكذا يقضي الانسان حياته يتحوَّل من غاية إلى أخرى حتى ينتهي به المطاف محمولًا على خشبة صامتة.

نظر إلى وجهه في المرآة، كان وجهه يمطر حيوية ونشاطًا، صفَّف شعره بعناية وهو يهزُّ رأسه طربًا ويردد مقاطعًا من الأغنية التي كانت تملأ أرجاء غرفته" بتلوموني ليه."

ارتدى ملابسه الجديدة ولمّع حذاءه وخرج ينظر إلى نفسه في مرآة المغسلة التي كانت في ساحة البيت الضيقة أمام النخلة .

ما شاء الله! ما شاء الله! أصحبت عريسًا!

قالت له أمه التي كانت منهمكة في تنظيف طبق من الرز استعدادًا لطهيه.

ابتسم في وجه أمه ثم جاء وقبّل يدها وقال:

- إن شاء الله قريبًا سوف تسمعين أخبارًا تسرُّك.

- إن شاء الله خيرًا. كلنا ننتظر يوم زواجك بفارغ الصبر.

غمز ناجي وضحك ضحكة دوّت في أرجاء البيت وقال: لا تستعجلي، قريبًا إن شاء الله.

ثم خرج مردِّدًا مقاطعًا من أغنية "بتلوموني ليه" بصوت مسموع وقلبه يدق لهفة وشوقًا للقاء المرتقب.

دخل جامعة تشمران و وقف قرب نخلة ينتظر قدوم سهى وكان يعدُّ الثواني واللحظات، أقبلت فتاة ظن أنها سهى فدق قلبه

دقات عنيفة واضطرم فؤاده شوقًا ولهفة، إلا أنه سرعان ما تبدَّد كل شيء حين اقتربت الفتاة واتضح له أنها ليست سهى.

بقي ينتظر متكئًا على جذع نخلة وكان يترقب بفارغ الصبر مجيء سهى وكانت تراوده أفكار شتى حول مجيئها. كما كان قلبه لا يخلو من خوف كان سببه ما سمعه من بعض أصدقائه من أن بعض الفتيات لا تأتي بمفردها لموعد مثل ذلك الموعد وتجلب معها إخوتها أو أولاد عمها أو ترسلهم بدلًا منها للشاب الذي عاكسها وطلب منها موعدًا في الهاتف لكي يقتصوا منه ويلقنوه درسًا لن ينساه!« هل تأتي ومعها إخوانها؟ يا ترى هل تفعلها؟ لا شك أن ذلك سوف يسبِّب لي فضيحة كبيرة! لكن.. لكن.. أنا لست معاكسًا ولا مراهقًا يزعج بنات الناس وإنما عاشق ومحب شريف وقصدي شريف. ماذا لو جاءت ومعها..؟! كيف سيقبلون مني عذرًا كهذا؟! ومن يعلم ما يدور في قلبي؟! » تأوّه بصوت مسموع، كوّر قبضته وضرب بها جذع النخلة ثم أطرق ودمعت عيناه. كان قلبه يتوق لرؤية سهى وكان يتمنَّى أن تأتي حتى لو جاءت مع رجال قبيلتها كلهم، كان يتنَّمى فقط أن يراها، كان ينظر إلى جماعة من النمل قرب جذع النخلة ويتأمَّل ما تفعله تلك الجماعة التي كانت منهمكة في حمل تمرة يابسة، بدا له أمرًا سخيفًا وتساءل في سره: «هل ما نفعله نحن يبدو سخيفًا لمن ينظر إلينا من السماء؟ ربما ما أفعله أنا أكثر سخافة خاصة وأنه من المحتمل أن يجلب لي المتاعب!...» كان يحاول أن يساعد جماعة النمل في حمل التمرة وحين رفع رأسه فجأة رأى سهى على بعد أمتار منه فقط! تلعثم وبقى واجمًا، كان لسانه منعقدًا وريقه جاف.. سار بخطواته نحوها وحياها بإشارة من رأسه وقلبه يدق بعنف، كان يبحث عن كلمات للتحية لكنه كان كمن يريد أن يتكلم بلغة لا يعرفها أصلًا، شعر بدوار وكأنه دخل في غيبوبة..بدت له الأشياء التي يراها ضبابية وغير واضحة ولم يصح من تلك الحالة إلا حين تكلَّمت سهى وقالت:

- هذه هي الكلية التي أدرس فيها، كلية الاقتصاد.

أخذ نفسًا عميقًا ثم مسح العرق الذي كان يتصبب من جبينه بمنديل صغير و قال بارتباك شديد:

- اها.. جيد جدًّا! عفوًا السلام عليكم أولًا.

لم تستطع سهى أن تتمالك نفسها وضحكت، عندها نظر إليها ناجي وقال:

- عفوًا.. أنا آسف جدًّا لكن أصابني الارتباك والخجل.

ردت عليه سهى:

- لكنك في الهاتف كنت تتكلم بطلاقة!

- نعم. لكن في حضرتك الأمر يختلف.

- المهم، ماذا تريد؟

ردَّ بارتباك:

- لا شيء.. لا شيء.. صدقيني لا شيء سوى التعارف، والتحدث إليك إذا سمحت طبعًا سوف أشرح لك كل شيء.

دخلا إلى إحدى ساحات الجامعة وكانت الشمس تميل نحو الغروب، جلسا تحت ظل شجيرات اكالبتوس ونخلة سامغة، شعر ناجي أن حالته قد تحسَّنت وأصبح بإمكانه أن يتذكَّر كثيرًا من الكلمات التي كان يستعصي عليه تذكَّرها حين التقى بسهى أول لحظة .

كانت سهى فتاة لا تخشى الحديث مع الرجال ولايربكها الخجل لأنها كانت فتاة جريئة بطبيعتها وقد تلقت من أبويها تربية بعيدة نسبيًّا عن التزمت السائد في المجتمع الأهوازي الذى يضع حاجزًا سميكًا بين الجنسين. و قبل دخولها للجامعة كانت تتردد قليلًا عندما تريد التحدث الى شاب لا تعرفه أو تلتقى به لأول مرة.لكن استطاعت أن تتغلب على هذه الحالة في السنة الأولى لدخولها الجامعة.

الدراسة في الجامعات الإيرانية غالبًا ما تكون مختلطة وتشارك الشابات الشباب المقاعد الدراسية، وهناك يزول الحائط السميك الذي تفرضه الحكومة على الجنسين للتفريق بينهما منذ الصف الأول الابتدائي. غالبًا ما يكون الأمر غريبًا على الطلاب الجدد الذين يدخلون للتو الجامعة لكن مع الوقت يعتاد الجانبان الوضع وينتهي اختلاس النظرات إلى بعض والخجل. وبعد مضي فترة من الزمن يصبح التحدث بين الجنسين أمرًا مألوفًا. لذلك حين رأت سهى ارتباك ناجي ساورها الشك بأنه شاب غير متعلم ولم يدخل الجامعة، وأرادت أن تعرف ما يقصده من محادثتها والاتصال بها.

جلس ناجى أمام سهى وأخذ يداعب مفاتيح دراجته بيده، وبين الحين والآخر ينظر بشوق إلى سهى التي تجلس قبالته بثقة وطمأنينة دون أن تضطرب، مضت هنيهة كان كل منهما ينتظرالآخر ويتوقع منه أن يبدأ الحديث، لكن طال الانتظار وطال معه الصمت حتى نفد صبر سهى فقالت:

- نعم تفضَّل.

جفف ناجي العرق من جبينه وقال بارتباك ظاهر:

- قبل كل شيء أعرفك بنفسي، أنا ناجي السرحان أعمل موظفًا في شركة قصب السكر، وعندي أخوات ثلاث وأسكن في

حي كوت عبدالله، مسلم وعربي والحمدلله، رأيتك وأحببتك ورسخ حبك في قلبي، سؤالي عنك وعن أهلك الذي لم أسمع له جوابًا سوى المدح والثناء لك ولعائلتك.

شعرت سهى أن الشاب الذي يتكلم الآن غير الذي رأته قبل لحظات وبدا لها أنه متكلم بارع ويملك من الثقة بالنفس ما يجعله خطيبًا جيدًا. كما أنها عرفت أنه موظف. نظرت إلى ناجي بأدب وقالت:

- أشكرك يا أخي، لكنك تعرف أن هناك تقاليد وأعرافًا تمنع اتصالنا ببعض وهذه الأمور لا تقبل المزاح ولا الاستهانة؛ لأنها لا ترحم أحدًا.

رفع ناجي بصره ونظر مباشرة إلى سهى وقد زالت منه كل علامات الارتباك:

- أعرف ذلك جيدًا ولا أريد أن أفرط بشرفك أو شرف أهلك، واعلمي أني أكثر حرصًا على شرف أي إنسانة عربية سواء كنت أنت أم غيرك.

وخزت سهى لسعة من الأنانية حين تحدَّث ناجي عنها ضمن باقى النساء لكنها أخفت إحساسها وازداد اطمأنانها بمحدثها حين رأته و هو يتكلم بثقة عالية وقالت:

- أخي أنت تعرف أن الفتاة أمرها بيد أبيها وأهلها وليس هي من تقرر أمر زواجها لذلك أرى من الأفضل أن تسلك الطريق الصحيح.

هزَّ ناجي رأسه وقال:

- هذا أكيد. وما هي إلا أيام معدودات حتى أرسل والدتي لزيارتكم والتعرُّف عليك وعلى أهلك الكرام.

- أهلًا وسهلًا بها متى ما جاءت.

- شكرًا لك.

تأملت سهى بدقة ملابس وتسريحة شعر ناجي فبدا شابًّا جميلًا وأنيقًا، اعترتها حالة من الإعجاب بالنفس والغرور حين كانت تسمتع إلى ناجي الذي كان يتكلم عن أهمية حبها ونيته مكافحة التقاليد القديمة واستبدالها بقيم وأفكار حديثة من أجل ذلك الحب وحين صمت ناجي فجأة ارتبكت سهى التي كانت تصغي إلى ما يقوله ناجي وفي نفس الوقت تخطط وتفكر للمستقبل وتحاول أن تتصور حياتها مع القادم الجديد!مرت لحظة صمت ثم هزت سهى رأسها وكأنها كانت تؤيد ما قاله ناجي ثم قالت:

- أخ ناجي، ما مستواك العلمي؟

- أنا أكملت الثانوية ونجحت في امتحان دخول الجامعة إلا أن ظروفي لم تسمح لي دخول الجامعة، وذهبت للخدمة العسكرية وتخرجت قبل فترة، والآن أعمل ولله الحمد.

- لكن لماذا لا تكمل تعليمك وتدخل الجامعة؟

- هذا ما كنت أفكر فيه وإن شاء الله سوف أتقدَّم للامتحان هذا العام.

ردت عليه سهى:

- إن شاء الله.

- أي فرع تدرسين وأي سنة؟

- أنا أدرس الاقتصاد السنة الثالثة.

- وإن شاء الله سوف تتخرجين بعد عام؟

- إن شاء الله. هذا إذا نجحت في جميع الامتحانات وإلا سوف أبقى فصلًا آخر ضيفة على الجامعة.

- إن شاء الله تنتهين منها بنجاح وتتقدمين للماجستير أيضًا.

- شكرًا لك أخي، و الان علينا أن ننصرف.

- نعم. اقترب موعد الإفطار.

نهضا وسارا معًا وقبل أن يجتازا بوابة الجامعة افترق ناجي عن سهى وابتعد حتى لا يراهما أحد من أقاربه أو أقاربها خارج الجامعة الأمر الذي سيفتح الباب أمام الشائعات والأقاويل.

كانت فرحة ناجي حين عاد إلى حي كوت عبدالله فرحة لا تُوصَف، كان يردِّد مقاطع من أغنية "محبوبي حلو والناس كلها اتقول" ويتمايل طربًا وهو يقود دراجته النارية، وحين دخل إلى بيتهم ردد الأغنية بصوت عال وأخذ يرقص ويصفِّق من شدة الفرح، الأمر الذي لفت انتباه والدته فقالت له:

- خيرًا إن شاء الله يا ناجي.

ردَّ عليها وهو يغني:

- إنه الحب.. الحب.

ابستمت أمُّه ورفعت يديها للسماء قائلة:

- يا الله بحق هذا الشهر الكريم اجعله خيرًا وبارك لنا في هذا الولد إنه وحيدنا.

ثم سألته مستفسرة عما قال ، إلا أن ناجي لم يضف لما قاله في البداية شيئًا، وأمسك والدته من يدها وأدخلها إلى غرفته؛ ليقصَّ عليها ما حدث.

الفصل السادس عشر

بعد طول انتظار حلَّ عيد الفطر المبارك فاستفاق الناس منذ الصباح الباكر في حي كوت عبدالله وكان الأطفال أول من خرج إلى الشوارع والأزقة، كانوا يتراكضون فرحين بملابسهم الجديدة وبما ينتظرهم من مكسرات وحلويات شهية وأيضًا العيدية التي سوف يحصولون عليها. انتشرت أصوات مكبرات الصوت من الجوامع والحسينيات وهي تنشر ما يردده المصلون من مناسك صلاة العيد.

كان الرجال في مجموعات صغيرة وكبيرة يطوفون في شوارع كوت عبدالله ويباركون العيد إلى جيرانهم وأقاربهم وغالبًا ما كانوا ينصرفون بعد مباركة العيد وكان بعض منهم يجلس ليتناول فنجان قهوة أو شاي..أو قطعة حلويات، تكون شهية بعد شهر من الصيام والتعبّد.

ارتدى ناجي ملابس عربية في يوم العيد وخرج للجيران وبارك لهم العيد ثم توجَّه إلى حي زيبا شهر، فبعد أن أرسل والدته إلى أهل سهى وافق الجميع على زواجهما بشرط أن يسمح ناجي لسهى أن تكمل دراستها وهكذا تَحَقَّقَ لناجى ما كان يحلم به ومنذ ذلك الاتفاق صار طريق حي زيبا شهر مألوفًا لناجي يقصده في كل فرصة تسنح له لزيارة حبيبته التي أصبحت أمين سره أيضًا وأطلعها على كل جميع آماله وطموحاته وأيضًا نشاطه في التنظيم وحاول إعطاءها بعض الكتب والكراسات لكي تقرأها وتطلع على القضية الأهوازية اطلاعًا كاملًا ومن ثم تنضم إلى تنظيمهم إذا شاءت.

لكن سهى لم تكن ترغب في الانضمام إلى التنظيم وأول ما سألت ناجي عنه حين حدثها عن التنظيم ماذا بإمكانهم أن

يفعلوا بهذا العدد والعدة القليلة؟! وحدثت مشادات كلامية بين سهى وناجي في بداية تعارفهم وغضبت سهى ذات مرة من ناجي وطلبت منه التخلي عن تنظيمه لكنه بسبب حبه واحترامه لها ولعائلتها خطط لإعادة المياه إلى مجاريها واستطاع أن يرضي سهى دون أن يتنازل عن قناعاته في التنظيم والعمل فيه.

استقبل والد ووالدة سهى وجميع أفراد الأسرة ناجي استقبالاً حارًا وتحلَّقوا حوله مرحبين به ومباركين له العيد إلا سهى التي لم يرها وبقي ينتظر متكئًا على قنفة بنقوش جميلة وهو يفتح حبات الفستق الواحدة تلو الأخرى ويلتهم الحلويات القطعة بعد الأخرى في انتظار حبيبته. لم تمض لحظات حتى دخلت عليه سهى بحلة العيد الجميلة تختال كالطاووس بفستان أخضر يميل إلى الزرقة ومكياج خفيف، فتعانق الخطيبان وقبلها وقبلته وباركا العيد لبعضهما. شعر الاثنان بسعادة حقيقية، شعر ناجي أنه في جنة الخلد، فالمكان كان جميلًا تفوح منه رائحة العود والغرفة بأبهى صورة وأمامه حبيبته ومائدة ملونة من الحلويات والمكسرات والفواكه، داهمته رغبة لشرب الخمر إلا أنه سرعان ما طرد هذه الفكرة من دماغه وبقي واجمًا لهنيهة يفكر في مستقبل تنظيمهم و مشاكله العديدة وحين سألته سهى عن سبب سكوته لم يشأ إخفاء الأمرعليها فقال:

- كنت أفكر في شؤون التنظيم.

- لم تنته بعد من التنظيم؟

- وكيف أنتهي منه؟ إنه طريقي.

قطبت سهى حاجبيها ثم قالت:

لكنك تعرف أنه الهلاك بعينه، أرجوك تنازل عنه وحافظ على حياتك وحياتنا.

تأوّه ناجي بصوت مسموع ثم قال:

- مرة أخرى رجعنا إلى نفس الكلام.

ابتسمت سهى ابتسامة أخفت بها انزعاجها من كلام ناجي وقالت:

- أنا لا أريد شيئًا سوى الحفاظ عليك، طريقك هذا يعني الموت المحتوم في السجن أو على خشبة الإعدام.

- لكننا على حق وقضيتنا على حق، نحن نطالب بحريتنا وحقوقنا وهذا حق من حقوقنا وإذا سكت عن حقي أكون كالميت وهو حي!

- أعرف ذلك، لكن أنت تعرف الحكومة، إنها حكومة فاسدة ولا ترحم أحدًا، بالأمس تحدثت إلى أبي حول القضية بطريقة مبطنة لكي أعرف رأيه فقال لي إن أحد أقاربه أعدم في المحمرة فقط لأنه كان مشتبهًا به في العضوية في هكذا تنظيم في بداية الثورة.

- وما رأي والدك بهكذا نشاط؟

- كان والدي ولا زال ضد هكذا نشاط ويعتبره أمرًا لاجدوى منه، بالأمس كان يتحدَّث عنه وكأنه شيء لا فائدة منه.

كان ناجي ينصت إلى سهى بدقة وقلبه يعتصر ألمًا وحزنًا، كان يعرف أن ما تقوله سهى فيه كثير من الصحة ولا يقتصر هذا النمط من التفكير على والد سهى فحسب وإنما شعب بأكمله يفكر هكذا ولا يريد التغيير. شعر أن مرارة الواقع أخذت تتسرب إلى داخله وتفسد عليه فرحه في أول أيام العيد وفي أول عيد بعد خطوبته. ظل صامتًا يفكر في إيجاد طريقة لحل هذه المشكلة، أراد أن يغادر ويذهب لكي يخلو مع نفسه إلا أن سهى

أخذت قطعة من الحلويات وناولتها له، فأخذها وابتسامة شكر تعلو شفتيه ثم أكلها بشهية، بددت الحلوى الحزن والألم الذي اعتراه وحين رأى تأثيرالحلوى على مزاجه وتغييرها له تأكد أن الدنيا ما زالت بخير ما دامت قطعة صغيرة من الحلويات بإمكانها أن تغيِّر مزاج الإنسان، فهو ورفاقه أيضًا بإمكانهم أن يغيروا طريقة تفكير شعب بأكمله، تسرَّبت إلى نفسه موجات من التفاؤل، فابتسم ابتسامة عريضة وقال:

- الآن اتركي حديث التنظيم والقضية، اليوم عيد ويجب أن نحتفل به كما يسحتق، ما رأيك بدعوة للعشاء في مطعم فندق فجر؟ طعامه روعة ومكانه أروع !

هزت سهى رأسها مؤيدة وقالت:

- لا أريد أن أكلفك، أسعار ذلك المطعم خيالية.

- نعم أعرف، لكننا لا نريد أن نقيم فيه العمركله! وجبة عشاء وينتهى كل شيء، سأتدبر الأمر وأرتب لنا موعدًا قبل نهاية الأسبوع. ما رأيك؟

- جيد! موافقة شرط أن يكون بعد اليوم الثالث للعيد.

- إن شاء الله.

تحلَّق أهل سهى حول مائدة الغداء ومعهم ناجي الذي انضم إلى عائلتهم قبل أيام فقط بعدما تم الاتفاق بين العائلتين على كل شيء وقرروا أن يتم الزواج بعد شهر رمضان الكريم. شعر ناجي أن انضمامه إلى عائلة جديدة منحه سعادة كبيرة وثقة بالنفس وكان شعوره وهو وسط عائلة زوجته شيء لا يوصف وكان في غاية الفرح.

كان الجميع يتحدَّث عن العيد ورؤية الهلال، وكيف أن الحكومة تأخَّرت في إعلان يوم العيد وفجأة تذكَّر ناجي حديث زوجته مع أبيها حول القضية الأهوازية وأراد ناجي أن يختبر موقفه، فبحث عن موضوع مناسب وسرعان ما خطر بباله موضوع العيد.

- أقول عمي، هل تذهب إلى العمل غدًا؟

- نعم.

- ولماذا لم تتقدم بطلب إجازة؟

- قدمت طلبًا إلا أن المسؤول لم يوافق عليه.

تناول ناجي قدح الشاي وناوله لوالد زوجته ثم قال:

- للأسف الحكومة لم تعطل إلا يومًا واحدًا لعيد الفطر المبارك أهم عيد للمسلمين، وتعطل خمسة عشر يومًا لعيد النوروز الذي بالأساس هو عيد من أعياد المجوس.

وضع عم ناجي الملعقة إلى جانب القدح وارتشف من قدحه جرعة من الشاي الساخن ثم قال:

- تعرف لماذا يوم واحد؟ لأن العجم لا يحتفلون بهذا العيد؛ و لأنهم لا يصومون أصلًا.

هزَّ ناجي رأسه تأييدًا لكلام عمه وأحسَّ أنه قادر على ضمه إلى صف مؤديدي القضية، تظاهر بالإنصات لعمه الذي انتهى من شرب قدح الشاي وأشعل سيجارة بولاعة جميلة وأخذ نفسًا من سيجارته واستعدَّ للحديث فقال:

- الآن الوضع أفضل بكثير، في زمن الشاه كان العجم لا يعرفون ما هو رمضان وما هو الصيام وينظرون إلى المسلم والعربي نظرة ازدراء وتحقير.

- ما زالوا كذلك.

- نعم أعرف ولازالوا يحاولون محو العرب وذكر العرب لكن بطريقة غير مباشرة.

حاول ناجي أن يستفز محدِّثه، أسند ظهره إلى الأريكة ثم قال:

- نعم وإذا لم نتحرك نحن العرب سوف ننتهي ويقضون العجم على كل شيء.

هزَّ عبد المنعم المحمراوي يده ثم صاح على ابنه الأصغر بأعلى صوته وطلب منه أن يجلب لهما مزيدًا من الشاي لكن جاءت سهى بدلًا منه وذهبت للمطبخ لتحضر الشاي وحين اطمأن والدها على أن الشاي سوف يحضر توجه ناحية ناجي وبدد بيده دخان سيجارته الذي كان يشبه هالة كبيرة تحيط به وبجليسه وقال:

- ماذا بإمكان العرب أن يفعلوا؟

- مثلًا أن يتظاهروا احتجاجًا على سياسة الحكومة تجاههم.

- من الذي يجرؤ على التظاهر؟ إن الحكومة تقتل من يجرؤ على ذلك.

- لكن يجب أن يبدأ العرب بالعمل لإزالة هذا الكابوس وطرد هذا المتغطرس.

- كيف نبدأ ونحن لا نملك شيئًا؟ لا ثقافة ولا شعبًا ولا تجارة ولا أي شيء!

ازداد حماس ناجي وشعر أنه بإمكانه التأثير على والد زوجته:

- يعني يجب علينا أن نبدأ بخطوات صغيرة ومن ثم نطوِّرعملنا.

مسح عبدالمنعم شاربه وأشعل سيجارة أخرى ثم قال:

- هذه الخطوات الصغيرة ربما تسبِّب الإعدام، تعرف ذلك. الحكومة لا ترحم من يعمل بالسياسة، تاجر بالمخدرات أو اقتل أو اعتدِ على الآخرين؛ هذا يمكن أن تتساهل معه الحكومة لكن في السياسة فيستحيل أن تتركك.

أدرك ناجي أن والد زوجته هو الآخريعاني من مرض فوبيا السياسة؛ المرض المنتشر بين عرب الأهوازالذي جعلهم يخافون كل شيء يمت إلى السياسة بصلة، المرض الذي طالما مقته ومقت المصابين به لأنه يعتقد أن هذا المرض يسلب أي اختيار من المصاب به و يحوله إلى إنسان لا يستطيع دفع الأذى عن نفسه.

أراد أن يخفف من حدة المرض المصاب به عمه ويخفف من شدة فوبيا السياسة لكنه تذكر تجاربه السابقة مع بعض أقاربه التي باءت بالفشل وأدت إلى تدهور علاقته بهم حين أراد أن يصنع فيهم روح النضال والتضحية من أجل الوطن، وخاف أن يتكرر ذلك مع والد زوجته الذي كان يحبه كثيرًا لذلك فضّل تأجيل الأمر إلى ما بعد الزواج إن سنحت الفرص

الفصل السابع عشر

بعد طول انتظار انتهى عمل ذلك اليوم وغادرعمال وموظفو شركة قصب السكرالواحد تلو الآخر مصانع ومكاتب عملهم وانتشروا تحت ظلال المباني والأشجار ينتظرون السيارات التي سوف تقلهم إلى بيوتهم، وقف ناجي تحت ظل شجرة اكالبتوس ينتظر باص الشركة وكله شوق لموعد المساء مع خطيبته. فمنذ أن تمت الخطوبة لم يقابلها خارج بيتهم إلا يوم فحص الدم حين ذهبت معه ولكن بمرافقة أمه التي لم يستطع ناجي منعها من مرافقتهما إلى مستوصف هفده شهريور لإجراء الفحصوصات التي تسبق الخطوبة لذلك كان يعد الثواني والدقائق لكي ينتهي دوام ذلك اليوم ويذهب ليستعد للقاء حبيبته.

شعر بملل مضاعف وتعب كثير في ذلك اليوم لأنه كان ينتظر نهاية الدوام بفارغ الصبر وأيضًا لانه يوسف كان متغيِّبًا عن العمل واضطر ناجي للبقاء في غرفته وحيدًا طوال الوقت. اتصل بسهى مرتين وأخبرته أنها أيضًا تستعد للقاء المرتقب.

كان متشوِّقًا للقاء سهى لكي يبوح لها بما يدور في قلبه من حب وحنان تجاهها لأنه حين كان يلتقيها في بيت أهلها، كان بيتهم مزدحمًا ولم يحظ بأي فرصة حتى ينفرد بها ويفتح قلبه لها وكان ذلك الموعد فرصته الأولى لكي يحظى بحبيبته بعيدًا عن الأنظار. كان قلبه مسرورًا طوال ذلك اليوم حتى إنه حين وصل إلى البيت فتح باب بيتهم وهو يغني ويهزُّ يده طربًا.

كعادتها كانت أمه نائمة في غرفته حتى إذا جاء تعلم بمجيئه وتحضر له الطعام و كان حذرًا ألا يسبِّب صوتًا فيوقظها من نومها إلا أنها علمت بمجيئه ولم تستجب لطلبه حين قال لها: إنه يحضر طعامه بنفسه وذهبت وعادت إليه بصينية تفوح منها

رائحة مرق البامية و وضعتها أمامه وأخذت تطيل النظر إليه بلهفة وهو يبتلع الطعام بشهية فقال لها مداعبًا:

- اليوم عندي موعد؟

ابتسمت أمه وقالت:

- موعد مع الحبيبة.

- قولي مع الروح والقلب والفؤاد.

ضحكت أمه بصوت عالٍ ثم قالت:

- على مهلك حتى لا تشرق بالطعام.

سعل وضحك ثم قال:

- نعم. كلامك صحيح.

قطَّبت أمه وكأنها تذكرت شيئًا لم تنبه له وقالت:

- إذا سهى لها القلب والروح والفؤاد فأنا ماذا لي؟ ماذا تعطيني؟ماذا تركت لي؟

ضحك ناجي مرة أخرى وقال:

- أنت لك أبي بأكمله.

ضحكت أمه أيضًا وقالت:

- وماذا أعطاني أبوك سوى العذاب؟

انتهى ناجي من طعامه وأراد أن يذهب بالصينية إلى المطبخ لكن والدته أخذتها منه وخرجت ولكنها عادت وفتحت

باب الغرفة كأنها تذكرت شيئًا، نظرت لناجى لهنيهة وكأنها كانت تحاول أن تتذكر شيئًا ثم قالت:

- اها...ناجي اليوم جاء شاب على دراجة نارية وقال إن أم خزعل توفيت فقولي لناجي أن يوصل نفسه إلى مجلس الفاتحة بأسرع وقت ممكن!

بقى ناجي واجمًا للحظة وكأنه منوّم مغناطيسيًا، حدّق في وجه والدته ثم قال:

- ماذا؟

رجعت إلى داخل الغرفة وأغلقت بابها حتى لا يدخل الهواء الحار الذي يعصف خارج الغرفة ثم قالت:

- اليوم جاء شاب وطلب مني أن أبلّغك أن أم خزعل توفيت وعليك أن تذهب لمجلس الفاتحة بأسرع وقت.

ردَّ ناجي بسرعة قائلًا:

- هل أنت متأكدة؟

تأوهت العجوز ثم قالت:

- نعم! وأكَّد عليَّ الشاب أن اقول لك هذا الخبر في أول فرصة أشاهدك فيها! حتى أنني استغربت من شدة إصراره وتأكيده!

- متى جاء؟

- بعد أذان الظهر بقليل، من هذه أم خزعل - الله يرحمها- ؟ هل هي من أهل كوت عبدالله؟

- والدة صديق لي! أفهم من كلامك أن الشاب جاء قبل ثلاث ساعات تقريبًا؟

- لا أدري! أنا لا أعرف الوقت حسب الساعة!

ابتلع ناجي ريقه بصعوبة، شعر ببرود يسري في كل جسده، تشتت فكره وشعر أنه غير قادر على التركيز، كانت يداه ترتجفان تحت برودة الهواء المندفع من جهاز التكييف! نظرت أمه إليه باستغراب وسألته:

- من خزعل؟ صديقك؟ الله يرحم والدته. هل هي كبيرة بالعمر؟

قال بتلعثم:

- نعم، إنه صديقي وأمه عجوز مسكينة، أعرفه منذ زمن بعيد. هيَّا يا أمي تفضلي أريد أن أنام.

تمتمت العجوز بكلمات غير مفهمومة ثم أخذت الصينية وفيها بقايا الطعام، وبمجرد أن خرجت من الغرفة توجه ناجي إلى زاوية من غرفته وأزاح الفراش، ثم خرج وعاد بسرعة وبيده معول صغير وشرع في رفع بلاط أرضية الغرفة وبعد لحظات من العمل الدؤوب تمكَّن من إزاحة مساحة صغيرة في زاوية الغرفة وأخرج منها رزمة من الأوراق والملفات وذهب بها خارج الغرفة، كان جميع أهله يغطُّون في نوم الظهيرة، وضعها كلها في مجمرة وأشعلها دون أي تردد وأخذ يراقبها حتى تحترق بالكامل ولا يبقى منها أي شيء، كان قلبه يدق بسرعة وكان دائم القلق والخوف ينتظر كل ورقة يلقيها فى النار حتى تحترق بالكامل ثم يلقي ورقة أخرى و بقي على هذه الحال حتى انتهى من جميع الأوراق والملفات! كان ناجي متأكدًا من أن الرسالة التي قالت عنها والدته هي الشيفرة الحمراء التي

اتفق عليها أعضاء التنظيم للهروب وأنها تعني أن الوضع خطير جدًّا ولا تؤجل الهروب ثانية واحدة. أعاد ناجي بلاط الغرفة إلى مكانه بسرعة ثم أخرج من صوانه جواز سفره ومبلغًا من المال كان قد وضعه جانبًا لوقت الهروب اتباعًا لتعليمات التنظيم. لبس ملابسه مرة أخرى وألقى نظرة وداع على أهله وهم نيام ثم خرج مسرعًا وكان يمشي بحذر تام وقلبه يرتجف كلما رأى سيارة متجهة نحوه.

سار في شوارع كوت عبدالله على غير هدى، كان فكره مشتتًا لا يدري ماذا يفعل، حاول أن يتذكر هل قام التنظيم بأي عمل مؤخرًا لكنه لم يتذكر شيئًا. كان يريد أن يعرف كيف انكشف أمر التنظيم و ما العملية التى قام بها الأعضاء مؤخرًا لكن لم يستطع التركيز.كان قلبه لا يخلو من الخوف والاضطراب حتى للحظة واحدة وانعكس الخوف ايضا على تصرفاته فظهر على طريقته فى اتخاذ القرار!

أراد أن يذهب لبيت النجار ليعرف الحقيقة لكنه كان يخشى أن يكون بيته مراقبًا، وقف على مفترق طريق ينظر يمينًا وشمالًا وفجأة خطرت بباله فكرة وهي أن يذهب لبيت صانع النجارالذي يدعى حمود ويستفسر عن النجارأولًا. توجه بحذر إلى بيت حمود وبعد طَرْقٍ عنيفٍ على الباب خرج له حمود، وبعد التحية دعاه للدخول لكنه رفض وبقي صامتًا للحظة وقبل أن ينطق بكلمة، كسر حمود الصمت وقال:

- ها..تعرف اليوم جاءت سيارة واعتقلت النجار.

اندهش ناجى لما قاله حمود وتأكد أن الوضع سيىء جدًّا.

- متى حدث ذلك؟

- اليوم حوالي الساعة الحادية عشرة!

- ولماذا اعتقلوا النجار؟

- لا أحد يعرف.

تظاهر ناجي بأنه لا يعرف عن الموضوع شيئًا وقال:

- هل كانت الشرطة من اعتقل النجار؟

- لا...لا.. الأمن.. الأمن.

قال حمود كلمة الأمن و رددها عدة مرات بتخوف واضح.

- والسبب؟ هل تعرف السبب؟

- لا والله، لا أعرف، لكن تعرف النجار! فهو يتكلم في السياسة دائمًا.

هزَّ ناجي رأسه وقال:

- نعم أعرف ذلك.

ودَّع حمود بعد أن فشل في الحصول على معلومات إضافية منه، وعرف أن الأمر انتهى وعليه أن يغادر.. لكن إلى أين؟ تذكَّر موعده مع سهى، لم يذهب من الطريق الرئيسي الذي يفضي إلى طريق كوت عبد الله وفضّل أن يذهب من الأزقة الملتوية ثم توجه ناحية الطريق الرئيسي ومن هناك استغل سيارة لنخل عبد الأمير الواقع على مقربة من طريق كوت عبد الله.

جلس تحت ظل نخلة باسقة وحاول أن يفكر في طريقة للخروج من هذا المأزق، ما زال قلبه يحن إلى لقاء سهى، أسند ظهره إلى جذع النخلة وأخذ عودًا خشبيًا وأخذ يرسم به في

التراب دوائر مغلقة ويعبث بها بعدما ينتهي من رسمها. كان قلقًا على النجار وما سوف يحلُّ به، جالت في رأسه الروايات والقصص التي تناقلتها الأفواه عن أساليب المخابرات الإيرانية في التعذيب لانتزاع الاعتراف من المتهمين، ارتسم أمام عينيه منظر مخيف لنساء بملابس سود ملطخة بالطين وهن يلطمن الوجه ويصرخن بحرقة، داهمه خوف شديد من المنظر ومن أساليب المخابرات الوحشية «هذا اليوم الذي كنت أخشاه، أكيد خطأ صغير أدَّى بالتنظيم إلى ما أدَّى به!» فكّر في سهى وفي عينيها الجميلتين "أكيد أنها ستذهب اليوم إلى الموعد وتنتظرني لكن هل أذهب أم أبقى هنا؟ لا بدّ أن النجار أو أحد من أعضاء التنظيم اعترف عليّ وصار الآن مطاردتي واعتقالي في صدر أولويات رجال الأمن! لكن ربما لم يعترفوا.. من يعلم؟ أو على الاقل لم يعترفوا بعد"!

مسح العرق من جيبنه الذى أخذ يتصبب من شدة الحر والقلق، بمنديل صغير وتأوه بصوت عال ووضع رأسه بين يديه:

"لكن مستحيل أن يكون الأمر تم بهذه السرعة، من المؤكد أن الأمن لا يستطيع أن ينتزع الاعترافات بسرعة، وأعضاء التنظيم سوف يقاومون بعض الوقت لمد باقي الأعضاء بالوقت الكافي للهروب، أليس هذا ما اتفقنا عليه؟!"

كان ناجي غارقًا في أفكاره إلا أن صورة سهى لم تفارق خياله حتى للحظة واحدة! حاول أن يقنع نفسه بعدم الذهاب للموعد المرتقب إلا أنه فشل! كان قلبه لا يستطيع أن يتجاهل موعده مع سهى وبالنهاية أجبره على الذهاب إلى الموعد حتى لو أدَّى ذلك إلى اعتقاله!

دخل فندق فجر الفخم الواقع على ضفة نهر كارون وقلبه موزع بين الخوف من الاعتقال وأروقة الأمن المظلمة وشوقه لسهى حبيبته وخطيبته، سأل البوَّاب عن مكان المطعم ودخل بهدوء وبمجرد أن جلس على إحدى طاولات المطعم شاهد سهى مقبلة عليه تسير ببطء وسكينة وكانت آية في الجمال مرتدية عباء عربية فاخرة وكان وجهها كأنه قطعة من نور. تقدَّمت خطوات نحوه وسلَّمت عليه وجلسا على طاولة تطل على نهر كارون الذي كانت أضواء مصابيح أعمدة الكهرباء تنعكس على مياهه التي كانت تسير بهدوء. نظرت سهى إلى النهر وابتسمت في وجه ناجي لتبدد الكآبة البادية على وجهه لأنها بمجرد دخولها شعرت أن شيئًا ما حدث لناجي، بادلها ناجي بابتسامة مفتعلة مع أنه كان في غاية السعادة لوجوده معها. مرت لحظة صمت، كان ناجي يخشى أن يبوح لخطيبته بما حصل، كان يخشى ردة فعلها لأنها حذرته مرارًا في السابق عن مخاطر الانخراط في هكذا أعمال.

جاء النادل بقائمة تحمل أسماء الأطعمة المتوفرة في مطعم الفندق وانتظر ليسجل طلب كل منهما وبعدما انصرف ابتسم ناجي وسأل سهى عن الامتحانات دون أن ينتبه أنها سبق وأخبرته بنجاحها، ابتسمت سهى وتأكدت أن شيئا ما حدث لخطيبها:

- ناجي! ماذا حصل لك؟

التفت ناجي بصورة لا إرادية وقال:

- لا شيء، أنا متعب فقط.

هزت سهى رأسها فتحرك حجابها وخرجت منه خصل من شعرها لكنها تركتها تتدلى على جبينها وقالت:

- لكن إحساسي يقول إن شيئًا ما حدث، وأنت اليوم لست طبيعيًّا أبدًا.

تأوَّه ناجي بصوت مسموع وقال:

- صدقيني لا شيء.

- ناجي اصدقني القول، أنا خطيبتك وزوجتك ومن حقي أن أعرف كل شيء.

- هذا أكيد يا حبيبتي لكن...

ردت سهى بحدَّة وقالت:

- دون لكن أنا لازم أعرف كل شيء. ماذا حدث؟

- طيب لكن..

أطرق ناجي للحظة ثم فرقع أصابعه ورفع رأسه وقال بصوت أقرب إلى الهمس:

- انكشفنا.

- ماذا تقصد؟

- التنظيم انكشف!

حدقت سهى فى وجه ناجي وحاولت أن تخفي انفعالها الداخلى ثم قالت:

- متى؟ وكيف؟

- اليوم اعتقلوا زعيم التنظيم ووصلتني رسالة تحمل شيفرة الهروب، وشيفرة الهروب تعني أن أنجو بنفسي قبل أن يداهم البيت رجال الأمن.

كانت سهى تتهيَّأ للاحتجاج على ما يفعله ناجي لكنها تراجعت عن قصدها حين رأت الحزن العميق البادي على وجه وملامحه، أشفقت عليه وشعرت بحزن عميق وتسرب إلى قلبها شيء من الخوف، نظرت إلى الخارج حيث تسير مياه نهر كارون وقالت:

- الله كريم. إن شاء الله ليس هناك أي خطر، لكن قل لي ماذا أنت فاعل؟

- لا أدري!

- كيف لا تدري والخطر يحدق فيك وربما يودي بحياتك.

- أعرف ذلك لكن ماذا افعل؟

- المهم عليك أن تبقى بعيدًا عن الخطر حتى نعرف الحقيقة بالكامل.

هزَّ ناجي رأسه مؤيدًا وقال:

- وماذا أفعل؟

- اختبئ حتى نعرف حقيقة ما حدث لأصدقائك.

- لا. في هذه الحالات الاختباء لا ينفع، يجب أن أخرج من إيران.

- هذا جيد لكن كيف تخرج؟ ربما المخابرات تعتقلك عند خروجك!

- يجب أن أخرج بطريقة غير شرعية.

- فهمت.

جاء النادل وشرع في صف أطباق الطعام والمقبلات على الطاولة، أحس ناجي أن عبئًا ثقيلًا أزيح من على كاهله بعدما أباح بالموضع لخطيبته، شعر بارتياح عميق وتنفَّس الصعداء وشكر الله على أنها لم تحتج عليه ولا على انخراطه في التنظيم وإنما تحاول أيضًا مساعدته للخروج من هذه الأزمة. نظر إليها بود واحترام مصحوب باعتزاز وفخر وأخذ يأكل طعامه بشهية.

قبل أن ينتهيا من الطعام توقفت سهى عن الأكل وقالت:

- ناجي خطرت ببالي فكرة لا بأس بها.

- ما شاء الله عليك. ما هي؟

- أنا عندي خال في بندرعباس يعمل هو وأولاده في التجارة مع دولة الإمارات ولديهم مكتب في دبي ايضا، وأنا متأكدة لو أطلب من ابن خالي أن يدبِّر أمر تهريبك إلى الإمارات سوف يفعل ذلك بطيب خاطر ويساعدك على الخروج سالمًا آمنًا.

- فكرة جيدة جدًّا!

- هل توافق أن أتصل به وأحدثه بالأمر؟

- نعم أوافق!

- غدًا سوف أتصل به إن شاء الله.

- أنا أيضًا سوف أذهب إلى صديقي في قرية بعيدة للاختباء وألتقي بك سرًا في الجامعة لكن زوديني بجدول

دروسك لهذا الفصل لأنني لا أستطيع أن أتردد على بيتكم ولا أتصل فيك هاتفيًا، أخشى أن يكون بيتكم وهاتفكم مراقبين من قبل الأمن.

- نعم أعرف ذلك.

- إذن نلتقى سرًا في الجامعة حسب جدول دروسك.

- نعم سوف اكتب لک جدول كامل بالأيام و الساعات التي أتواجد فيها في الجامعة.

- جيد جدًا، شكرًا لك حبيبتي!